

الحياة الأسرية

بسام محمد أبو عليان

محاضر بقسم الاجتماع . جامعة الأقصى

الطبعة الأولى

2013م

الناشر
مكتبة الطالب الجامعي
خانيونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}

[الروم: ٢١]

الإهداء

أهدي هذا الجهد لأعزائي طلاب وطالبات جامعة الأقصى
الغراء الذين هم طلاب اليوم وأزواج وزوجات المستقبل،،

المقدمة:

تعد الأسرة ركن مهم من الأركان الرئيسية التي يقوم عليها بناء المجتمع، كونها تمده بالأفراد الذي يحفظون استمراريته ودوامه، وتعمل على حفظ ونقل التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال. وقد حظيت الأسرة باهتمام الفلاسفة، والمفكرين، والعلماء، والباحثين على مر العصور. وفي المجتمع المعاصر حظيت باهتمام بالغ من قبل المؤسسات الدولية، ومؤسسات الدولة الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني. وانطلاقاً من هذا الاهتمام طرحت جامعة الأقصى مساقاً بعنوان (الحياة الأسرية) كمتطلب جامعي لطلابها. ويهدف هذا المساق إلى تعريف الطلاب والطالبات بمفاهيم الزواج، والأسرة، وأساليب التنشئة الاجتماعية، والمشكلات الاجتماعية التي تهدد الاستقرار الأسري، والمهارات الحياتية المطلوبة لمعالجة المشكلات والخلافات الزوجية. وقد وقع الكتاب في ستة فصول. الفصل الأول بعنوان "الزواج"، تناولت فيه: تعريف الزواج، وأنماطه في المجتمع الجاهلي، وترغيب الإسلام فيه، وأركانه، ومعايير اختيار الزوج والزوجة، وأنماط الزواج المنهي عنها في الإسلام، وأنماط الزواج المعاصرة المختلف في حكمها. ثم تحدثت عن الخطبة، والحالات التي لا تجوز فيها الخطبة، ووظائف الخطبة. ثم تحدثت عن المهر تعريفه، ومقداره، وأنواعه، ومكانته في الأمثال الشعبية الفلسطينية، ثم بينت أسباب غلاء المهور، والمشكلات الاجتماعية المترتبة على ذلك الغلاء، وختمت الفصل بعرض طرق للوقاية والحد من غلاء المهور.

الفصل الثاني بعنوان "الأسرة"، تناولت فيه: تعريف الأسرة، وخصائصها، وأشكالها، ووظائفها، والعلاقة بين الأسرة والتغير الاجتماعي. ثم تحدثت عن

الأسرة الفلسطينية من ثلاثة محاور: (الضفة الغربية وقطاع غزة، وفلسطينيو المخيمات في الشتات، وفلسطينيو الداخل)، ثم بينت أهم التغيرات التي لحقت بالأسرة الفلسطينية، وأبرز الممارسات الإسرائيلية بحق الأسرة الفلسطينية. أما الفصل الثالث بعنوان "التنشئة الاجتماعية"، تناولت فيه: تعريف التنشئة، وحاجاتها، وعلاقتها بكل من الثقافة والدين، والعوامل المؤثرة فيها، ثم عرضت الأساليب التنشئة الاجتماعية الوالدية (السلبية والإيجابية). وبينت دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية، أولاً الأسرة، وتناولت فيه دور كل من (الأم، والأب، والأخوة)، ومعوقات التنشئة الاجتماعية الأسرية. ثم تناولت المدرسة، تعريفها، وخصائصها، والعلاقة بينها وبين الأسرة، ودورها في التنشئة الاجتماعية. ثم تحدثت عن وسائل الإعلام ودورها في التنشئة الاجتماعية. وأخيراً تحدثت عن المؤسسة الدينية (المسجد) ودورها في التنشئة الاجتماعية.

الفصل الرابع بعنوان "المشكلات الأسرية"، عرضت فيه نماذج من المشكلات الأسرية الأكثر انتشاراً ورواجاً في المجتمع الفلسطيني، وهي: (الطلاق، والعنف الأسري، وتعدد الزوجات)، وطرق الوقاية. أما الفصل الخامس بعنوان "انعكاسات تكنولوجيا المعلومات على الأسرة"، تناولت فيه: تعريف التكنولوجيا، ومراحل تطورها، وسمات مجتمع المعلومات المعاصرة. والآثار السلبية لتكنولوجيا المعلومات على الأسرة، من نماذج تلك المشكلات: (الإعلانات التجارية ودورها في نشر القيم المادية والاستهلاكية عند أفراد الأسرة، ودور الفضائيات في رفع نسبة التفكك الأسري في المجتمع، ونشر ثقافة العنف في المجتمع، وإدمان الإنترنت، والاستخدام السلبي للجوال، وتسهيل التكنولوجيا لتجارة البغاء)، وختمت الفصل بعرض طرق للوقاية.

أما الفصل الأخير بعنوان "مهارات حياتية"، تناولت فيه: العوامل المؤثرة في السعادة الزوجية، والمهارات التي يفترض أن يتحلى بها الزوجان في التعامل مع بعضهما، كما أشرت إلى منغصات الحياة الزوجية، وختمت الفصل بالحديث عن مفاتيح مقترحة للسعادة الزوجية.

ختاماً؛ الله أسأل أن يكون عملي أكثر من قولي، وأن يجعل عملي وقولي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذا العمل كل من قرأه.

المؤلف

بسام أبو عليان

سبتمبر ٢٠١٣م

خانيونس

الفصل الأول

الزواج

مقدمة:

يعد الزواج أحد أنساق النظام الأسري الفرعية، مما يعني أن الزواج كنسق اجتماعي يؤثر ويتأثر بالنظم الاجتماعية الأخرى. أي أن الزواج يتأثر بالأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية، والصحية، والدينية القائمة في المجتمع. الزواج ظاهرة اجتماعية لها صفة العالمية، فهو موجود في كل المجتمعات الإنسانية بغض النظر عن درجة تحضرها وتطورها. وقد حظي باهتمام علماء الاجتماع فدرسوه من كافة الجوانب، باعتباره الخطوة السابقة على بناء الأسرة. وهو متعارف عليه بين الناس منذ خلق الله الخلق، فكانت أول حالة زواج عرفت البشرية بين آدم عليه السلام وحواء، ولحكمة يريد بها الله تعالى فكانت كل ولادة من توأم (ذكر، وأنثى)، فكل ذكر يتزوج بأنثى الولادة الثانية، وهكذا استمرت دورة الحياة. وقد مر الزواج في عدة مراحل تاريخية حتى وصل لصورته الحالية. إلا أن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا اختلفوا في شكل الزواج في المجتمعات الأولى، وقدموا تفسيرات مختلفة، منها أن الزواج مر في ثلاثة مراحل رئيسية^١:

- **المرحلة الأولى: (المشاعية).** في هذه المرحلة لا مجال للخصوصية والملكية الفردية، فكل شيء مباح ومستباح في المجتمع. وعلى صعيد الزواج كان الفرد يشبع حاجاته الغريزية بصورة مشاعية دون أية ضوابط دينية، أو أخلاقية، أو اجتماعية.

^١ بسام محمد أبو عليان، دور غلاء المهور في ارتفاع العنوسة عند الفتيات وعزوف الشباب عن الزواج، بحث قدم إلى اليوم العلمي بعنوان: "غلاء المهور.. الواقع والمأمول"، الجامعة الإسلامية وجمعية التيسير للزواج والتنمية، غزة، الاثنين ١٦/٥/٢٠١١م، ص ٢.

- **المرحلة الثانية:** (المجتمعات الأمومية)، كانت القرابة تسير في خط الأم، وحيث الزوج يقيم عند أهل الزوجة، والأبناء يحملون اسم عائلة الزوجة.
- **المرحلة الثالثة:** (المجتمعات الأبوية)، كانت القرابة تسير في خط الأب، والزوجة تقيم عند أهل الزوج، والأبناء يحملون اسم عائلة الزوج.

إن التفسيرات السابقة ليس لها أي سند علمي يؤكد صحتها، وتبقى مجرد افتراضات وتخمينات.

تعريف الزواج:

الزواج في أبسط معانيه: "رباط مقدس بين رجل وامرأة يهدف إلى إشباع الحاجات الغريزية وإنجاب الذرية بصورة يقرها الدين ويرتضيها المجتمع".

أنماط الزواج في المجتمع الجاهلي:

عرف المجتمع العربي الجاهلي صورا عديدة للزواج، هدمها وأنكرها الإسلام جميعا ولم يقر منها إلا نمط واحد. وهذه الأنماط، هي:

١. الزواج بولي:

يتقدم الرجل إلى خطبة الفتاة من وليها، إن حصل القبول والرضا يتفقان على قدر معلوم من المهر، وهذا النمط أقره الإسلام وأبقى عليه، ولازال معمولاً به اليوم في مجتمعاتنا المعاصرة.

٢. الاستبضاع:

بعد أن تطهر المرأة من حيضها يرسلها زوجها لرجل فيه صفات محببة إليه ك(الشجاعة، أو الكرم، أو القوة، أو الجمال، أو القيادة، أو الغنى، أو الحكمة...)

إلخ)، ويرغب أن تكون صفة أو أكثر من تلك الصفات في أولاده. فيأتيها ذلك الرجل، بعد ذلك إن شاء أتاها، وإن شاء اعتزلها حتى الولادة. وأحيانا تلجأ المرأة إلى زواج الاستبضاع دون أن تكون متزوجة. وإن كانت ظاهرة نادرة الحدوث .. فقد روي أن عبد الله بن عبد المطلب . والد رسول الله ﷺ . مر بامرأة من بني أسد تنتظر إليه وتتقرس فيه، فرأت في وجهه نورا، فدعته أن تستبضع منه وتعطيه مائة من الإبل، لتتال منه ولدا على مثاله. فأبى^١.

٣. زواج الرهط:

يأتي المرأة مجموعة من الرجال وهم دون العشرة. فإن حدث الحمل بعد ذلك، تنتظر المرأة حتى تضع مولودها، ثم تدعو أولئك الرهط وتجمعهم، وتذكرهم بما وقع منهم، ثم تختار لمولودها أبا منهم، ويقبل الرجل بالأمر ولا يستطيع أن يرفض أو ينكر.

٤. البغايا:

هن الزانيات اللاتي يضعن علامات على بيوتهن تكون معروفة لمن يريد أن يأتيهن.

٥. زواج البدل:

يكون بين رجلين متزوجين بحيث يتنازل كل منهما للآخر عن زوجته، لإشباع شهوته.

^١ عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٨٠، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤م، ص ١٨.

٦. زواج المقت (ورثة الأرامل):

هذا النمط من الزواج كان منتشرا في بلاد فارس - إيران الحالية ، ثم انتقل إلى المجتمع العربي، إلا أنه كان زواجا مذموما وغير مرغوب فيه عند العرب^١. ويعرف باسم آخر (ورثة الأرامل). حيث أن المرأة التي تترمل ويموت عنها زوجها، يقوم ابنها أو أحد أقارب الزوج ويرمي عليها ثوبه. إن شاء تزوجها، وإن شاء منعها من الزواج حتى تموت ويرثها، أو تقدي المرأة نفسها منه فتعطيه ما تملك من أموال. فإن تزوجت الأرملة وأنجبت يسمى المولود (مقتي أو مقت)^٢. وهذا الزواج محرم لقوله تعالى: {وَلَا تَتَّكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}^٣.

ترغيب الإسلام في الزواج:

لقد أنكر الإسلام جميع أشكال الزواج التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، ولم يقر منها إلا (الزواج بولي). وقد رغب الإسلام في الزواج وحث عليه، لأنه يمثل خطوة صحيحة على طريق بناء الأسرة، وفيه حفظا للأنساب، واستمرارا للجنس البشري. وتوجد العديد من الآيات القرآنية التي تحث على الزواج، منها قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}٤. وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا}٥. وقوله: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا}٦. وقوله: {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}٧.

١ المرجع نفسه، ص ٢٦.

٢ المرجع نفسه، ص ١٢٢.

٣ النساء، ٢٢.

٤ النحل، ٧٢.

٥ الروم، ٢١.

٦ فاطر، ١١.

٧ الشورى، ١١.

ومن الأحاديث النبوية "لا رهبانية في الإسلام"^١. إن النهي النبوي عن الرهبنة جاء رداً على رهبانية النصارى . التي رفضها الله من قبل ، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾^٢. أي أن الله لم يفرض على النصارى الرهبانية، ولم يمنعهم من الزواج بحجة التفرغ للعبادة. إنما هي بدعة من بدعهم. بل أن الإسلام يعتبر الزواج والمعاشرة الزوجية لونا من ألوان العبادة. قال صلى الله عليه وسلم: "وفي بضع أحدكم صدقة". قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: رأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً"^٣.

ومن صور حث رسول الله ﷺ على الزواج، قوله: "تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم"^٤. وكذلك النداء النبوي الموجه لفئة الشباب: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة* فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**".^٥

ومن دواعي ترغيب الإسلام في الزواج (الإنجاب)، لأن فيه استمرار المجتمع. "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟، قال: لا. ثم أتاه الثانية فنهاء، ثم أتاه الثالثة فقال: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"^٦.

^١ أبو داود، المراسيل، ٢٨٧.

^٢ الحديد، ٢٧.

^٣ صحيح مسلم، ١٠٠٦.

^٤ الألباني، صحيح الجامع، ٢٩٤١.

* الباءة: نفقة الزواج.

** وجاء: وقاية.

^٥ صحيح البخاري، ٥٠٦٦.

^٦ ابن حبان، المقاصد الحسنة، ١٩٨.

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة ولا يسع المقام لسردها. لكن ما يمكن إيجازه: أن الإسلام رغب في الزواج، بل قدّمه على فريضة الحج بالنسبة للشباب، لأن فيه حفظاً للأنساب وصيانة للأعراض، واستمراراً لبقاء المجتمع.

أركان الزواج:

ينعقد الزواج إذا توافرت فيه الأركان الخمسة الآتية^١:

١. الصيغة: أي الإيجاب والقبول.

٢. الزوج.

٣. الزوجة.

٤. الولي.

٥. الشاهدان.

معايير اختيار الزوج والزوجة:

اشتملت الأحاديث النبوية على أحاديث تحدد معايير اختيار الزوج أو اختيار الزوجة.

معايير اختيار الزوج:

قال ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"^٢.

يتضح من الحديث أن رسول الله ﷺ قدّم معياراً (الدين، والأخلاق) على بقية معايير الزواج الأخرى المعروفة مثل: (المستوى الاقتصادي، والحالة التعليمية،

^١ لمزيد من المعلومات انظر: بدران أبو العينين بدران، أحكام الزواج والطلاق في الإسلام.. بحث تحليلي ودراسة مقارنة، ط٢، مصر، مطبعة دار التأليف، ١٩٦١م، ص ٤١-٥٣.

^٢ السيوطي، الجامع الصغير، ٣٤٧.

والمركز الاجتماعي، ومكان السكن، وطبيعة المهنة... إلخ). والأحاديث كثيرة ومتنوعة التي تناولت فضائل الأخلاق والمكانة التي يحظى بها صاحب الخلق الحسن. فهو يصل في الأجر إلى درجة صائم النهار وقائم الليل. قال صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليبليغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم"^١. بل إن حسن الأخلاق يعتبر من الأعمال التي تنقل ميزان الفرد يوم القيامة. قال ﷺ: "ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق"^٢.

إن الكلام السابق لا يعني تجاهل أو التقليل من أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية، والتعليمية، ومكان الإقامة، وتأثيرها على الاستقرار الأسري، والتوافق الزوجي. لكن الحديث يحذر من النتائج المترتبة على محاولة تقديم أية معايير أخرى على معياري (الدين والأخلاق). لأن النتيجة الحتمية هي وقوع الفتنة والفساد سواء على صعيد الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع. وما الخلافات الأسرية، وارتفاع معدلات الطلاق، والتفكك الأسري إلا بسبب إهمال (الدين والأخلاق) في أغلب حالات الزواج، والتركيز على الجوانب المادية والكماليات، ومظاهر الزينة والتفاخر والتباهي.

معايير اختيار الزوجة:

قال ﷺ: "تتكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك"^٣.

^١ الطبراني، مكارم الأخلاق، ٥/١.

^٢ المرجع نفسه، ٧/١.

^٣ صحيح البخاري، ٥٠٩٠.

إذن معايير اختيار الزوجة هي: (المال، والحسب، والجمال، والدين). ثم رَجَّحَ ﷺ أفضل هذه المعايير، وأكثرها حفاظا على سلامة الأسرة (الدين). وبنظرة تأملية نجد أن المعايير الثلاثة الأولى: (المال، والحسب، والجمال) هي السبب الرئيسي والمحرك الفعال لكافة المشكلات الأسرية في حال انعدام التكافؤ بين الزوجين.

إضافة إلى معياري (الدين والأخلاق) يمكن إضافة معايير أخرى تضمن استقرار الزواج، منها:

- ❖ التقارب في العمر بين الزوجين.
- ❖ أنا يكون الزوجان من نفس البيئة الاجتماعية (البدو، الريف، الحضر)
- ❖ التقارب في المستوى التعليمي والثقافي.
- ❖ التقارب في المستوى الاقتصادي.
- ❖ التقارب في الاهتمامات والميول.

كل هذه المعايير من شأنها أن توفر سبل التقارب والتفاهم بين الزوجين، وتقلل من مساحة الخلافات الزوجية. لكن إذا كان الفارق كبيرا فإن ذلك يساهم في خلق جو أسري يخيم عليه البرود العاطفي، والخلافات الأسرية. والواقع فيه الكثير من الأدلة والشواهد التي تؤكد ذلك.

أنواع الزواج المنهي عنها في الإسلام:

١. زواج المتعة:

يقصد بزواج المتعة أن يُحدد في عقد الزواج وقت بداية ونهاية الزواج، سواء قصرت مدته أو طالته. ودليل تحريمه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة عام حَبِيرًا"^١. تأتي الأهمية الاجتماعية لرفض الإسلام هذا الزواج؛ كون أن فيه تلاعبا وتهاونًا في مصير المؤسسة الزوجية، واعتبار الزوجة سلعة كأى سلعة مادية تباع وتشتري وتستبدل، لها تاريخ إنتاج وتاريخ انتهاء الصلاحية. وفيه إخضاع الزواج للمزاج، والهوى، والشهوة. وما سمي بهذا الاسم إلا لأنه ينعقد من أجل التمتع وقضاء الشهوة بالمقام الأول. وبالتالي انتفت الغاية الأساسية من الزواج (المودة والرحمة).

إن زواج المتعة يفتح الباب على مصراعيه للشهوانيين، وعديمي المسؤولية الاجتماعية، وفاقدى الرقابة الذاتية في تعدد حالات الزواج. والمتمتع سيبدل النساء كأى متاع مادي، ويمتهن كرامة وإنسانية المرأة، ويقلل من هيبته ومكانة المؤسسة الزوجية (الأسرة). كما يتلاعب بمصير النساء اللاتي سيطلقهن بعد انتهاء مدة عقد الزواج. لاسيما وأن المجتمع العربي لازال ينظر إلى المطلقة نظرة تقييد وجمود. فلازالت نظرات الشك تحيط بالمطلقة من كل جانب، وتقييد حركتها، وترقب تصرفاتها. فالكثير من المطلقات يحكم المجتمع عليهن بالموت البطيء، لأن قائمة المحظورات والممنوعات التي تحيط بالمطلقة من كل جانب

^١ المرجع نفسه، ٥٥٢٣.

طويلة. وقد يشدد ويصعب الأمر أكثر على المطلقات غير المتعلمات، أو العاطلات عن العمل، فمصيبرهن أن يكن حبيسات البيوت، أما المتعلمات والموظفات مساحة الحرية الممنوحة لهن أكبر وأوسع.

٢. زواج الشغار (زواج المقايضة):

يسمى زواج الشغار باسم آخر هو (زواج المقايضة). وهو: "أن يزوج الرجل وليته لرجل آخر، بشرط أن يزوجه هذا الآخر وليته".

هذا الزواج محرم في الإسلام وإن حدد الوليان قيمة المهر في العقد. قال ﷺ: "لا شِغَارَ في الإسلام".^١ يكمن الرفض الإسلامي لهذا الزواج في (الشرط)؛ أي أن زواج الشغار زواج مشروط، (زوجني وليتك لأزوجك وليتي). في هذا الزواج يخضع استمرار واستقرار الزواج لمزاجية الأزواج (الذكور). وتغلب عليه المعاملة الكيدية والندية. فإن أغضب أحد الأزواج زوجته، أو أساء معاملتها، أو طلقها لعدم توافق بينهما. فإن الزوج الآخر قد ينتقم من زوجته من باب الثأر والانتقام لوليته. وإن كانا يعيشان في استقرار ودعة. لكنها نزع الثأر والانتقام لا غير!

الملاحظة الثانية: أن زواج الشغار يغيب رأي المرأة في اختيار زوجها. فقد تُزوّج من رجل لا ترغبه ولا تألفه، وليس فيه من الصفات التي تطمح أن تكون في زوجها. وهذا الزواج يمثل أعلى درجات الأنانية عند مثل هذين الرجلين اللذين رضيا أن يشبعا نزواتهما ويتجاهلا رغبة الفتيات في من يردن الزواج منه.

٣. زواج المحلل:

^١ صحيح مسلم، ١٤١٥.

أي تطلق امرأة من زوجها ثلاث مرات (طلاقاً بائناً بينونة كبرى)، ثم يأتي رجل آخر يتزوجها، ثم يطلقها بعد ذلك؛ حتى تحل لزوجها الأول. قال رسول الله ﷺ عن هذا الصنف من الرجال: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل. لعن الله المحلل والمحلل له".^١

تأتي الأهمية الاجتماعية لرفض الإسلام هذا الزواج؛ حتى يتروى الزوجان ويفكران ملياً وبتأنٍ شديد قبل أن يقدموا على اتخاذ القرار النهائي للطلاق. لأن هناك صنفاً من الرجال كلمة "الطلاق" تجري على ألسنتهم ككلمة ملازمة دون أن يدركوا ما يترتب عليها من مشكلات وأحكام شرعية. كما يوجد صنف من النساء يرددن طلب الطلاق من أزواجهن لأتفه الأسباب، وكأنهن يطلبين من أزواجهن أن يجلب لهن سلعة من السوق.

إن تحريم المرأة على زوجها بعد الطلقة الثالثة، فيه رادع ليس للمطلقين بل لمن يريد التلاعب بمصير النساء، وهي مدعاة له أن يفكر بحكمة وروية قبل أن يقدم على هكذا خطوة.

لقد رخص الإسلام للرجل أن يطلق زوجته مرتين ويرجعها قبل انقضاء العدة (وهو ما يسمى بالطلاق الرجعي)، لكن في المرة الثالثة إن وقع الطلاق يكون قد أصبح طلاقاً بائناً بينونة كبرى ولا تحل له زوجته إلا من بعد محلل. قال تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا}^٢. هذا المحلل إن لم يتزوج المرأة بناء على رغبة ونية الزواج

^١ الذهبي، الكباير، ٣٦٧.

^٢ البقرة، ٢٣٠.

والاستقرار يكون قد ارتكب مخالفة شرعية. ولا يعدو أكثر مما شبهه به رسول الله أنه كـ(التيس المستعار)! فضلا عن حلول لعنة الله على المحلل والمحلل له.

٤. زواج المُحْرِمِ بِالْعِمْرَةِ أَوْ الْحَجِّ:

قال ﷺ: "لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب"^١.

تأتي الأهمية الاجتماعية والحكمة الإسلامية لرفض هذا الزواج؛ إذ من المفترض في الحاج أو المعتمر أنه ترك وطنه، وماله، وأسرته، وأصدقائه، وسافر من بلده إلى بلد آخر (مكة) من أجل أن يقوم برحلة إيمانية روحانية تجرده من ملذات وملهيات الدنيا، وتزيد من تعلقه بالآخرة، وتجدد إيمانه، وتقربه إلى الله. إن حصل الزواج وقت إحرامه قد يلهيه عن الهدف الديني لعبادتي الحج أو العمرة، وتجعله أكثر تعلقا بالدنيا وزينتها.

٥. زواج المرأة في فترة العدة:

أي أن يتزوج الرجل المرأة في عدة طلاقها، أو في عدة ترملها.

تأتي الأهمية الاجتماعية والحكمة الإسلامية لرفض هذا الزواج؛ حتى يتم التأكد من براءة رحم المرأة، وخلوه من الحمل منعا لخلط الأنساب. علما أن عدة الأرملة أربعة أشهر وعشرة أيام، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^٢، وعدة المطلقة ثلاثة أشهر، قال تعالى: {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ^٣.

^١ صحيح مسلم، ١٤٠٩.

^٢ البقرة، ٢٣٤.

^٣ البقرة، ٢٢٨.

وقد توصل العلم الحديث إلى صورة من صور الإعجاز العلمي في القرآن وهو أن بصمة السائل المنوي للزوج تبقى في رحم المرأة، وتحتاج إلى ثلاثة أشهر حتى تزول من رحم المرأة، وتتهيئ نفسها لاستقبال بصمة جديدة. وهو نفس الوقت الذي بينته الآية في مدة العدة ومنع المرأة من الزواج. أما بعد انقضاء مدة العدة يسمح لها أن تتزوج من تشاء.

٦. الزواج بدون إذن ولي أمر المرأة:

قال ﷺ: "لا نكاح إلا بولي"^١. وقوله: "لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها"^٢.

تأتي الأهمية الاجتماعية والحكمة الإسلامية لرفض هذا الزواج؛ أنه لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها إلا بموافقة ولي أمرها. وهذا المنع ليس من باب تضييع حق المرأة، ولا الحجر عليها، ولا تقييد حريتها. بل هو من باب الحفاظ عليها وحمايتها. لأن المرأة في الغالب تكون علاقاتها الاجتماعية ضعيفة وضيقة، ولا علم لها بأنواع الرجال، وصفاتهم، وأخلاقهم. فهي قد تبدي موافقتها أو رفضها على عجل، أو لاهتمامها ببعض المظاهر السطحية والخارجية. لكن وجود الولي وإشرافه على الزواج يمنحه فرصة أكبر للسؤال والتعرف على الخاطب، وأخلاقه، ومكانته، وسلوكه، ودينه... إلخ.

^١ سنن أبو داود، ٢٠٨٥.

^٢ الألباني، صحيح ابن ماجه، ١٥٣٩.

٧. الزواج من الكافرة (غير الكتابية):

أي الزواج من الكافرات اللاتي لا دين سماوي لهن . غير اليهوديات والنصرانيات .. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾^١.

تأتي الأهمية الاجتماعية والحكمة الإسلامية لرفض هذا الزواج؛ أن الكافرات يكون تأثيرهن سلبيًا على مؤسسة الزواج، وتنشئة الأبناء. فقد تعمل الزوجات الكافرات على تنشئة الأبناء على أفكارهن ومعتقداتهن الباطلة، مما يعني تنشئة جيل مخالف في فكره ومعتقده فكر ودين المجتمع.

٨. زواج المحرمات:

جاء التحريم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ الَّذِينَ مِّنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^٢.

بالنظر إلى الآية السابقة نستنبط ثلاثة أسباب لتحريم الزواج وهي: (النسب، والمصاهرة، والرضاع). وفيما يلي توضيحها:

أ. النسب: يشمل: (الأم، والجدة، والابنة وبناتها، وابنة الابن وبناتها، والأخت وبناتها، وبنات ابنها، العمّة، والخالة، وبنات الأخ، وبنات الأخت).

^١ البقرة، ٢٢١.

^٢ النساء، ٢٣.

ب. **الرضاعة:** عدد الرضعات التي تحرم النسب كانت في السابق عشرة مشبعات، ثم نسخ الحكم وقلصن إلى خمس مشبعات. لقول عائشة رضي الله عنها: كان فيما أنزل من القرآن: عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمَنَ. ثم نُسخنَ: بخمسٍ معلوماتٍ^١. علما أن هذه الرضعات تكون قبل الفطام. ويشمل هذا النمط من المحرمات كل ما ذكر في تحريم النسب. قال صلى الله عليه وسلم: "يحرّم من الرضاعة ما يحرم من الرحم"^٢.

ج. **المصاهرة:** يشمل: (زوجة الأب، وزوجة الجد، وأم الزوجة، وجدّة الزوجة، وبنات الزوجة. إن سبق لها الزواج.، وأحفاد الزوجة. ابنة بنتها أو ابنة ابنها.، وزوجة الابن، وزوجة ابن الابن).

تأتي الأهمية الاجتماعية لرفض الإسلام هذا الزواج؛ حفظاً للأنسب من الخلط والضياع.

٩. الجمع بين محرمين:

كأن يجمع الرجل في عصمته بين الزوجة وأختها، أو يجمع بين الزوجة وعمتها، أو يجمع بين الزوجة وخالتها. وهذا التحريم تحريماً مؤقتاً في حياة الزوجة، لكن إن ماتت الزوجة حق للزوج أن يتزوج من أي منهن. قال تعالى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}^٣. وقوله ﷺ: "لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها"^٤.

^١ صحيح مسلم، ١٥٤٢.

^٢ المرجع نفسه، ١١٤٧.

^٣ النساء، ٢٣.

^٤ صحيح مسلم، ١٤٠٨. صحيح البخاري، ٥١٠٩.

تأتي الأهمية الاجتماعية لرفض الإسلام هذا الزواج؛ حفاظاً على استقرار الأسرة، لأنه لو تم الجمع بين الزوجة وأحد الحالات السابقة سيكون في نفسها شيئاً لا ترغبه ولا تتمناه، ولن يسلم الأمر من الغيرة والحقد، وتهديد الاستقرار الأسري. لذلك فالأسلم والأحوط ألا يتم الجمع بينهما في حياة الزوجة.

١٠. زواج الزانية:

لا يجوز للرجل العفيف أن يتزوج من امرأة زانية بغية، كما لا يجوز للمرأة العفيفة الطاهرة أن تتزوج من رجل زانٍ. قال تعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}¹.

تأتي الأهمية الاجتماعية لرفض الإسلام هذا الزواج؛ لأن فيه تهاونا برابطة الزواج، وأن الزوجة . إن كانت زانية . لن تكون أمينة على عرضها، وبيتها، وزوجها، وأولادها. وفي الحديث يقول ﷺ: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته... والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته"². فإن لم تكن الزانية أمينة على نفسها وعرضها، فكيف لها أن تكون أمينة على بيتها زوجها وأولادها!! وكذلك الحال إن كان الزوج زانياً قد يحن إلى طبعه السابق ويقع في الخيانة الزوجية، ويقوم علاقات غير مشروعة خارج بيت الزوجية، مما يهدد الاستقرار الأسري وينتهي الأمر بالطلاق، وتفتيت البناء الأسري، وضياع الأبناء.

¹ النور، ٣.

² صحيح البخاري، ٢٢٥٨.

أنواع الزواج المعاصرة المختلف في حكمها:

١. الزواج العرفي:

ينقسم إلى نوعين:

أ. زواج عرفي باطل:

أن يكتب الرجل ورقة بينه وبين المرأة يُقر فيها أنها زوجته. ويُشهد على ذلك شاهدين. وتكون الورقة من نسختين؛ واحدة للرجل والأخرى للمرأة. ويعطيها شيئاً من المال على اعتبار أنه المهر.

هذا الزواج باطل؛ وعلّة بطلانه أنه يفترق إلى وجود الولي . الذي هو أحد أركان الزواج .، ولقيامه على الكتمان والسرية وعدم الإشهار .

ب. زواج عرفي شرعي:

هو كالزواج العادي؛ تتوافر فيه كل أركان الزواج، إلا أنه لم يسجل رسمياً عند الجهات المختصة. لهذا السبب يحرمه البعض؛ لما يترتب عليه من مشكلات أسرية لاحقة.

٢. زواج المسيار:

أن يعقد الرجل زواجه على امرأة عقداً شرعياً مستوفياً أركان الزواج. لكن تتنازل فيه المرأة عن السكن والنفقة^١. وقد اختلف الفقهاء بين حله وتحريمه. ومن أوسط الأقوال في هذا الجانب: "أن زواج المسيار إذا استوفى شروط الزواج الصحيحة من: (الإيجاب والقبول، ورضا الولي، والشهود، والإعلان)، فإنه

^١ لمزيد من المعلومات عن الزواج العرفي والمسيار، انظر: سليمان بن صالح الخراشي، الفرق بين: زواج المسيار.. وزواج المتعة.. والزواج العرفي، مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، <http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/٧٤.htm>

صحيح. إلا أنه يصلح لأصناف معينة من الرجال والنساء الذين تقتضي ظروفهم مثل هذا الزواج^١.

٣. زواج فريند:

من دعاة هذا الزواج الشيخ "عبد المجيد الزنداني"^٢، الذي أصدر فتوى في تاريخ ٢٠٠٣/٨/٧م. أجاز فيها للشباب الذين يقيمون في بلاد الغرب، ولا يأمنون على أنفسهم من الفتن والوقوع في الرذيلة في تلك البلاد الزواج من صديقاتهم. وبين الزنداني مبررات هذا الزواج، أنه يعد زواجا شرعيا لأنه يقوم على الأسس الآتية:

أ. توفر أركان الزواج المتعارف عليها.

ب. حق الزوجة في التنازل عن السكن أو النفقة.

ج. عدم توافر السكن لا يفسد الزواج.

د. جواز غياب الزوج عن زوجته.

هـ. التيسير في الزواج.

وبين أن هذا الزواج ليس شبيها بزواج المسيار، أو الزواج العرفي^٣.

يلاحظ أن الزنداني لم يترك الأمر على إطلاقه، بل اقتصره على الشباب الذين يقيمون في المجتمعات الغربية، ولا يأمنون على أنفسهم من الوقوع في براثن الفتنة والزنا.

^١ محمد صالح المنجد، زواج المسيار: تعريفه وحكمه، فتوى رقم: ٨٢٣٩٠، موقع الإسلام سؤال وجواب، <http://islamqa.info/ar/ref/82390>

^٢ من أحد رجال العلم الشرعي في اليمن، له اجتهادات في مجال الإعجاز العلمي في القرآن، ورئيس جامعة الإيمان في صنعاء.

^٣ لمزيد من المعلومات حول هذا الزواج انظر فتوى الشيخ الزنداني: إسلام ويب،

<http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=45934>

الخطبة

تعد الخطبة (بكسر الخاء) من الخطوات الممهدة للزواج. ومن المعلوم أن المرأة قبل الإسلام كانت تخرج سافرة، وجاء الإسلام وفرض الحجاب ليميز المرأة المسلمة الحرة عن الأمة، قال تعالى: **لِيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**^١. وطالما لم يعد يرى ملامح المرأة لاسيما (الوجه)، أي لم يعد يعرف مدى جمالها وحسنها. من هنا جاءت الخطبة في الإسلام كخطوة سابقة على الزواج، حتى تمنح الفرصة لكل من الرجل والمرأة المقدمين على الزواج أن ينظر كل منهما للآخر، ويتعرف على هيئته، وشخصه، وثقافته وغيرها من الأمور الأخرى قبل الإقدام على اتخاذ قرار الزواج. قال ﷺ: **"إذا خطب أحدكم المرأة، فلا جناح عليه أن ينظر إليها؛ إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم"**^٢.

ومن أهداف الخطبة إعطاء الفرصة الكافية لكل من أهل الفتاة والشباب للسؤال عن الأخلاق، والصفات الجسمية والنفسية، والتاريخ الشخصي، والمكانة الاجتماعية. وغيرها من المعايير الأخرى كالمستوى التعليمي، والمهنة، والدخل، والسكن. لئلا يتسرعوا في إطلاق الحكم قبولاً أو رفضاً.

الحالات التي لا تجوز فيها الخطبة:

○ **المرأة المعتدة:** سواء كانت المرأة في عدة طلاق أو ترمل. فيما يتعلق

بالمطلقة نفرق بين حالتين:

^١ الأحزاب، ٥٩.

^٢ السيوطي، مرجع سابق، ٥٧٨.

- أ. المطلقة طلاقاً رجعيًا: لا يجوز خطبتها بأي حال من الأحوال؛ لأنها لازالت في عصمة زوجها، وبإمكانه أن يرجعها خلال فترة العدة.
- ب. المطلقة طلاقاً بائناً: لا يجوز خطبتها بشكل صريح خلال فترة العدة، إنما يجوز التلميح بإبداء الرغبة في الخطبة والزواج بشكل غير مباشر. كذلك الحال بالنسبة للأرملة.
- **خطبة الرجل على الرجل:** إن خطب رجل امرأة وحصل بينهما القبول والإيجاب، لا يجوز لرجل آخر أن يتقدم لخطبتها لا بتعريض ولا تصريح. قال ﷺ: "ولا يخطبُ المرءُ على خطبةِ أخيه".^١

وظائف الخطبة:

- الخطبة كخطوة سابقة على الزواج لم توضع عبثًا، إنما وضعت لأغراض اجتماعية، أهمها:
١. عند إتمام الخطبة يوقف الشاب وأسرته عملية البحث والتحري عن فتاة تصلح للزواج.
 ٢. تفسح المجال للمخطوبين للتعرف على بعضهما من حيث الطباع، والثقافة، والفكر، والشخصية، الأخلاق... إلخ.
 ٣. الاتفاق بين المخطوبين على المبادئ العامة والخطوط العريضة لمستقبل الحياة الزوجية.
 ٤. التشاور في تحديد قيمة المهر (المقدم والمؤخر).
 ٥. الاتفاق على نفقات الزواج.

^١ صحيح مسلم، ١٤١٣.

٦. الإعداد لترتيبات الزواج.

٧. توثيق العلاقات الاجتماعية بين أسرتي المخطوبين.

الجدير بالذكر، لا توجد مدة زمنية محددة للخطبة يجب على الخطيبين التقيد والالتزام بها، وبعد انقضائها يجب إتمام الزواج. لذلك فإن مدة الخطبة تختلف من أسرة لأخرى، ومن بيئة اجتماعية لأخرى، ومن حالة زوجية لأخرى. وهذا يتوقف على طبيعة العلاقات الاجتماعية ودرجة التعارف بين أسرتي الشاب والفتاة. فإن كان بينهما صلة قرابة أو جوار، في الغالب تقصر فترة الخطبة لأنهما ليسا بحاجة إلى مزيد من التعارف. كذلك تختلف فترة الخطبة في المجتمع البدوي، والريفي، والحضري. فهي تقصر في المجتمعين الأولين وتزيد في المجتمع الحضري. وتختلف فترة الخطبة بحسب الحالة الاقتصادية للخطيب فكلما كان قادرا على توفير المهر، وتوفير نفقات الزواج، وإعداد بيت الزوجية كلما قصرت فترة الخطبة وأسرع في إتمام طقوس الزواج، والعكس صحيح.

على أية حال؛ فبحسب التقديرات فإن المدة الزمنية المناسبة للخطبة تتراوح بين الشهرين إلى ستة أشهر. لأنها تعد فترة كافية للخطيبين للتعرف على بعضهما، وخلال هذه الفترة تمر العلاقات الاجتماعية بين الخطيبين بحالات مد وجزر، ومواقف حياتية مختلفة، وردود فعل متفاوتة، فتضح الأمور للخطيبين أكثر. لكن إن قصرت أو زادت فترة الخطبة عن ذلك الحد، فإنها أمام خيارين: في حالة القصر فإنها تزيد من الغموض وعدم فهم الخطيبين لبعضهما جيدا. وإن زادت فإنها تزيد من الخلافات بين الخطيبين وقد تصل إلى أسرتيهما.

أخيراً، يجب تنبيه المخطوبين ألا تقضى كل فترة الخطبة في النزعات، والمجاملات الرسمية، . هذا من حقهما ، لكن في المقابل يجب أن تترك مساحة للحوار، والمصارحة، والتخطيط لمستقبل الحياة الزوجية.

المهر

تعريف المهر:

المهر في لغة العرب له مسميات عديدة، منها: (صداق)، لقوله تعالى: {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}¹. ومعناه (فريضة)، لقوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً}². وقوله: {فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً}³. ومن الأسماء الأخرى للمهر: (حباء، أجر، عقر، علائق، خرس، عطية). وقد جمعت في بيتين من الشعر:⁴

صداق ومهر نحلة وفريضة	حباء وأجر ثم عقر علائق
وطول نكاح ثم خرس تمامها	ففرده وعشر عد داك موافق

تعريف المهر شرعاً:

"هو ما يجب للمرأة على الرجل من المال، أو المنفعة المقومة بالمال في عقد زواج صحيح، أو دخول بشبهة، أو وطء في عقد نكاح فاسد"⁵.

¹ النساء، ٤.

² البقرة، ٢٣٦.

³ النساء، ٢٤.

⁴ محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج٢، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٣، ص٥٧.

⁵ المرجع نفسه، ص٥٦.

الجدير بالذكر، إن المهر ليس ركنا من أركان الزواج ولا شرطا له، إنما هو مجرد هدية يهديها الزوج لزوجته. والحكمة من المهر إظهار أهمية الزواج من جهة، وحفاظا على كرامة وإنسانية المرأة من جهة ثانية. وحتى يقدر الزوجان الحياة الزوجية وعدم التفريط فيها بسهولة من جهة ثالثة.

والمهر هو حق للمرأة على الرجل، وإن لم يقم الرجل بذلك أو تراجع عن وعده، أو أضمر النية بعدم دفعه يكون قد عرض نفسه لسخط الله، بل يعد زانيا. قال ﷺ: "أبما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو أكثر، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها؛ خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها؛ لقي الله يوم القيامة وهو زان".^١

مقدار المهر:

لم يرد نصا في القرآن الكريم أو السنة النبوية يحدد قيمة المهر . قليله أو كثيره . ليقيد به أفراد المجتمع، إنما ترك الأمر مفتوحا. وهذا من تيسير الإسلام؛ لأن الذي يتحكم في مقدار المهر تفاوت الناس في المستوى الاقتصادي، والمكانة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، والتخصص العلمي، والبيئة الاجتماعية، والاختلاف في الطبائع والعادات والتقاليد. وهذه المعايير تختلف من مجتمع لآخر، وتختلف في المجتمع الواحد من طبقة اجتماعية لأخرى ومن فترة زمنية لأخرى. وقد تنوعت الأحاديث والشواهد النبوية التي تحدثت عن قيمة المهور. فهناك أحاديث رغبت في تقليل المهر وعدم رفعه والغلو فيه قال رسول

^١ الألباني، صحيح الترغيب، ١٨٠٧.

الله ﷺ: "خير النكاح أيسره"^١، وقوله: "إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها"^٢.

ومن استدل على أن المهر لا حد له من الكثرة فقد استندوا على الموقف الذي حدث مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه صعد ذات يوم على منبر رسول الله ﷺ، ثم قال: "أيها الناس: ما إكثاركم في صدق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه، وإنما الصدقات فيما بينهم أربعمئة درهم، فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفن، وما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمئة درهم، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش، فقالت له: يا أمير المؤمنين، نهيت أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَأْتِيَتْكُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^٣. قال: فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر، قال: ثم رجع فركب المنبر، فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب"^٤.

أنواع المهر:

أ. المهر المسمى: وهو القدر الذي يتفق عليه الطرفان.

^١ السيوطي، المرجع نفسه، ٤٠٤٧.

^٢ الألباني، صحيح الجامع، ٢٢٣٥.

^٣ النساء، ٢٠.

^٤ ابن كثير، مسند الفاروق، ٥٧٣/٢.

ب. مهر المثل: يقدر مهر المرأة بمثلاتها من النساء في الدين، والعقل، والعلم، والمكانة الاجتماعية، والمستوى الاقتصادي، والجمال، والبركة. وغيرها من المعايير الأخرى.

المهر في الأمثال الشعبية الفلسطينية:

من المتعارف عليه أن الأمثال الشعبية تعكس تجارب السابقين ونظرتهم إلى الواقع الاجتماعي، وهي تتناول كافة جوانب الحياة الاجتماعية، فلم تدع شيئاً إلا وتطرقت إليه. وتعتبر الأمثال الشعبية هي المعبر الحقيقي عن العادات والتقاليد الاجتماعية. والذاكرة الفلسطينية تذر بالعديد من الأمثال الشعبية التي تحدثت عن المهور مبررة ومدافعة عن غلائه. كقولهم: "ارفع المهر بهرب الصهر"، و"اللي ما بده يجوز بنته يزود مهرها". أي جعلوا من غلاء المهور وسيلة من وسائل صرف الخطأب، بسبب عدم رغبة الآباء في تزويج بناتهم، أو عدم رغبتهم في إقامة علاقة نسب مع عائلات المتقدمين للزواج.

وقولهم: "إلي بده المليحة بدفع مهرها"، أي من يرغب في الزواج من فتاة جميلة لا يهيمه قيمة المهر. وإن ارتفع.. وقد ذهب المثل إلى أبعد من ذلك فقال: "اللي بده الملاح ببيع السلاح"، أي أن الشاب الذي يريد أن يظفر بالفتاة الجميلة والمليحة قد يلجأ إلى بيع السلاح. كونه يباع بأثمان مرتفعة من جهة، وفيه مخاطرة من جهة أخرى. من أجل أن يحصل على المال الكثير ليوفر المهر المطلوب.

وقد نادى المثل بعدم الندم أو التباكي على ما يدفع من مهر للفتاة الجميلة مهما علت قيمته، فقالوا: "يا ميخذ الملاح لا تكون نواح". بل أن الأمثال اعتبرت

أن من يملك المال يستطيع أن يخطب بنت السلطان فقالوا: "إلي بدفع فلوسه بنت السلطان عروسه".

وفي مواضع أخرى بينت الأمثال مبررات ارتفاع المهر. فهم يعتقدون أنه كلما ارتفعت قيمة المهر كلما تمسك الزوج بزوجه أكثر، وقل لجوءه للتفريط بالحياة الأسرية. فقالوا: "الجيزة إلي ببلاش طلاقها أهون"، إلا أن هذا المثل لا يتفق مع الأحاديث النبوية التي زهدت في المهور، وهذا يعكس الاعتقاد الخاطئ عند الكثير من الناس أنه إن قل قيمة المهر فهو من علامات التقليل من قيمة الفتاة ومكانتها هذا من ناحية، وإن وصلت الحياة الزوجية إلى طريق مسدود وانعدمت أفق الحوار والتفاهم بين الزوجين فإن الزوج سيقدم على الطلاق مهما كانت قيمة المؤخر الذي سيدفعه من ناحية أخرى. إذن لا المقدم ولا المؤخر يحمي الأسرة من الطلاق.

أسباب غلاء المهور

من أبرز أسباب غلاء المهور . التي هي في أغلب الأحيان نتيجة اعتقادات خاطئة وعادات اجتماعية سلبية ليست من الدين في شيء .:

١. الحصار الصهيوني:

منذ أن فرض الحصار الصهيوني على المجتمع الفلسطيني مع اندلاع انتفاضة الأقصى في (٢٨/٩/٢٠٠٠م)، وقد ترتب عليه الكثير من المشكلات الاجتماعية ك(البطالة، والفقر، والعنف الأسري، والسرققة، والقتل، وتعاطي

المخدرات، والتسول... إلخ)^١. ونظرا لظروف الحصار المحكم على قطاع غزة فبدلا من أن تعمل الأسر الفلسطينية على إزالة أو التخفيف من عقبات الزواج، نجدتها تسير في اتجاه عكسي حيث ارتفاع المهور بشكل فاحش تحت ذرائع اجتماعية شكلية وسطحية. الأمر الذي دفع بالكثير من الشباب للعزوف عن الزواج. ليس عزوفا من أجل العزوف، وإنما لعدم مقدرتهم على توفير متطلبات الزواج المبالغ فيها، والتي تتدرج في أحيان كثيرة تحت قائمة الترف، والإسراف، والبذخ، والتفاخر، والتباهي الاجتماعي، وليست من أساسيات الزواج في شيء.

عزوف الشباب عن الزواج ترتب عليه مشكلة اجتماعية أخرى هي (عنوسة الفتيات). وفي استطلاع قام به الباحث (بسام أبو عليان) حول "أسباب ارتفاع العنوسة عند الفتيات وعزوف الشباب عن الزواج"^٢، تبين أن (٦٤%) من العينة يعتبرون أن غلاء المهور هو سبب ارتفاع العنوسة عند الفتيات، و(٧٥%) يعتبرون غلاء المهور هو سبب عزوف الشباب عن الزواج.

وعليه؛ فإن العلاقة بين عزوف الشباب عن الزواج وعنوسة الفتيات علاقة تبادلية، بحيث أن كل منهما مرتبط بالآخر، وكلاهما مرتبطان بظاهرة غلاء المهور. ولم تتفق نتائج دراسة حول مشكلة اجتماعية كاتفاقها على نتائج ظاهرة غلاء المهور. بحيث أجمعت جميع استطلاعات الرأي التي أجريت في العديد من المجتمعات العربية على أن السبب الرئيسي الذي يقف وراء عزوف الشباب عن الزواج وعنوسة الفتيات هو ارتفاع المهور.

^١ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: بسام أبو عليان، المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الحصار، ورقة بحثية مقدمة إلى اليوم الدراسي بعنوان: "الحصار وانعكاساته على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة"، جامعة القدس المفتوحة - خانينوس، السبت ٢٠٠٩/١٢/١٩ م.
^٢ بسام أبو عليان، دور غلاء المهور في ارتفاع العنوسة عند الفتيات وعزوف الشباب عن الزواج، مرجع سابق.

٢. ارتفاع الأسعار والغلاء الفاحش:

طالما هناك حصار خانق، وشح في الموارد والسلع الأساسية، فإنه سيترتب عليه غلاء في الأسعار. ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الغلاء على الزواج. لذلك تجاوزت قيمة المهر المقدم (المعجل) في بعض مناطق قطاع غزة على الخمسة آلاف دينار أردني، في حين هذا المبلغ لم يكن كذلك قبل الحصار، حيث كان لا يتجاوز الثلاثة آلاف دينار أردني في أعلى معدلاته.

وفي ظل ندرة المواد الخام وعدم قدرة الشباب على تأمين السكن، وعدم توافر السلع الأساسية لتأثيث البيوت لجأ الكثير من الشباب المقبلين على الزواج. وقت اشتداد الأزمة والحصار على قطاع غزة. إلى ترميم غرف النوم القديمة. كذلك في ظل الارتفاع الفاحش لسعر الذهب انتشرت ظاهرة جديدة وهي الحصول على (الذهب الصيني) الأقل جودة، أو (الذهب المستعار) من الأقارب. هذا إلى جانب الارتفاع الفاحش في أسعار الأثاث والملابس والماكياج والإكسسوارات وبقية تجهيزات بيت الزوجية.

وتشير نتائج الاستطلاع. المشار له سابقا. أن (البطالة، وغلاء الأسعار) من أسباب عزوف الشباب عن الزواج، وكانت النسب على التوالي: (٨٣%) و(٥٦%).

٣. اعتقاد البعض كلما ارتفع المهر، كلما عكس قيمة ومكانة الفتاة:

تعتقد بعض الأسر الفلسطينية أن الجانب المادي في الزواج (قيمة المهر بشقيه المقدم والمؤخر) هو الذي يعكس قيمة الفتاة ومكانتها الاجتماعية. فيحاول الآباء جاهدين وبإصرار. إن لم يصل إلى حد العناد والتصلب. على ارتفاع قيمة

المهر، وكأن الفتاة تحولت إلى سلعة مادية تباع وتشتري، ويتم التفاوض على سعرها، فأهل الفتاة يحاولون طلب أعلى سعر ممكن، وأهل الشاب يبذلون جهوداً تفاوضية شاقة لأجل الحصول على أقل سعر ممكن. فتشعر حينها أنه لا يوجد احترام لكرامة وإنسانية الفتاة، فكل ما يهم الحضور الحديث عن (الفتاة السلعة). إن جاز التعبير، كل هذا من أجل أن تؤكد الأسرة على علو قيمة وشأن ابنتهم. وهذا اعتقاد خاطئ؛ لأن الواقع يبين عكس ذلك، فكم من حالة زواج تمت بمهر مرتفع إلا أن الزوجين لم يوفقا في زواجهما وانتهى الزواج بالطلاق بعد فترة قصيرة، قد لا تتجاوز السنتين، وهذا ما تؤكد المؤشرات الإحصائية الفلسطينية الرسمية^١.

كما أن المبالغة في ارتفاع المهور يتنافى مع التوجيهات النبوية التي رغبت في تخفيف المهور. سبق الحديث عن هذا الجانب. . وتشير نتائج الاستطلاع المشار إليه سابقاً. أن (٦٥%) يعتبرون "تدخل الأسرة في تحديد معايير الزواج" من أسباب انتشار العنوسة. و(٣٢%) يعتبرون "الشروط التعجيزية التي يضعها أهل الفتاة" من أسباب عزوف الشباب عن الزواج.

٤. التفاخر والتباهي الاجتماعي:

تلجأ الكثير من الأسر الفلسطينية إلى رفع قيمة المهور من أجل التفاخر والتباهي في الوسط الاجتماعي الذي يقيمون فيه. إن هذا الاعتقاد والتصرف يندرج ضمن قائمة العادات والتقاليد السلبية والممارسات السلوكية الخاطئة التي أرهقت الكثير من الأسر. الأمر الذي جعل بعض الأسر تهتم بالكماليات

^١ سيتم الحديث عن هذا الموضوع بشكل مفصل في الفصل الثاني.

والمظاهر الخارجية ولو على حساب الأساسيات والضروريات، وإن كان بالدين والافتراض من أجل أن تظهر الأسرة بالمظهر اللائق أمام الآخرين!!

من صور التفاخر والتباهي الاجتماعي: ارتفاع قيمة المهر بشقيه المقدم والمؤخر، وفخامة غرفة النوم، واستعدادات وتجهيزات وطقوس الخطبة والزواج، وكمية ونوعية الذهب، وتكاليف الوليمة، والمكانة الاجتماعية للضيوف والمدعوون للفرح، وفخامة صالة الأفراح، وعدد ونوعية السيارات، وبعضهم يبالغ بأن يكون للفتاة شقة خاصة بعيدا عن بيت الأهل... إلخ.

ومما يؤكد صحة هذا التوجه ما بينته نتائج دراسة أجريت في الكويت أن (٦٢.٣%) من الرجال و(٥٣.٧%) من النساء يرون أن الأسرة الكويتية تتشدد في مهر الفتيات. وأكد (٧٥.٨%) من الرجال و(٦٤.٧%) من النساء أن معظم المهر يتم إنفاقه على الكماليات. ويرى (٧٥%) أن قيمة المهر هي التي تقف عقبة أمام إتمام الزواج^١. أما في فلسطين فقد بين استطلاع الرأي . المشار إليه سابقا . أن (٤٦%) يرون من أسباب عزوف الشباب عن الزواج: "كمية الذهب المبالغ فيه".

٥. اعتقاد البعض كلما كانت الفتاة جميلة، أو ذات تعليم جامعي، يجب أن يكون مهرها عاليا:

من الناحية الموضوعية يجب أن تتميز الفتاة ذات الجمال الأخاذ والتعليم العالي عن الفتيات اللاتي ليس لهن حظا وافرا من الجمال أو التعليم. إلا أن هذا التمييز يجب ألا يكون بشكل مبالغ فيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى بين لنا

^١ غلاء المهور وراء عزوف الشباب عن الزواج، جريدة اليوم،

<http://www.alamalyawm.com/ArticleDetail.aspx?artid=٧٨٣٧٥>

رسول الله ﷺ أربعة معايير لاختيار الزوجة، هي: (المال، والحسب، والجمال، والدين)، ثم رَجَّح معيار (الدين). كون أن الدين هو الحصن الذي يحفظ البيوت، ويضمن ديمومة العلاقة الزوجية. ثم ما قيمة الشهادة العلمية أو الجمال إن لم يكن الزوجان على فهم بتعاليم دينهم الأساسية، ولم يفهم ويعرف كل من الزوج والزوجة حقوقه وواجباته!

٦. عمل الفتاة:

يتخذ بعض الآباء من عمل الفتاة مبررا له كي يغالي في قيمة المهر. وصنف آخر يعتقد حينما يتقدم شاب لخطبة ابنته الموظفة إنما جاء طمعا في راتبها. لذلك يلجئون إلى رفع قيمة المهر. وهذا الارتفاع يعود لأحد سببين:

الأول: تنفير الشاب من الخطبة، وهو شكل من أشكال الرفض غير

المباشر، وهؤلاء أخذوا المثل الشعبي: "اللي ما بده يزوج بنته يزود مهرها".

الثاني: عدم رغبة الأسرة في تزويج الفتاة باعتبارها مصدرا لدخل للأسرة،

وإن زوجت سيحف هذا المنبع. وهذا يعكس حالة الأنانية يعيشها الآباء الذين

قدموا مصالحهم على مصلحة بناتهم، كما يعكس الظلم الذي تعيشه مثل هذه

الفتاة. ويدعم الكلام السابق ما كشفت عنه دراسة سعودية أن (٢٣%) من آباء

الفتيات الموظفات يرفضون تزويج بناتهم الموظفات لأنه متزوج من اثنتين وهو

بحاجة إلى راتب ابنته حتى يتسنى له الإنفاق على الأُسرتين^١.

^١ المرجع نفسه.

٧. اعتقاد البعض أن ارتفاع المهر يمنع الزوج من تعدد الزوجات:
يعتقد بعض الآباء أنه بارتفاع قيمة المهر يمكن أن تلجم وتقيد الرجل وتمنعه من مجرد التفكير في تعدد الزوجات. وقد جهلوا أنه إذا وصلت الحياة الزوجية إلى طريق مسدود ولا يمكن استمرار العلاقة الزوجية سيقدم الزوج على الانفصال مهما ارتفعت التكاليف والنفقات التي تنتظره. وإن كان المؤخر عالياً قد يلجأ الزوج لإتباع أسلوب تضيق الخناق على الزوجة، والإهمال، والإيذاء النفسي، أو العنف الجسدي حتى تصل الزوجة إلى حد تطلب فيه الطلاق والتنازل عن حقوقها من أجل أن تتخلص من الجحيم الذي تعيشه. ولم يجعلها تنال ذلك إلا إذا تنازلت عن كل حقوقها. الحقوق التي كان يعتقد أهل الفتاة أنها ستكون صمام الأمان و طوق النجاة لابنتهم من الطلاق !!

٨. ترديد بعض الآباء أن الفتاة منذ ولادتها حتى أنهت تعليمها كلفت الأسرة الكثير من المصاريف لذا يجب استرداد شيئاً من هذا المال برفع المهر. من يستمع لتلك الآراء يشعر وكأنه يبيع ويشترى سلعة من السوق، وفي ذلك امتهان لكرامة المرأة وإهدارا لكرامتها.

المشكلات الاجتماعية المترتبة على غلاء المهور

١. عزوف الشباب عن الزواج وما يترتب عليه من مشكلات اجتماعية:
إن عزوف الشباب عن الزواج بفتح المجال أمام العديد من المشكلات الاجتماعية الشبابية، ومن صور هذه المشكلات: إشباع رغباتهم الجنسية المكبوتة بطرق غير مشروعة مثل: ممارسة العادة السرية (الاستمناء)، أو متابعة المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، أو تبادل المقاطع الإباحية المرئية عبر

البلوثوث على الجوالات الحديثة، أو تبادل الأقراص الإباحية المدمجة، ومشاهدة الصورة الخليعة، وتبادل المجلات الفاضحة، أو ممارسة الفاحشة، هذا إلى جانب انتشار الأعضاء التناسلية المطاطية بين الجنسين. وما يترتب على ذلك من تمزيق نسيج العلاقات الاجتماعية، وتدمير بنية الأخلاق الحميدة في المجتمع. وفي هذا الصدد كتب (كمال علاونة): "إن العزوف عن الزواج يسبب تآكلا في الأخلاق الحميدة ويدمر المجتمع ويحرمه من التكاثر الطبيعي الشرعي ويؤدي إلى نزوع شباب وفتيات نحو الفاحشة مع ما يسببه ذلك من ضياع لحقوق الأطفال ويجعل العلاقات الأسرية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي متوترة قلقة وغير مستقرة نفسيا واجتماعيا ودينيا فتظهر حالات القتل على الشرف بسبب ارتكاب فاحشة الزنا والفتاة هي عادة الضحية في المجتمع في مثل هذه الحالات الانحرافية الشاذة عن الدين الإسلامي"^١.

٢. تنامي ظاهرة عنوسة الفتيات:

بينت المؤشرات الإحصائية الواردة من العديد من المجتمعات العربية مدى ارتفاع ظاهرة عنوسة الفتيات بشكل ملفت للنظر. وفي هذا المقام نسترد ببعض الأرقام. في مصر وصل عدد الشباب والفتيات الذين تجاوزوا سن الزواج ولم يتزوجوا حوالي تسعة مليون نسمة. وفي السعودية يوجد مليون عانسا. ونسبة العوانس في قطر (١٥%)، وفي الكويت (١٨%)، وفي البحرين (٢٠%)^٢. وفي العراق حوالي ستة وثلاثين مليون عانسا، وفي الجزائر (٦١.٨%)، وفي

^١ كمال إبراهيم علاونة، الزواج في فلسطين المباركة.. وتخفيض المهور وتبعات الخطبة والزواج المالية، نقلا عن: شبكة الإسراء والمعراج، ١٠١٤ [/http://www.israj.net/vb/t1014](http://www.israj.net/vb/t1014)

^٢ نهى عدنان قرطاجي، العنوسة معاناة إنسانية تهدد البناء الاجتماعي. نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، <http://saaid.net/book/open.php?cat=٦&book=٣٦١٠>

الإمارات خمسة وثلاثين ألف عانسا^١. وفي ليبيا (٣٠%)، وفي كل من السودان والصومال (٢٠%)، وفي كل من سلطنة عمان والمغرب (١٠%)، وفي كل من سوريا ولبنان والأردن (٥%)^٢.

إن هذا الارتفاع في نسبة العوانس يترتب عليه الكثير من المشكلات الاجتماعية في صفوف العوانس، وهي لا تختلف عن المشكلات التي ذكرت في صفوف الشباب.

٣. انتشار ظاهرة الزنا:

من يتابع المواقع الإخبارية على شبكة الإنترنت أو الصحف الورقية يجد أنه لا تمر أيام معدودة إلا ونقرأ خبراً أو أكثر في مجتمع عربي أو مجتمع إسلامي من قبيل: الإمساك بخلايا تعمل على نشر الرذيلة في أوساط الشباب والفتيات، أو القبض على شبكات للدعارة والعمل على تفكيكها، أو القتل على قضايا الشرف.

ومن الأسباب التي تساعد في انتشار هذه الظاهرة: تأخر سن الزواج بشكل مبالغ فيه في صفوف الشباب والفتيات، كأن يتجاوز الشاب سن الخامسة والعشرين وهو لازال عازباً، وغلاء المهور، وتأثير الفضائيات والغزو الإعلامي الذي يشجع على ممارسة الرذيلة، وضعف الوازع الديني، وضعف. إن لم يكن. غياب الرقابة الأسرية على الأبناء، وتأثير رفاق السوء، وانتشار المقاهي

^١ فضيلة عرفات، ظاهرة تأخير سن الزواج (العنوسة) في المجتمع العراقي، مركز النور،

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=٤١١٤٩>

^٢ العنوسة في المجتمع العربي، مرجع سابق.

والمطاعم الفخمة والأماكن الخاصة التي تشجع على الخلوات غير الشرعية دون رقابة من ذوي الاختصاص.

٤. يشجع غلاء المهور على انتشار ظاهرة "الزواج العرفي". - سبق الحديث عنه بشكل مفصل ..

٥. الزواج من أجنبيات:

في ظل ارتفاع المهور، ومن باب الهروب من نيران المهور الملتهية فإن الشباب يتجهون نحو الزواج من أجنبيات (من غير الفلسطينيات)، ووفق ما بينه استطلاع الرأي الذي قام به الباحث . المشار له سابقا . فقد بين أن (٢٣%) من الشباب الفلسطينيين يفضلون الزواج من أجنبيات . لاسيما الأعاجم . لأن هذا الزواج لا يحتاج إلى تكاليف كبيرة مثلما هو الحال في المجتمع الفلسطيني.

طرق للوقاية والحد من ظاهرة غلاء المهور:

(١) العمل الجاد لبيان خطورة غلاء المهور على البناء الاجتماعي عموماً، وعلى النظام الأسري تحديداً على المدى البعيد، حيث يترتب عليه التحلل الأخلاقي، والقيمي، والاجتماعي، ونشر الرذيلة في أوساط الشباب والشابات الذين تجاوزت أعمارهم سن الزواج.

(٢) تفعيل دور وسائل الإعلام لبيان موقف الإسلام في الترغيب في الزواج، وتخفيف المهور، والإشارة إلى المخاطر الأخلاقية والاجتماعية والنفسية المترتبة على تلك الظاهرة من خلال البرامج المتنوعة، والحملات الإعلامية، والمواقف الكوميديّة الهادفة.

- (٣) عقد محاضرات وندوات تثقيفية وتوعوية للجماهير تبين المشكلات النفسية والاجتماعية والسلوكية المترتبة على غلاء المهور عند الشباب والفتيات الذين تجاوزوا سن الزواج.
- (٤) العمل على إيجاد المؤسسات الاجتماعية التي تتبنى قضايا تيسير الزواج من خلال توفير القروض، والمنح المالية، والمساعدات المادية حتى تخفف على كاهل الشباب بعضاً من تكاليف الزواج الباهظة.
- (٥) تشجيع وتنفيذ مشروعات الزواج الجماعي، علماً أن هناك محاولات ضعيفة في المجتمع الفلسطيني في هذا الاتجاه.
- (٦) قيام الدعاة وقادة الرأي والعلماء بمبادرات لتخفيف المهور عند تزويج بناتهم والابتعاد عن الإسراف في طقوس الزواج ليكونوا قدوة لغيرهم.
- (٧) التخفيف من مظاهر الإسراف والبخ في الكماليات، كالعدد الزائد عن الحد في السيارات، واللوائيم الكبيرة، والزخرفة والبهرجة، ومكبرات الصوت، والفرق الموسيقية الماجنة... إلخ.
- (٨) العمل صياغة ميثاق شرف بين الوجهاء، ومخاتير العائلات، والدعاة يحث على تخفيف المهور لترغيب الشباب في الزواج وللحد من العنوسة.

النظريات الاجتماعية والنفسية المفسرة للزواج^١

١. نظرية التماثل:

تركز نظرية التماثل على أن الشاب الذي يريد الزواج يبحث عن زوجة تكون شبيهة له في: الصفات، والخصائص الشخصية، والصفات الجسمية، والمكانة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، والبيئة الاجتماعية، والديانة، والمستوى الاقتصادي، والطباع، والعادات والتقاليد.

٢. نظرية التجاور المكاني:

تركز نظرية التجاور المكاني على أن الشاب يبحث عن زوجة تكون من نفس البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها (بدو، ريف، حضر) أو من نفس الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها (عليا، وسطى، دنيا)، أو من نفس مهنته (معلمة، طبيبة، مهندسة، باحثة اجتماعية، أخصائية نفسية... إلخ)، وأن تكون من الأسر التي يعرفها عن قرب، كأن تكون من نفس الحي الذي يقطن فيه.

وتتفق نظرية التجاور المكاني مع النظرية السابقة (التماثل) في البحث عن الخصائص المشتركة والمتشابهة بين الأسرتين من الناحية الاجتماعية، والتعليمية، والاقتصادية، والدينية... إلخ.

٣. نظرية التجاذب التكميلي:

تعد نظرية التجاذب التكميلي نظرية نفسية بالدرجة الأولى، ومن روادها (روبرت ونش) الذي أكد على أن الناس ينجذبون إلى الأفراد الذين يكملون أوجه

^١ بتصرف عن: يوسف أبو ليلي، وآخرون، علم الاجتماع الأسري، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، برنامج التنمية الاجتماعية والأسرية، ٢٠٠٨م، ص ١٨.

النقص الموجودة عندهم، فبالزواج يصير الزوجان أكثر تكاملاً من ذي قبل. على سبيل المثال: الشاب غير المتعلم يبحث عن زوجة متعلمة لتكمل نقص التعليم عنده، والشاب العاطل عن العمل يبحث عن زوجة موظفة لتكمل نقص عنده المتمثل في الجانب الوظيفي، وهكذا.

٤. نظرية التحليل النفسي:

أيضاً هذه نظرية نفسية من روادها (سيجموند فرويد) الذي يرى أن الشاب عندما يبحث عن زوجة، فهو يبحث عن فتاة تكون شبيهة له لتحميه. ويكون اختياره لشريكة حياته بصورة لا شعورية.

الفصل الثاني

الأسرة

مقدمة:

لا يختلف اثنان من ذوي الألباب على مكانة الصدارة التي تحتلها الأسرة في المجتمعات الإنسانية، بل تعد الأسرة أول وحدة اجتماعية أوجدها الله منذ خلق الخلق، بأن كَوْن أسرة (نواة) من آدم عليه السلام وزوجته حواء، ثم تتابع النسل بذريتهما إلى أن تكاثر النسل والخلق. لذلك فإن الأسرة تعد اللبنة الأساسية، وحجر الأساس في بناء أي جماعة أو مجتمع إنساني. ونظرا لمكانة الأسرة المهمة فقد كانت محط اهتمام الفلاسفة، والحكماء، والشعراء، والأدباء منذ زمن بعيد، ثم أصبحت محل اهتمام الرسل، والأنبياء، والدعاة، والمصلحين، وكذلك محل اهتمام علماء العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التربية، وعلم النفس الاجتماعي، والأنثروبولوجيا، والإحصاء، بل أصبح يشاركها العلوم الطبيعية والطبية. وكل علم من تلك العلوم يدرس الأسرة والظواهر المتعلقة بها من وجهة نظره، وقد درسوا كافة الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالأسرة، بدءا بالزواج، مروراً بالعلاقات الأسرية، والتنشئة الاجتماعية، والطلاق، والزواج المبكر، وتعدد الزوجات، والاستقرار الزوجي... إلخ. كل ذلك لأن الأسرة هي التي تحفظ ديمومة واستمرارية المجتمع الإنساني، وهي التي تمدّه بالأفراد الذين يحافظون على بنائه. ولأهمية الأسرة في المجتمعات المعاصرة وجدت المؤسسات الحكومية، والأهلية، والدولية . التي تعنى بقضايا وشؤون ومشكلات الأسرة، حتى تتابع قضايا الأسرة عن قرب.

للأهمية السابقة للأسرة جاء هذا الفصل، الذي سنتناول فيه أهم القضايا المتعلقة بموضوع الأسرة. كتعريف الأسرة، وخصائصها، ووظائفها، وأنواع الأسرة، والتغيرات الاجتماعية التي لحقت بالأسرة.

تعريف الأسرة:

يعد مفهوم الأسرة من المفاهيم الرئيسية وشائعة التداول في كتابات علم الاجتماع، وقد اختلفت تعريفاتها، إلا أنه وإن اختلفت الألفاظ والتراكيب اللغوية فإنها تتفق في الجوهر والمضمون، ومن بين تلك التعريفات:

سناء الخولي: "مجموعة من العلاقات الدائمة والمتشابكة بين أشخاص يشغلون مكانات اجتماعية اكتسبوها من خلال الزواج والإنجاب"^١.

محمد الزيان: "مجموعة من الأفراد المتكافلين، الذين يقيمون في بيئة شكلية خاصة بهم، وتربطهم مع علاقات بيولوجية، ونفسية، وعاطفية، واجتماعية، واقتصادية، وشرعية، وقانونية"^٢.

أوجبرن: "رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال، أو زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة مفردة مع أطفالها... وقد تشمل أفراداً آخرين كالجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوج والزوجة والأطفال"^٣.

^١ المرجع نفسه، ص ٢٠.

^٢ فاطمة المنتصر الكتاني، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، ط١، رام الله، دار الشروق، ٢٠٠٠م، ص ٤٨.

^٣ بسام محمد أبو عليان، أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة اليمنية وأثرها على التحصيل الدراسي عند الأبناء، رسالة ماجستير، اليمن، جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م، ص ٤٠.

عبد الباسط محمد: "جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين مع أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني"^١.

قاموس علم الاجتماع: "جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة يقوم بينهما روابط زوجية، ويطلق على هذا الشكل الأسرة النووية"^٢.
بناء على التعريفات السابقة، فإننا نعرف الأسرة: "مؤسسة اجتماعية تتكون من رجل وامرأة بينهما رباط مقدس يقره الدين والمجتمع، قد يكون لهما أبناء أو بدون، وقد تضم بعض الأقارب كالأجداد، وتتسم العلاقات فيها بالمباشرة، وتقوم بالعديد من الوظائف البيولوجية، والتربوية، والتعليمية، والاقتصادية، ونقل التراث الثقافي".

خصائص الأسرة:

١. الأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع، ولا يخلو منها أي مجتمع بشري على الأرض بصرف النظر عن درجة تحضره أو تأخره.
٢. تتكون الأسرة عبر طقوس ومراسم وقواعد يقرها الدين وثقافة المجتمع.
٣. الأسرة هي المكان الصحيح الذي يحظى بالشرعية ورضا الدين والمجتمع ليشبع الفرد حاجاته الجنسية، وإنجاب الذرية.

^١ المرجع نفسه، ص ٤٠.

^٢ بسام محمد أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، ط ٢، غزة، مكتبة بيتنا، ٢٠١١م، ص ١١٥.

٤. الأسرة عمل جماعي مشترك، أي لا يقوم به فرد لوحده، بل يشترك فيه العديد من النظم الاجتماعية، كالنظام الديني، والنظام الأسري، والنظام الاقتصادي، والنظام الصحي.
٥. تقوم الأسرة بوظيفة نقل ثقافة وقيم ومعتقدات المجتمع إلى الأبناء.
٦. تؤثر الأسرة وتتأثر بالنظم الاجتماعية الأخرى.
٧. تتسم الأسرة بالديناميكية حيث تغيرت فيها المراكز والأدوار الاجتماعية. مثلا تراجع سلطة الرأي الواحد المناطة بالرجل، وحلت محلها ثقافة الحوار والشورى.
٨. انتشار نمط الأسرة النواة، مقابل تقلص نمط الأسرة الممتدة.
٩. اهتمام الأسرة بالكماليات، وتنامي السلوك الاستهلاكي.
١٠. أصبحت الأسرة محط اهتمام علم الإحصاء، فمن خلالها يتم التعرف على عدد السكان، ونسبة الذكور والإناث في المجتمع، ونسبة الأطفال والشباب والشيوخ، والمستوى المعيشي، ومقدار الدخل... إلخ.

أشكال الأسرة:

(١) الأسرة الممتدة:

"تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين، والأبناء المتزوجون وزوجاتهم وأبنائهم، ويقيمون في سكن واحد، ونظام اقتصادي مشترك".

خصائص الأسرة الممتدة:

- يوجد فيها ثلاثة أجيال (الأباء، والأبناء، والأحفاد).
- الإقامة في سكن مشترك.

- كبر مساحة السكن.
- الاقتصاد المشترك.
- سيادة السلطة الذكورية (البطركية).
- ضيق مساحة الحرية الفردية، والتدخل في شؤون الأفراد الخاصة كاختيار التعليم، والمهنة، وشريك الحياة.
- التقسيم التقليدي للعمل. الرجل يعمل خارج البيت، والمرأة تعمل داخله.
- كبر حجم الأسرة وهذا من باب التفاخر والعزوة والسند.
- التدخلات القرابية في القضايا الأسرية كالزواج والطلاق.
- قوة ومتانة العلاقات القرابية وصلة الرحم.
- الزواج المبكر.

٢) الأسرة النواة:

"تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين".

خصائص الأسرة النواة:

- استقلالية السكن.
- ضيق مساحة السكن.
- الاستقلال الاقتصادي.
- تغيير الأدوار الاجتماعية، مثل: مشاركة الرجل في الأعمال المنزلية، وإكمال المرأة للتعليم الجامعي وما بعد الجامعي... إلخ.
- عمل المرأة خارج البيت إن سنحت الفرصة لذلك.
- زيادة مساحة الحرية الممنوحة للأبناء في اختيار التخصص العلمي،

والمهنة، والزواج.

- تأخر سن الزواج عند الجنسين.
- تراجع السلطة الذكورية، وزيادة مساحة الديمقراطية.
- صغر حجم الأسرة، وتشجيع تنظيم النسل وتباعد الولادات.
- ضعف التدخلات القرابية في شؤون الحياة الأسرية.
- ضعف العلاقات القرابية وصلة الرحم، واقتصارها على المناسبات الاجتماعية كالأعياد والأفراح، في مقابل تقوية علاقات زملاء العمل.
- الاهتمام بالكماليات والمظاهر المادية.
- زيادة النزعة الاستهلاكية.

وظائف الأسرة:

كانت الأسرة حتى وقت قريب تقوم بالعديد من الوظائف الاجتماعية، فكانت مؤسسة اقتصادية تشرف على عمليات الإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك. وكانت مؤسسة تشريعية تحدد الحقوق وتبين الواجبات للأفراد، وتفرض العقوبات على المذنبين والمقصرين، وتفرض النزاعات والخلافات بين المتشاحنين. وقبل هذا كانت مؤسسة اجتماعية تربوية تشرف على التنشئة الاجتماعية، ومؤسسة تعليمية. لكن التغيرات الاجتماعية المتسارعة أفقدت الأسرة كل وظائفها ولم يبق لها إلا وظيفتان رئيسيتان، هما: (الإنجاب، والتنشئة الاجتماعية). فوظيفة الإنجاب لا يستطيع أحد أن ينازع فيها الأسرة، لأن المجتمع لا يقبل إلا بالأفراد الشرعيين الذين أتوا وفق زواج مشروع، وإن كانوا غير ذلك تعرضوا للامتهان والإزدراء والتحقير والإهمال. أما وظيفة التنشئة الاجتماعية ليست حكراً على

الأسرة، صحيح أنها تقوم بدور رئيسي فيها إلا أن هناك العديد من المؤسسات الاجتماعية كـ(المدرسة، ووسائل الإعلام، والأحزاب، ودور العبادة، والنوادي) باتت تقاسم بل تتنازع الأسرة فيها. أما بقية الوظائف الاجتماعية فقد وزعت على مؤسسات المجتمع. إلا أن فقدان تلك الوظائف لا يعني فقدانها بالكلية، فهي لا زالت تمارسها الأسرة في حدود ضيقة، وفيما يلي توضيح لأهم الوظائف الأسرية:

(١) الوظيفة البيولوجية:

الإنسان مجبول على الميل نحو الجنس الآخر، وهذه من الحاجات البيولوجية التي يجب إشباعها، لكن ليس بصورة عشوائية وفوضوية مثلما كان في المجتمعات المشاعية، إنما يتم إشباعها وفق التشريعات الدينية والمعايير المجتمعية. لكي تحفظ النسل، وتمنع اختلاط الأنساب، وتحمي الأجيال القادمة، وتضمن استمرارية المجتمع. بمعنى آخر يكون إشباع الحاجة البيولوجية من خلال الزواج. وديننا الإسلامي "يعترف بفطرية الدافع الجنسي، ويقدر قوته وفعالته وتأثيره على سلوك الرجل والمرأة، ومن ثم فهو لا يستقذره ولا يستحقره، ويحرم الوسائل التي تقضي عليه [كالإخصاء]، وينظم له الجو الأمثل لتلبيته التي يتحقق معها في الغالب الغاية المنوطة به، وهي إنجاب الذرية"^١.

حتى تقوم الأسرة بوظيفتها البيولوجية بشكل صحيح يجب على الأزواج إتباع

الآتي:

○ إجراء الفحوصات الطبية والمخبرية اللازمة قبل الزواج؛ للتأكد من سلامة

^١ محمد السيد محمد الزعلاوي، المراهق المسلم، ج٤، ط١، سلسلة دراسات نفسية تربوية إسلامية، الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٨م، ص٢٩-٣٠.

- الأزواج وخلوهم من الأمراض الوراثية، واستعدادهم الصحي للزواج. مثل:
- فحص الثلاثيميا، وفحص نقص المناعة (الإيدز).
 - التأكد من سلامة الأزواج من الإعاقات الجسمية والعقلية، والأمراض المزمنة، والأمراض المعدية.
 - الإيمان بسياسة تنظيم النسل . لا تحديده .، وتباعد الولادات حفاظا على سلامة وصحة الأم.
 - أثناء الحمل على الأم الابتعاد عن التدخين وشرب الكحول، وألا تعرض نفسها على جهاز الأشعة، وألا تتناول الأدوية والعقاقير الطبية دون استشارة الطبيب، لئلا تعرض الجنين للتشوهات والإعاقات الخلقية.
 - انتظام زيارات الزوجة لمراكز الأمومة والطفولة من لحظة الحمل الأولى حتى الوضع وما بعده للتأكد من سلامة الجنين والطفل.
 - إتباع أنظمة التغذية السليمة الذي تساعد في الحفاظ على سلامة الجسد.

(٢) التنشئة الاجتماعية:

- في هذه السطور سنتحدث بشكل مختصر عن التنشئة الاجتماعية، لأنه سيفرد لها فصل مستقل. ومن أبرز خصائصها:
- الأسرة هي أول من يستقبل الطفل، وتحوله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
 - الأسرة تزود الطفل بالخبرات الاجتماعية والتجارب الحياتية المختلفة، وتغرس فيه ثقافة المجتمع.
 - الأسرة تشكل شخصية الطفل وتكون اتجاهاته نحو العديد من القضايا

الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية السائدة في المجتمع.

- مكانة الأسرة الاجتماعية، وحجمها، ومستواها الاقتصادي، وحالتها التعليمية، وبيئتها الاجتماعية تؤثر على أساليب التنشئة الاجتماعية.
- ترتيب الفرد في الأسرة ونوعه تؤثر على أساليب التنشئة الاجتماعية.

٣) الوظيفة النفسية:

يتأثر النمو النفسي والاجتماعي والجسمي للطفل بالمناخ الأسري العام. لذلك فإن الشخصية السوية تنمو في جو أسري قوامه المحبة والدفء العاطفي، وفي ظل كيان أسري يحترم شخصية الطفل، ويقدر مهاراته واستعداداته، ويغرس فيه الثقة بالنفس. أما إذا كان الجو الأسري مضطرباً ومفككا فإنه يحرم الطفل من حقه في الدفء العاطفي، ويسلبه حرية التعبير، ويحرمه من النضج السليم.

٤) الوظيفة الاقتصادية:

بات معروفاً أن المجتمعات الريفية يكثر فيها نمط الأسر الممتدة، التي تقوم بالعديد من الوظائف الاقتصادية، وتعتمد على الاكتفاء الذاتي. لكن مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية تحولت الأسرة من وحدة إنتاجية إلى وحدة استهلاكية، واقتصر دورها على تدبير شؤون الاقتصاد المنزلي. ومع زيادة نفقات واحتياجات الأسرة اضطر الزوج للبحث عن عمل إضافي، فضلا عن اضطرار المرأة للعمل حتى تساعد زوجها في تحسين المستوى المعيشي. كما حققت المرأة قدراً من الاستقلال الاقتصادي وأصبحت تعتمد على نفسها في كثير من المواقف الاجتماعية. هذا إلى جانب حرية الأبناء في اختيار المهنة التي تناسبهم ولم يعودوا مجبرين على التمسك بالوراثة الوظيفية التي يأخذها الخلف عن السلف.

٥) وظيفة نقل التراث الثقافي:

في الغالب ينظر إلى التراث الثقافي على أنه ماثل في سلوك ووجدان أفراد المجتمع. وقد يكون مدون في بطون الكتب، وقد يكون أشياء مادية موجودة في المتاحف. والأسرة تؤدي دورا كبيرا وفاعلا في الحفاظ على التراث ونقله إلى الأجيال من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية المقصودة وغير المقصودة.

٦) الوظيفة الدينية:

تعتبر الأسرة هي المكان الأول الذي يتشرب فيه الطفل التعاليم الدينية الصحيحة، عن طريق التعلم، أو التقليد، أو التلقين. فعن طريق الأسرة يتعلم الطفل معاني الحلال والحرام، الخير والشر، الصحيح والخطأ. بالإضافة إلى بعض العبادات كالصلاة، والصيام، والصدقة، وصلة الرحم، وبر الوالدين، العطف على المساكين والمحتاجين... إلخ.

الأسرة والتغير الاجتماعي

الأسرة كنظام اجتماعي هي نظام ديناميكي تؤثر وتتأثر بالنظم الاجتماعية الأخرى، وبالتالي فهي تعرضت للتغيرات الاجتماعية، التي انعكست على شكلها ووظائفها، ومن أبرز هذه التغيرات:

- ١- انتشار نمط الأسرة النواة مقابل تراجع نمط الأسرة الممتدة.
- ٢- تحولت الأسرة من وحدة إنتاجية تعتمد على الاكتفاء الذاتي، إلى وحدة استهلاكية غير منتجة.
- ٣- تراجع النسق البطرقي، والانتقال من تسلط الرأي الواحد إلى ثقافة الحوار والتفاهم.

- ٤- منح الإناث مزيداً من الحرية الفردية، وحق التعليم، وحق العمل، وحرية اختيار الزوج.
- ٥- منح الأطفال المزيد من الرعاية الصحية، وحمايتهم من الأمراض، ومواطن الخطر.
- ٦- الاعتماد على مؤسسات المجتمع في توفير الاحتياجات الاقتصادية، والتربوية، والتعليمية، والدينية، والصحية، والترفيهية... إلخ.
- ٧- فقدان الأسرة النووية للحماية في حال تعرضها للأزمات والمشكلات، بحيث لم تجد من تلجأ إليه من الأبناء.
- ٨- ارتفاع معدلات المشكلات الأسرية، مثل: (الطلاق، والزواج المبكر، والعلاقات الجنسية غير الشرعية، والعنف، وعمالة الأطفال، والتسول، والفقر، والاستهلاك، والتقليد الأعمى لثقافة وموضة الغرب... إلخ).
- ٩- فتور العلاقة بين الوالدين والأبناء، بالإضافة إلى غياب الرقابة الأسرية.
- ١٠- اختلاف وجهات نظر الوالدين في طريقة تنشئة الأبناء.
- ١١- مشكلات المرأة العاملة بحيث لا تستطيع التوازن بين متطلبات البيت والتزامات العمل.
- ١٢- ضعف الوازع الديني، وانتشار النزعة الاستهلاكية المترفة.

الأسرة الفلسطينية

تتشابه الأسرة الفلسطينية في الكثير من الصفات والخصائص البنائية والوظيفية التي تمتاز بها الأسرة العربية، إلا أنه توجد العديد من العوامل والمتغيرات الاجتماعية التي تجعل الأسرة الفلسطينية تختلف . إلى حد ما . عن الأسرة العربية بحكم الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، التي يعيشها المجتمع الفلسطيني بدء بالحكم العثماني، مروراً بالانتداب البريطاني، والاحتلال الإسرائيلي، وخضوع الضفة الغربية تحت سلطة الإدارة الأردنية قبل فك الارتباط، وخضوع قطاع غزة تحت سلطة الإدارة المصرية، انتهاء بقدوم السلطة الفلسطينية في تسعينات القرن الماضي. حيث أن لكل مرحلة من المراحل التاريخية السابقة انعكاساتها على المجتمع الفلسطيني بما فيها النظام الأسري.

لن نسبح كثيراً في بحر التاريخ الفلسطيني، وسنتحدث بشكل مختصر عن ثلاثة تجمعات للأسرة الفلسطينية، وهي:

أولاً/ الأسرة الفلسطينية في الداخل (الضفة الغربية وقطاع غزة).

ثانياً/ الأسرة الفلسطينية في المجتمع "الإسرائيلي".

ثالثاً/ الأسرة الفلسطينية في مخيمات اللاجئين.

أولاً: الأسرة الفلسطينية في الداخل (الضفة الغربية وقطاع غزة):

❖ الأسرة الفلسطينية نووية أم ممتدة؟:

في البداية لابد من التأكيد على أن الأسرة الفلسطينية اليوم ليست هي الأسرة الفلسطينية قبل التهجير، وقيام ما يسمى بدولة "إسرائيل" سنة ١٩٤٨م، لأنه لحق

بها الكثير من التغيرات على صعيد البناء الأسري، والعلاقات الأسرية، والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية حيث اضطرتهم الهجرة القسرية إلى ترك بيوتهم وأماكنهم وأراضيهم حفاظاً على أرواحهم وأعراضهم وأطفالهم وشيوخهم، فساحوا في أصقاع الأرض بين دول عربية وغربية، مما يعني تمزق نسيج الأسرة الفلسطينية وتفتت العلاقات القرابية، وقد أقاموا في مخيمات اللجوء والشتات التي تديرها وكالة الغوث الدولية (الأونروا) مما جعلهم يعيشون حالة من الاغتراب وأزمة الثقافة والهوية والازدواجية بين الثقافة والهوية الفلسطينية الأصلية من ناحية، وثقافة وهوية مجتمعات الشتات من ناحية أخرى. حتى العلاقات الاجتماعية الأسرية أصابها شيء من التمزق، بل قل الذوبان والتلاشي في بعض الحالات بحكم غياب قنوات التواصل الاجتماعي، وانقطاع الأخبار، حيث أن العائلة الواحدة وزعت على أكثر من مجتمع شتاتي. وإن كانت بعض الأسر بدأت تلم شملها بفضل وسائل التكنولوجيا الحديثة والمتطورة مثل: شبكة الإنترنت، والفضائيات، والهواتف والجوالات... إلخ.

على الرغم من محاولات التشتت والتمزيق إلا أن بعض الأسر الفلسطينية تفضل نمط الأسر الممتدة لأنها ترى في كثرة الأولاد العزوة والسند الداعم للأسرة في مواجهة صعوبات الحياة المختلفة، وأنهم يساهمون في حل الأزمات الاقتصادية الأسرية، ويعتبرون مصدراً للتباهي والتفاخر الاجتماعي، وأحياناً تدخل فيها فهمهم الخاطيء لبعض المفاهيم الدينية كفهمهم المشوه لحديث رسول الله ﷺ: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم"^١. وإن كان البعض يبرر زيادة عدد أفراد الأسرة الفلسطينية من منظور الثورة والمقاومة ضد العدو

^١ سنن أبو داود، ٢٠٥٠.

الصهيوني على اعتبار أنهم يخوضون صراعا ديموغرافيا لا يقل أهمية عن الصراع العسكري، أو الصراع الثقافي والحضاري. لئلا يحدث خلا في التركيب السكاني للمجتمع الفلسطيني، وتكون الغلبة العددية للأسرة الفلسطينية وليس للأسر اليهودية اللقيطة المجمعة من بقاع شتى من الأرض.

على الرغم مما سبق؛ فإن الأسرة الفلسطينية تميل نحو الأسرة النوواة، وهناك العديد من العوامل التي ساعدت على ذلك:

- تراجع نسبة الجهل والأمية، مقابل زيادة معدلات التعليم والسماح للأبناء . لاسيما للفتيات . بمواصلة التعليم الجامعي.
- ارتفاع منسوب الوعي والنضج الاجتماعي بين مختلف الشرائح والبيئات الاجتماعية.
- زيادة الوعي الديني وتصحيح بعض المفاهيم والسلوكيات الدينية الخاطئة عند العوام، مثل: (تنظيم النسل، وتعليم المرأة، وختان المرأة، وتعدد الزوجات، وحق المرأة في الميراث، وحق المرأة في العمل... إلخ).
- إدراك أهمية النتائج الإيجابية المترتبة على تربية الأبناء تربية صالحة. وهذا لن يتحقق ما لم يكن عدد أفراد الأسرة قليلا.
- الضائقة الاقتصادية التي تمر بها الأسر وعدم قدرتها على الإيفاء بمتطلبات أفراد الأسرة المتزايدة، دفع إلى تقليص عدد أفراد الأسرة.
- المشكلات الأسرية مثل: (مشكلة الحموات، وسوء العلاقة زوجات الأخوة، ومشكلات أولاد الأخوة)، تدفع الأبناء إلى الاستقلال في بيوت خارجة عن بيت العائلة.
- بُعد العمل عن مكان الإقامة، وصعوبة التنقل تدفع الزوج أن يستقل بأسرته

ونقلها إلى مكان العمل.

- ارتفاع نسبة التحضر.
- انتشار المشاريع السكنية، تشجع على الاستقلال عن بيت الأسرة الكبير.
- ظهور الطبقة المتوسطة التي تفضل الأسرة النوواة على الأسرة الممتدة.
- تدخل العوامل الخارجية القسرية، كالاغتداء الإسرائيلي الذي يفتت ويهجر الأسر قسرا وعنوة.

كل العوامل السابقة قد انعكست على الأسرة الفلسطينية فجعلها تميل نحو تفضيل الأسرة النوواة على الأسرة الممتدة. ويؤكد ذلك ما بينته مؤشرات المسح الديموغرافي للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني سنة ١٩٩٦م بأن الأسرة النوواة تمثل ثلثي الأسر في الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث بلغت نسبتها في الضفة الغربية (٧٢.٢%)، وفي قطاع غزة (٦٢.٧%). مقابل تراجع الأسر الممتدة التي تشكل (٢٧.٧%) من إجمالي الأسر في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتنتشر الأسر الممتدة في قطاع غزة أكثر من الضفة الغربية حيث بلغت نسبتها في الأولى (٣٥.٣%)، وفي الثانية (٢٤.٤%)^١.

أما بالنسبة لمتوسط حجم الأسرة الفلسطينية: بينت مؤشرات المسح الديموغرافي سنة ١٩٩٦م، أن متوسط حجم الأسرة (٧.٢) فردا في قطاع غزة، و(٦.٩) فردا في الضفة الغربية^٢. إلا أن هذا العدد تراجع بحسب المؤشرات الإحصائية لتعداد سنة ٢٠٠٧م، حيث بلغ متوسط حجم الأسرة بشكل عام

^١ حسين أحمد، التركيب الأسري في الضفة الغربية وقطاع غزة، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٤، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٠م، ص ٩٥-٩٦.

^٢ المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٥.٨) فردا. حيث أنها في الضفة الغربية (٥.٥) فردا، وفي قطاع غزة (٦.٥) فردا^١.

هذا التراجع في متوسط حجم الأسرة يؤكد اتجاه الأسرة الفلسطينية نحو الأسرة النوواة وتراجع الأسرة الممتدة.

وإذا نظرنا إلى عدد غرف البيت الفلسطيني، نجد أنه بلغت نسبة البيوت المكونة من (١-٢) غرفة (١٦.٤%)، أما البيوت المكونة من (٣-٤) غرف نسبتها (٦٠.٩%)، أما البيوت المكونة من (٥ غرف فأكثر) نسبتها (٢٢.٧%)^٢.

بالنظر إلى العلاقة بين عدد غرف البيت وحجم الأسرة، فإن ذلك يعطي دلالات مقبولة، حيث بينا من قبل أن ثلثي الأسر الفلسطينية تميل نحو الأسرة النوواة، ومتوسط الأسرة (٥.٨) فردا، فمن الطبيعي أن يكون متوسط الغرف في البيت (٣-٤) غرف. وبعدها تأتي نسب البيوت المكونة من خمسة غرف فأكثر كون البقية الباقية تميل إلى الأسر الممتدة وكبر الحجم.

على الرغم مما سبق، فإننا إذا نظرنا إلى واقع الأسر الفلسطينية بنظرة تأمل فإننا نخلص إلى أنه ليس لدينا أسرة نوواة، أو أسرة ممتدة بالمعنى الدقيق المتداول في أدبيات علم الاجتماع الأسري. إن ما هو موجود مجموعة من الأسر النوواة التي تقيم في شقق سكنية مستقلة بعضها فوق بعض في نفس المبنى الذي يشكل بيت العائلة. فكل فرد يتزوج ويستقل بأسرته في شقة سكنية، ويشكل أسرة إنجاب

^١ سمير خالد صافي وخليل عبد الكريم مقداد، دراسة مقارنة حول الخصائص الاجتماعية والأسرية والزواجية والتعليمية والاقتصادية للأسر في الأراضي الفلسطينية (١٩٩٧-٢٠٠٧)، رام الله، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ديسمبر ٢٠٠٩م، ص ٣٧.

^٢ المرجع نفسه، ص ٣٥.

مستقلا عن أسرة التوجيه، إلا أنه يبقى في بيت الأسرة الأساسي. أو يقيمون في مكان قريب من نفس الحي. وعلى الرغم من بعدهم الجغرافي واستقلالهم المكاني إلا أنهم على تواصل مع بعضهم في كافة المناسبات الاجتماعية. في هذه الحالة تكون الأسرة الفلسطينية مزيج بين الأسرة النواة من جهة، والأسرة الممتدة من جهة ثانية.

❖ المجتمع الفلسطيني مجتمعا ذكوريا:

يعد المجتمع الفلسطيني مجتمعا ذكوريا بامتياز، حيث أن الغالبية العظمى من الأسر الفلسطينية يقف على رأسها رجل، ولا يشفع في ذلك اختلافات البيئة الاجتماعية (ريف، حضر، ومخيم) فهم في هذه الصفة سواء، على اعتبار أن الرجل هو الذي يتربع على رأس هرم الأسرة، وهو الذي يتولى إدارة شؤون البيت الخارجية، ويتخذ القرارات المهمة التي تعلق بحياة أفراد الأسرة من تعليم، وزواج، وعلاج، وحتى اختيار الأصدقاء... إلخ، وهو الذي يعمل وينفق على الأسرة ويلبي احتياجات أفرادها. وقد بينت الإحصائيات أن الأسر التي يقف على رأسها رجل في قطاع غزة (٩٣.٦%)، و في الضفة الغربية (٩١.٧%). أما عن تقسيم الأسر الذكورية حسب البيئة الاجتماعية، في الريف (٩٣%)، وفي الحضر (٩١.٩%)، وفي المخيمات (٩١.٧%). أما الأسر التي يقف على رأسها امرأة في قطاع غزة (٦.٤%)، وفي الضفة الغربية (٨.٣%). وتقسيمها حسب البيئة الاجتماعية، في الريف (٨.٣%)، وفي الحضر (٨.١%)، وفي المخيم (٧%).^١

الجدير بالذكر أن أغلب الأسر التي يقف على رأسها أنثى يعود لعامل أو

^١ حسين أحمد، مرجع سابق، ص ٩٨.

أكثر من العوامل الآتية:

- الترمل لوفاة الزوج وفاة طبيعية، أو نتيجة استشهاده، أو لأي سبب آخر.
- الطلاق وبقاء الزوجة عند أبنائها لترعاها وتهتم بهم.
- بسبب تعدد الزوجات وإهمال الزوج لإحدى زوجاته وعدم إعطائها الاهتمام الكامل من الرعاية والإنفاق فتقوم الزوجة مقام الزوج.
- اغتراب الزوج لسنوات عديدة عن الأسرة وانقطاع أخباره.
- اعتقال الزوج في سجون الاحتلال الإسرائيلي لسنوات طويلة.
- غياب المعيل في الأسرة وكبر سن رجل البيت.

في أي حالة من الحالات السابقة تضطر الزوجة أن تقوم بدورين:

١. الدور الأمومي والأنثوي داخل البيت.
٢. القيام بدور الزوج لتسد الثغرة التي تركها خلفه طواعية أو قسرا.

❖ الأسرة الفلسطينية حضرية:

- بلغت نسبة الأسر الفلسطينية المقيمة في التجمعات الحضرية (٧٣.٧%).
 منها (٨١.٧%) في قطاع غزة، و(٦٩.٦%) في الضفة الغربية.
 أما الأسر الريفية بلغت نسبتها (١٧.٤%)، منها (٢.٨%) في قطاع غزة ،
 و(٢٤.٩%) في الضفة الغربية.
 أما نسبة أسر المخيمات (٨.٨%)، منها (١٥.٥%) في قطاع غزة،
 و(٥.٤%) في الضفة الغربية^١.
 ويرجع ارتفاع نسبة الأسر الحضرية وانخفاض الأسر الريفية وأسر المخيمات

^١ سمير خالد صافي و خليل عبد الكريم مقداد، مرجع سابق، ص ٢٨.

في قطاع غزة، لأن الذي يطغى عليه تمدد وتوسع التجمعات الحضرية، مقابل تقلص مساحة المناطق الريفية، وتآكل المساحات الخضراء (المزروعة) التي غزاها العمران البشري بالبناء الرأسي والأفقي، وإقامة المشاريع الصناعية والتجارية، فضلا عن انتقال الميسورين من أهل الأرياف والمخيمات للتمركز في مناطق الحضر.

أما بالنسبة إلى الضفة الغربية تعود زيادة الأسر الحضرية وتراجع أسر الريف والمخيمات إلى نزوح أبناء القرى إلى قلب المدن بسبب أعمالهم هناك هذا من جهة، ولكثرة العراقل والحواجز الإسرائيلية على الطريق بين مدن ومحافظات الضفة الغربية من جهة أخرى، مما يدفع بالكثير من الموظفين أن يأخذوا أسرهم ويستقروا في أماكن عملهم حتى يحموا أنفسهم من تعنت الاحتلال والإجراءات المرهقة على طريق الذهاب والإياب من وإلى العمل.

❖ سن الزواج:

بينت المؤشرات الإحصائيات سنة ٢٠٠٥م أن نسبة الفتيات الفلسطينيات اللاتي لم يتزوجن وهن في سن الحمل (١٥-٤٩) سنة بلغت (٣٥%)، في حين نسبة المتزوجات من نفس الفئة العمرية (٦٢%)، و(٣%) سبق لهن الزواج، لكنهن إما مطلقات أو أرامل^١.

وقد اختلفت نسبة عزوبية الفتيات باختلاف المستوى التعليمي، حيث أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للفتاة زادت نسبة غير المتزوجات (الآنسات). حيث

^١ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، تكوين الأسرة في الأراضي الفلسطينية، مراجعة: سمية السوسي، سلسلة التقارير التحليلية من بيانات التعداد والمسوح الصحية والديموغرافية رقم (٢)، شباط ٢٠٠٢م. نقلا عن: مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، العدد ١١-١٢، يوليو-سبتمبر ٢٠٠٣م،

<http://www.oppc.pna.net/mag/mag13-14/new14-13-14.htm>

بلغت نسبة اللواتي أنهين التعليم الابتدائي ولم يتزوجن (٢٢%)، أما اللواتي أنهين التعليم الثانوي ولم يتزوجن (٤٥%)^١.

من الطبيعي أن تتراجع نسب الزواج طالما ترقى الفتاة في السلم التعليمي. وإذا قارنا بين الضفة الغربية وقطاع غزة، نجد أن نسبة الفتيات غير المتزوجات تزيد في الضفة الغربية أكثر من قطاع غزة، حيث بلغت النسبة في الأولى (٣٦%)، أما في الثانية (٣٣%)^٢. وقد ارتفعت النسبة في إحصائية ٢٠٠٧م، حيث بلغت في الضفة الغربية (٤٤.٥%)، وفي قطاع غزة (٤٤.٩%). أما نسبة عزوبية الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة قد تساوت حيث بلغت في كل منهما (٥٥.١%)^٣. وهذا راجع لاعتبارات اجتماعية أهمها انفتاح الضفة الغربية على العالم الخارجي أكبر مما هي ممنوحة لقطاع غزة الذي طالما شبهه بسجن كبير لسكانه بسبب ضعف الحركة والسفر والحصار المفروض عليه.

أما إذا تحدثنا عن معدلات الزواج حسب الفئات العمرية، فإن الجدول الآتي

يوضح ذلك^٤:

العمر	معدل الزواج
١٩-١٥	%١٨
٢٤-٢٠	%٥٩
٢٩-٢٥	%٨٠
توقف الزواج ٤٩-٤٥	%٩١

يبين الجدول أن نسبة الزواج في سن (١٥-١٩) سنة (١٨%)، وفي سن

^١ المرجع نفسه.

^٢ المرجع نفسه.

^٣ سمير خالد صافي و خليل عبد الكريم مقداد، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٤ مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، مرجع سابق.

(٢٤-٢٠) سنة (٥٩%)، وفي سن (٢٥-٢٩) سنة (٨٠%)، ثم يتوقف الزواج عند سن (٤٥-٤٩) سنة بنسبة (٩١%). وبحسب المؤشرات الإحصائية لتعداد ٢٠٠٧م فإن متوسط سن الزواج عند الذكور (٢٤.٦) سنة، وعند الإناث (١٩.٤) سنة^١.

من خلال الأرقام السابقة يتضح أنه كلما تقدم العمر كلما ارتفعت نسبة الزواج، ويتركز الزواج بشكل كبير عند الفئة العمرية (٢٥-٢٩) سنة. لأنه في هذه المرحلة يكون الشاب قد هيا نفسه جيدا للزواج على كافة الجوانب، (أنهى تعليمه الجامعي . إن واصل تعليمه .، ووفر فرصة عمل، وجّهز بيت الزوجية، وجّهز متطلبات الزواج من المهر، وتأثيث البيت... إلخ).

وهناك نسبة كبيرة للزواج لكنها أقل من السابقة تركزت في الفئة العمرية (٢٤-٢٠) سنة، هؤلاء قد تكون فرص مساعدتهم في تدبير شؤون الزواج أكثر من الفئة السابقة، كمساهمة آبائهم في أقساط الزواج، أو أنهم لم يكملوا تعليمهم وولجوا سوق العمل في سن صغيرة وبالتالي توفرت لهم فرص تقديم سن الزواج بشكل أسرع من الفئة السابقة.

أما الفئة العمرية (١٥-١٩) سنة، فإن إقبالهم على الزواج يكون لاعتبارات اجتماعية معينة كأن تكون الأسرة تحصل على مساعدات من مؤسسات اجتماعية كالشؤون الاجتماعية، أو وكالة الغوث والابن لم يوفق في الدراسة لذا تفضل الأسرة زواجه حتى لا تتقطع المساعدات الاجتماعية، لأنه في حال استمر الأبناء في التعليم تستمر المساعدات، وإذا انقطع الأبناء عن التعليم قطعت المساعدات. وقد يزوج الابن مبكرا لأنه الوحيد في جنسه . أي جاء بعد

^١ سمير خالد صافي و خليل عبد الكريم مقداد، مرجع سابق، ص ٢٠.

عدة بنات ،، أو أنه جاء بعد طول انتظار من تأخر الحمل والإنجاب فتريد الأسرة أن تفرح بابنها مبكرا فتروجه، أو يكون الوالدان كبيرا في السن ويريدان أن يفرحا بولدهما وأحفادهما مبكرا، وقد يكون الابن غير منضبط اجتماعيا (طائش) ولا يستطيع الوالدان ضبط سلوكه فيعتقدان أنه بزواجه سيتحمل المسؤولية الاجتماعية مبكرا ويرشد. وفي فترات الانتفاضات والمواجهات مع العدو الإسرائيلي . كما حدث في انتفاضة ١٩٨٧م، وفي انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠م .، كانت الأسر الفلسطينية تزوج أبنائها في سن مبكرة لتحمّ وتقيّد من تحركات الأبناء من المشاركة في فعاليات الانتفاضة لئلا يستشهدون، أو يصابون بعاهة مستديمة، أو يعتقلون. أي تلجأ الأسرة إلى تزويج الأبناء من باب الحفاظ على سلامة الأبناء، وكانت بعض الأسر تلجأ إلى الاقتراض والاستدانة من أجل ذلك الهدف.

أما الفئة العمرية (٤٥-٤٩) سنة، فإنه يضعف أو يتوقف فيها الإقبال على الزواج . إن جاز التعبير .. لأن المرأة في هذه السن تعتبر نفسها عانس^١ وقد فاتها قطار الزواج، ولم يبق من العمر مثل الذي مضى، وتضعف احتمالات الزواج، في هذه الحالة تفضل المرأة الاستمرار في حياة العزوبية على الزواج، أما إن كانت مطلقة أو أرملة فهي ترى أنها ليست بحاجة إلى تكرار تجربة زواج ثانية. والذي يساهم في ذلك أن الرجال لا يقبلون على الزواج من فتيات من هذه الفئة العمرية، وإن كانت محاولات تكون في حالات محددة كحاجة مسن لمن يراعه ويقضي حاجاته ويؤنس وحدته، أو مريض بحاجة إلى من يمرضه ويطببه.

^١ لفظ عانس يطلق على الشباب والفتيات الذين تأخروا عن سن الزواج. وليست صفة خاصة بالإناث - كما يعتقد الكثيرون خطأ - . وسن العنوسة يختلف من مجتمع لآخر بحسب ثقافته، وعاداته، وتقاليده، وتعليمه، ونضجه الاجتماعي، وحالته الاقتصادية.

❖ الزواج المبكر:

نقصد بالزواج المبكر: "تزويج الفتيات في سن الثامنة عشر، أو دونها".
وعليه تعتبر ظاهرة الزواج المبكر مرتفعة إلى حد ما في المجتمع الفلسطيني حيث بلغت نسبتها (٢٩%)^١. وغالبا ما ينتشر الزواج المبكر في المناطق الريفية والمخيمات بسبب إخراج الفتيات من المدارس مبكرا، أو تدني المستوى الاقتصادي للأسرة التي لم تستطع تحمل نفقات الأفراد المتزايدة والتي تكبر بكمب أعمارهم، أو لكبر حجم الأسرة وضيق السكن فترى الأسر في تزويج الفتيات مبكرا انفراجة وتوسعة في سكن الأسرة.

أما عن العلاقة بين الزواج والمستوى التعليمي للزوجين، فقد بينت المؤشرات الإحصائية سنة ٢٠٠٥م أن (٤٠%) من حالات الزواج يكون فيها تكافؤ في المستوى التعليمي بين الزوجين، و(٣٦%) يكون المستوى التعليمي للزوج أعلى من الزوجة، و(٢٤%) يكون المستوى التعليمي للزوجة أعلى من الزوج^٢. كما بينت المؤشرات الإحصائية لتعداد ٢٠٠٧م أن نسبة الزواج عند الأميين (١٤.٤%)، حملت الشهادة الابتدائية والإعدادية تساوت نسبتها (٢٢.٦%)، حملت الشهادة الثانوية (١٥.٢%)، حملت شهادة الدبلوم المتوسط (٦.٦%)، حملت شهادة البكالوريوس (٥.٦%)، الدبلوم العالي (٠.١%)، الماجستير (٠.٥%)، الدكتوراه (٠.٢%)^٣.

ويلاحظ من النسب السابقة كلما ارتفع الفرد في السلم التعليمي تراجعت نسبة

^١ مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، مرجع سابق.

^٢ المرجع نفسه.

^٣ سمير خالد صافي وخليل عبد الكريم مقداد، مرجع سابق، ص ٦١.

الزواج، وهذا أمر طبيعي لأن كل مرحلة تعليمية تعني استهلاك المزيد من السنوات في التعليم، والعزوف عن الزواج. وقليل ما هم الذين يجمعون بين الزواج والتعليم في آن واحد.

❖ زواج الأقارب:

تعد ظاهرة زواج الأقارب منتشرة بشكل كبير في المجتمع الفلسطيني فقد بينت إحصائيات ٢٠٠٥م أنه يمثل (٤٨%) من حالات الزواج، وهو منتشر في قطاع غزة أكثر من الضفة الغربية، كما يزيد في المناطق الريفية، ويقل في المخيمات. كما يقل كلما ارتفع المستوى التعليمي، حيث بلغت نسبته عند الفئات الاجتماعية الأقل تعليماً (٥٠%)^١.

العوامل تشجع على زواج الأقارب:

- الحفاظ على وحدة ملكية الأسرة من التفتت في حال تزويج الغرباء.
- قلة قيمة المهور.
- انخفاض تكاليف الزواج.
- أن القريب سيكون أكثر حفظاً وصيانة لزوجته.

❖ الطلاق:

تعد نسبة الطلاق في المجتمع الفلسطيني قليلة فهي لا تتجاوز (١.٢%)^٢. لكن الملفت للنظر أنه يزيد مع تقدم العمر، حيث بلغت نسبته (٢.٤%) عند الفئة العمرية (٥٠-٥٤) سنة^٢. إذ من المفترض في هذا السن أن يكون الزوجان

^١ مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، مرجع سابق.

^٢ المرجع نفسه.

قد فهم كلا منهما شخصية الآخر، وثقافته، وفكره، وطريقة تفكيره، وأسلوبه في التعاطي مع الأحداث والمواقف الاجتماعية، وأن يكونا أكثر حرصاً على التمسك ببعضهما من الانفصال، لاسيما بعد أن تحقق لهما ما يريدان من تكوين الأسرة والإنجاب.

وقد لوحظ ارتفاع الطلاق في المخيمات لتصل نسبته إلى (١.٦٢%)^١. وربما مرد الطلاق إلى العوامل الآتية:

١. ضيق مساحة السكن.
٢. عدم توفر السكن المستقل للزوجين الجدد، وفي أحسن الأحوال يقيمان في غرفة واحدة في بيت العائلة.
٣. تدخل الأقارب. سواء من جهة الزوج أو الزوجة..
٤. عدم التكيف مع بيئة المخيم التي تتسم بالاحتفاظ السكاني، والضوضاء، وسوء الخدمات الصحية.

كما بينت إحصاءات سنة ٢٠٠٥م أن ما يقرب من (ثلث) حالات الطلاق تقع في سنة أولى زواج، و(١٦%) تقع قبل إكمال سنتين من عمر الزواج. بمعنى آخر، أن حوالي نصف حالات الطلاق تقع قبل مرور سنتين على الزواج^٢.

إن ارتفاع معدلات الطلاق في هذه الفترة الزمنية القصيرة والمحدودة جداً لم يأت من فراغ، إنما هو ناجم بالدرجة الأولى عن تغيير في عادات وتقاليد الزواج في المجتمع الفلسطيني، حيث أصبح يغلب على الكثير من حالات الزواج قصر

^١ المرجع نفسه.

^٢ المرجع نفسه.

فترة الخطوبة، فهي لا تتجاوز الشهرين على أبعد تقدير، ومنها ما يتم في حدود الأسبوعين إلى أربعة أسابيع. وفي هذه الفترة القصيرة لم يتمكن الخطيبان من التعرف على بعضهما أكثر من حيث الطباع، والأفكار، والثقافة، وطريقة التفكير، والشخصية... إلخ. وهذه الفترة تقضى غالبا في ترتيبات الزواج. فبعد الزواج يفاجئ الزوجان بطباع الآخر وصفاته التي قد تصل إلى حد انعدام التكافؤ والتفاهم بينهما، وتتراكم الخلافات والمشاجرات بعضها فوق بعض إلى أن تصل إلى طريق مسدود بحيث لا ينفع معها حوار أو نقاش أو وساطة صلح، وتنتهي بأبغض الحلال وهو (الطلاق).

أضف لما سبق، تأثر وانخداع الكثير من الفتيات بالأفكار والصور الخيالية والوردية التي تروجها المسلسلات والأفلام عن الحياة الزوجية . لاسيما المسلسلات المدبلجة كالتركية والمكسيكية والهندية .. فضلا عن أسباب الطلاق التقليدية^١.

❖ التعليم:

بينت المؤشرات الإحصائية سنة ٢٠٠٧م أن نسبة الأمية عند الأفراد من سن خمسة عشر سنة فأكثر (٦.٢%) وهذه النسبة متشابهة بين الضفة الغربية وقطاع غزة. أما حملت الشهادة الابتدائية (١٦.٩%)، والشهادة الإعدادية (٣٣.٥%)، والشهادة الثانوية (٢١.٢%)، والدبلوم المتوسط (٤.٣%)، والبيكالوريوس فأعلى (٨.٧%)^٢. والجدول الآتي يوضح تلك النسب:

^١ سيتم الحديث عنها بشكل مفصل في الفصل الرابع من هذا المؤلف.

^٢ سمير خالد صافي و خليل عبد الكريم مقداد، مرجع سابق، ص ٤٧-٤٩.

النسبة المئوية	الحالة التعليمية
٦.٢%	الأمية
١٦.٩%	الشهادة الابتدائية فقط
٣٣.٥%	الشهادة الإعدادية فقط
٢١.٢%	الشهادة الثانوية فقط
٤.٣%	شهادة الدبلوم المتوسط فقط
٨.٧%	شهادة البكالوريوس فأعلى

يلاحظ من الجدول أن نسبة أصحاب الشهادات تزيد تدريجياً بين المرحلتين الابتدائية والإعدادية، ومن المرحلة الثانوية تبدأ النسب في التنازل كلما ارتفعت الشهادة العلمية، حيث تتوقف عند الشهادة الجامعية الأولى (البكالوريوس) فأعلى. والذي يجعل النسبة تزيد عند مرحلتي (الابتدائية والإعدادية) يعود لاهتمام الأسرة الفلسطينية بتعليم الأبناء من جهة، ولتأكيد مؤسسات الدولة الرسمية على أهمية التعليم الإلزامي ومجانيته من الصف الأول حتى الصف التاسع من جهة أخرى. أما عن انخفاض نسبة أصحاب الشهادات الجامعية تعود بشكل رئيسي لضعف وهشاشة الحالة الاقتصادية لكثير من الأسر الفلسطينية التي ليس بمقدورها تغطية كافة نفقات التعليم الجامعي المرتفعة. لاسيما الرسوم الدراسية.. الأمر الذي يدفع بالكثير من الشباب إلى التوقف عند التعليم الثانوي، ثم يلجؤون سوق العمل.

أما عن الحالة التعليمية من سن خمسة عشر سنة فأكثر حسب النوع، فقد بينت المؤشرات الإحصائية لتعداد ٢٠٠٧م أن نسبة الأمية في صفوف الذكور (٢.٨%) أما الإناث (٩.٧%). أما حملت الشهادة الابتدائية نسبة الذكور (١٨.٣%) أما الإناث (١٥.٤%). أما حملت الشهادة الإعدادية عند الذكور

(٣٥.٩%) أما الإناث (٣٥.١%). أما حملت الشهادة الثانوية عند الذكور (٢١%) أما الإناث (٢١.٣%). أما حملت شهادة الدبلوم المتوسط عند الذكور (٤.٩%) أما الإناث (٤.٤%). أما حملت شهادة البكالوريوس فأعلى عند الذكور (١٠%) وعند الإناث (٧.٤%)^١. والجدول الآتي يوضح تلك النسب:

الإناث	الذكور	الحالة التعليمية
%٩.٧	%٢.٨	الأمية
%١٥.٤	%١٨.٣	الشهادة الابتدائية فقط
%٣٥.١	%٣٥.٩	الشهادة الإعدادية فقط
%٢١.٣	%٢١	الشهادة الثانوية فقط
%٤.٤	%٤.٩	شهادة الدبلوم المتوسط
%٧.٤	%١٠	شهادة البكالوريوس فأعلى

يلاحظ من الجدول السابق ارتفاع نسبة الأمية في صفوف الإناث أكثر من الذكور، أما بالنسبة لبقية المراحل التعليمية يلاحظ ارتفاعها عند الذكور أكثر من الإناث. وهذا يرجع لاعتقادات اجتماعية خاطئة عند الكثير من الأسر وموقفها من تعليم الإناث. وإن دخلت الفتاة التعليم الجامعي فهي تقف على شفا حفرة التوقف عن التعليم في أي لحظة إن توفرت فرصة الزواج المناسبة للتخلص من نفقات التعليم ما لم يواصل الزوج تعليمها. وعلى الرغم من هذا الاعتقاد فإن نسب الفارق بين الذكور والإناث تعتبر قليلة مقارنة بالأوضاع التعليمية للمرأة في العقود الماضية.

^١ المرجع نفسه، ص ٥٣-٥٠.

نتائج عامة:

- بناء على التحليل السوسولوجي السابق، يمكن استخلاص بعض النتائج العامة عن الأسرة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن أهمها:
١. ميل الأسرة الفلسطينية إلى تفضيل الأسرة النوواة، مقابل تراجع الأسرة الممتدة.
 ٢. يعد المجتمع الفلسطيني مجتمعاً ذكورياً، حيث تكون الغلبة فيه للذكور حسب الترتيب في الأسرة.
 ٣. تأخر سن الزواج عند الذكور والإناث، والذي ساهم في ذلك الاستمرار في التعليم.
 ٤. التقارب في المستوى التعليمي بين الأزواج.
 ٥. عزوف الشباب عن الزواج بنسبة عالية (٥٥.١%).
 ٦. يتركز الزواج بشكل كبير عند الفئة العمرية (٢٥-٢٩) سنة، ثم الفئة العمرية (٢٠-٢٤) سنة.
 ٧. لازال ظاهرة الزواج المبكر منتشرة في المجتمع الفلسطيني بشكل ملفت للنظر، لكن بتفاوت بين المناطق الريفية، والمخيمات، والحضرية.
 ٨. انتشار ظاهرة زواج الأقارب بنسب عالية في المجتمع الفلسطيني.
 ٩. تدني نسبة الطلاق في المجتمع الفلسطيني.
 ١٠. تراجع نسبة الأمية في المجتمع الفلسطيني.

ثانياً: الأسرة الفلسطينية في المجتمع الإسرائيلي:

تقدر نسبة الفلسطينيين الذين يقيمون داخل ما يسمى بالمجتمع "الإسرائيلي" حوالي (٢٠%) من إجمالي السكان، حيث يقيم أكثر من نصفهم وهو ما يقدر بـ(٦٠%) في منطقة الشمال وعلى وجه التحديد في منطقة الجليل. ويقدم (٣٠%) في منطقة الوسط، أي في مدينة الرملة وما حولها. أما العشرة الباقية فهم البدو الذين يقيمون في صحراء النقب. وبفعل الاحتلال الإسرائيلي وقيام ما يسمى بدولة "إسرائيل" وتهجير الفلسطينيين من ديارهم تحولت البقية الباقية على أرض فلسطين من أصحاب أراضي وملاك إلى أجراء، ومن أغلبية إلى أقلية داخل مجتمعهم!!^١.

منذ ذلك الحين يعيش الفلسطينيون أوضاعاً غاية في السوء، والصعوبة، والأزمة على كافة المستويات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية، والصحية، والزراعية، والصناعية، والتجارية، والدينية مقارنة مع أوضاع السكان الإسرائيليين، على اعتبار أن الفلسطينيين سكاناً من الدرجة الثانية في مجتمعهم! فعلى صعيد الأراضي يملك الفلسطينيون (٥.٣%) فقط من إجمالي أراضي فلسطين التاريخية. إن جاز التعبير، في حين كان إجمالي الأراضي التي كان يملكها اليهود قبل نكبة ١٩٤٨م لا تتجاوز (٧%)^٢.

وقد كانت أكبر حملة إسرائيلية لمصادرة الأراضي الفلسطينية سنة ١٩٤٨م حيث احتلت إسرائيل سبعمائة قرية فلسطينية، بالإضافة إلى منطقتي (الجليل، والنقب). حيث كان يملك سكان النقب وحدهم مليون وثلاثمائة ألف دونم، ولا

^١ بتصرف عن: حمد الله ربيع، الأسرة وقضايا المجتمع العربي في إسرائيل، ط٢، جث المثلث، مركز الطباعة والإعلان، ٢٠٠٨م، ص٦.
^٢ المرجع نفسه، ص١٤.

يملكون منها اليوم سوى مائة وثمانون ألف دونم فقط!^١.

خلال اثنان وثلاثون سنة، أي في الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٤٨-١٩٨٠م أصدرت الحكومات الإسرائيلية . على اختلاف توجهاتها الأيديولوجية يمين ويسار ، العديد من القوانين التي ساعدتهم وسهلت عليهم التهام وابتلاع المزيد من الأراضي الفلسطينية والسيطرة عليها، ومن هذه القوانين:^٢

١. أنظمة الطوارئ بشأن فلاحه الأرض البور سنة ١٩٤٨م.
٢. قانون وضع اليد على الأراضي في حالة الطوارئ سنة ١٩٥٠م، وقد أعيد سنه مرة ثانية بعد ستة سنوات، أي سنة ١٩٥٦م.
٣. قانون أملاك الغائبين سنة ١٩٥٠م.
٤. قانون سلطة التطوير سنة ١٩٥٠م.
٥. قانون امتلاك الأراضي سنة ١٩٥٢م.
٦. قانون صندوق أراضي إسرائيل سنة ١٩٥٣م.
٧. قانون لتقادم الزمن سنة ١٩٥٨م.
٨. قانون أراضي إسرائيل سنة ١٩٦٠م.
٩. قانون الأراضي سنة ١٩٦٩م.
١٠. قانون تسوية الحقوق في الأراضي سنة ١٩٦٩م.
١١. قانون امتلاك أراضي النقب سنة ١٩٨٠م

يلاحظ من القوانين السابقة أن أغلبها سنت في فترة الخمسينات، أي بعد قيام ما يسمى بـ"إسرائيل" مباشرة، فالحكومات الإسرائيلية تعتبر نفسها أنها تسابق

^١ المرجع نفسه، ص ١٩.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٥.

الزمن، وتريد أن تبسط يدها على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الفلسطينية، وسلبها من مالكيها.

وعلى الرغم من كل المحاولات الإسرائيلية لتهجير السكان الأصليين من أراضيهم، ومحاولات تضيق الخناق عليهم، إلا أن الفلسطينيين لازالوا متمسكين بكل ما أوتوا من قوة بأراضيهم، لأن الأرض لها مكانة كبيرة في فكر وثقافة ومعتقد ووجدان الإنسان الفلسطيني، فهو يعتبر الأرض هي التعبير الحقيقي عن هويته السياسية، والثقافية، والقومية، فضلا عن أهمية الأرض الاجتماعية والاقتصادية. ونظرا لتمسك الأسرة الفلسطينية وتعلقها بالأرض فإنها تميل إلى تفضيل الأسر الممتدة مقارنة مع الأسر اليهودية التي تفضل الأسرة النوواة. حيث بلغ نسبة الأسر الفلسطينية المكونة من سبعة أفراد (٢١.٩%)، في حين بلغت نسبة الأسر اليهودية المكونة من نفس العدد (٣.٨%)^١.

على الرغم مما سبق، هناك توجه لدى بعض الأسر الفلسطينية للميل نحو: انتشار نمط الأسرة النوواة، وتأخر سن الزواج عند الجنسين، وتراجع ظاهرة الزواج المبكر. والذي يدل على ذلك أنه بلغ متوسط سن الزواج عند الأسرة الفلسطينية في المجتمع الإسرائيلي سنة ٢٠٠٣م خمسة وعشرين سنة^٢.

أما بالنسبة إلى ظاهرة الطلاق فإن نسبته قليلة جدا لا تتجاوز (١.١%)، وهي أقل من نسبة الطلاق عند اليهود والتي بلغت (٢%)^٣. والذي ساهم في ذلك أن أغلبية الأسر الفلسطينية تقيم في المناطق الريفية، التي تحترم الروابط الأسرية، وتحافظ على كينونتها واستمراريتها، فضلا عن انتشار ظاهرة زواج الأقارب مما

^١ المرجع نفسه، ص ٣٩.

^٢ المرجع نفسه، ص ١١٠.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٢٨.

يدعم في تقليص حجم ظاهرة الطلاق.

أما عن الحالة الاقتصادية فإن الأسر الفلسطينية تعاني من تفشي ظاهرة البطالة بمعدلات مرتفعة مقارنة مع الإسرائيليين، فقد بلغت نسبة البطالة في صفوف الفلسطينيين سنة ٢٠٠٢م (١٤.١%)، في حين بلغت في صفوف الإسرائيليين (٩.١%)^١.

الأسباب التي ساهمت في ارتفاع نسبة البطالة بين الأسر الفلسطينية^٢:

- تطور الاقتصاد الإسرائيلي واعتماده على أصحاب الكفاءات المميزة والمهارات العالية، فضلا عن استخدام الآلات والمعدات التكنولوجية المتطورة التي تقوم في كثير من الأحيان مقام الإنسان، وربما بإتقان ودقة أكثر. مما يعني الاستغناء أصحاب رأس المال عن الكثير من الأيدي العاملة من غير المؤهلين، وغير المدربين.
- دخول العمال الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى سوق العمل الإسرائيلي، والعمل بأجور منخفضة مقارنة مع ما يتقاضاه عمال فلسطينيو داخل، مما يجعل الإسرائيلي يتجه إلى العمالة ذات الأجر المنخفض، فهو يهمل بالدرجة الأولى قلة الإنفاق والمصاريف، والجودة العالية للمنتج. وهذا ما يتوفر في عمالة الضفة الغربية وقطاع غزة.
- استيعاب أعداد قليلة من الفلسطينيين في الوظائف الحكومية والخدمات الإسرائيلية، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى فقدان الثقة فيهم، وخوفهم من مشاركة وتنسيق وتعاون فلسطينيو الداخل مع قوى المقاومة في الضفة

^١ المرجع نفسه، ص ٥٥.

^٢ بتصرف عن: المرجع نفسه، ص ٥٩.

الغربية وقطاع غزة، ويقدمون لهم المساعدة في تنفيذ أعمال المقاومة داخل المجتمع الإسرائيلي.

• نقل مصانع الخياطة من داخل إسرائيل إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، مما أدى إلى حرمان الكثير من أسر الداخل من العمل في تلك المصانع.

وللتغلب على ظاهرة البطالة اتخذت الأسرة الفلسطينية في الداخل العديد من الإجراءات، منها:^١

- أ. التوفير والاقتصاد في المصاريف والنفقات اليومية.
- ب. الاستغناء عن الكثير من الكماليات.
- ج. الاعتماد على الاكتفاء الذاتي.
- د. تخزين المواد الغذائية التي تحتل التخزين كالبقوليات.
- هـ. بيع الأراضي والعقارات عند من يملكها، لسداد الديون، أو افتتاح مشروع صغير يغطي نفقات الأسرة.
- و. اعتماد الأسر الفقيرة على لجان الزكاة والصدقات.
- ز. فلاحه الأرض عند من يملكها.
- ح. فتح دكاكين صغيرة.
- ط. الاقتراض سواء من البنوك أو من المعارف والميسورين.

^١ بتصرف عن: المرجع نفسه، ص ٦٦.

ثالثاً: الأسرة الفلسطينية في مخيمات اللاجئين:

تقدر الإحصائيات أن عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين هجّروا من ديارهم بين عامي (١٩٤٨-١٩٥٠م) حوالي (٩٥٧.٠٠٠) لاجئاً^١، وقدّر عدد من بقوا على أرضهم . ولم يهجّروا . حوالي مائة وخمسين ألف نسمة^٢. فيما أشارت تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في منتصف سنة ٢٠١٠م أنه بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين في العالم (٤.٨) مليون لاجئاً. يقيم أغلبهم في الأردن، وقطاع غزة، والضفة الغربية، وقليل ما هم في سوريا ولبنان. وكان توزيعهم كالآتي^٣:

المكان الجغرافي	عدد المخيمات	أسماء المخيمات	نسبة اللاجئين
الأردن	١٠	سوف، الطالابة، الزرقا، جيل الحسين، اريد، جرش، ماركا، عمان الجديد، البقعة، الحصن ^٤ .	٤١.٦%
قطاع غزة	٨	جباليا، الشاطئ، النصيرات، البريج، دير البلح، المغازي، خانيونس، رفح ^٥ .	٢٣.٣%
الضفة الغربية	١٩	جنين، الفارعة، نور شمس، طولكرم، عين بيت الماء، عسکر، بلاطة، دير عمار، الجلزون، الأمعري، عين السلطان، عقبة جبر، قلنديا، شعفاط،	١٦.٤%

^١ حسن الريماوي وهناء النجاري، خصائص السكان في مخيمات الأراضي الفلسطينية، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، سلسلة التقارير التحليلية الوصفية (٣)، رام الله، ٢٠٠٢م، ص١٣.

^٢ المرجع نفسه، ص٢٠.

^٣ المرجع نفسه، ص٢٣. وشبكة فلسطين للحوار،

<http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=٨٢٨٣٥٥>. ولمزيد من المعلومات حول واقع

المخيمات الفلسطينية راجع: موقع: مجموعة ١٩٤، <http://www.group١٩٤.net>

^٤ المرجع نفسه، ص٢٦.

^٥ المرجع نفسه، ص٢٥.

عابدة، بيت جبرين، الدهيشة، العروب، الفوار ^١ .		
خان الشيخ، خان ذي النون، سبينة، قبر الست، النيرب، حمص، درعة ١، درعة ٢، حماة، حرمانا ^٢ .	١٠	سوريا
المية ومية، البص، برج الشمالي، الرشيدية، شاتيلا، مار إلياس، برج البراجنة، عين الحلوة، نهر البارد، البدوي، وبفل، ضبية ^٣ .	١٢	لبنان
	%٩.٩	
	%٨.٩	

يشكل اللاجئون في الداخل الفلسطيني (٤٣.٤%) من إجمالي السكان. حيث يشكل سكان مخيمات الضفة الغربية ثلث السكان، وهو ما نسبته (٢٩.٧)، وفي قطاع غزة يشكل سكان المخيمات ثلثي السكان، وهو ما نسبته (٦٧.٣%)^٤.

القرارات الأممية المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين^٥:

قبل الخوض في تفاصيل التحليل السوسولوجي لواقع الحياة الاجتماعية في المخيمات الفلسطينية لابد من الوقوف عند أهم القرارات الأممية المتعلقة باللاجئين. ومن هذه القرارات:

١. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٩٤)، الصادر سنة ١٩٤٨م، والذي ينص على: وجوب السماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة في أقرب وقت ممكن لمن يرغب منهم في العودة والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع التعويضات عن ممتلكات من لا يرغبون في العودة.
٢. قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢)، الصادر سنة ١٩٦٧م، والذي ينص على:

^١ المرجع نفسه، ص ٢٤.

^٢ المرجع نفسه، ص ٢٦.

^٣ المرجع نفسه، ص ٢٦.

^٤ شبكة فلسطين للحوار، مرجع سابق.

^٥ حسن الريماوي وهناء النجاري، مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

- عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب، والعمل من أجل السلام العادل والدائم، ويؤكد على الحاجة إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.
٣. قرار مجلس الأمن رقم (٣٣٨)، الصادر سنة ١٩٧٣م، والذي ينص على: دعوة جميع الأطراف المعنية إلى وقف إطلاق النار فوراً، وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢).
٤. قرار لجنة الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان، الصادر سنة ١٩٨٧م، والذي ينص على: حق الفلسطينيين غير قابل للتصرف في العودة إلى فلسطين، وممتلكاتهم التي اقتلعوا منها.
٥. مؤتمر جنيف الرابع لحماية المدنيين وقت الحرب، الصادر سنة ١٩٤٩م، والذي ينص على: تحظر عمليات النقل القسري الفردي والجماعي، وكذلك إبعاد الأشخاص المشمولين بالحماية من الأراضي المحتلة إلى إقليم دولة الاحتلال، أو إقليم أي بلد آخر محتل أو غير محتل بصرف النظر عن بواعثها.
٦. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٥١/١٢٩)، سنة ١٩٩٦م، الذي ينص على: يحق للاجئين فلسطين الحصول على ممتلكاتهم والدخل المستمد من ذلك، بما يتوافق مع مبادئ العدل والإنصاف.

❖ الأسرة:

- من يتمعن حال الأسرة الفلسطينية في المخيمات اليوم يجد أنها ليست هي نفس الأسرة في بداية الهجرة، حيث يوجد جيلان من الفلسطينيين المهجرين:
- الجيل الأول: لازال متمسكا بالكثير من العادات والتقاليد والأعراف

الاجتماعية الفلسطينية الأصلية التي تشربوها في صغرهم، وحاولوا توريثها إلى الأبناء في كبرهم . قدر الإمكان . على الرغم من التحولات والتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية السريعة.

▪ الجيل الثاني: الذي التأثر بثقافة وقيم وعادات وتقاليد وثقافة مجتمعات المخيمات التي تربوا فيها.

وتبين المؤشرات الإحصائية أن المخيمات الفلسطينية تشهد ارتفاعا ملحوظا في أعداد حالات الزواج، وكذلك ارتفاع في أعداد من لم يسبق لهم الزواج من الذكور والإناث، وتدني في نسبي حالات الطلاق والترملم. حيث بلغت نسبة الزواج (٥٤.٧%)، ونسبة من لم يسبق لهم الزواج (٣٨.٨%)، ونسبة الطلاق (١%)، ونسبة الأرمال (٤.٣%)^١.

أما عن سن الزواج في المخيمات فإنه يتركز بشكل كبير في الفئة العمرية (١٦-٢٢) سنة. فكانت أعلى نسبة عند الفئة العمرية (٢٠-٢٢) سنة (٢٢.٥%)، ثم الفئة العمرية (١٨-١٩) سنة (٢٢.٤%)، ثم الفئة العمرية (١٦-١٧) سنة (٢٢%)، وأقل نسبة كانت عند الفئة أقل من سنة أربعة عشر عاما (٢.٣%)^٢.

وينتشر في المخيمات نمط الأسرة النوواة بشكل كبير، فيما تشهد تراجعاً لنمط الأسرة الممتدة. حيث بلغت نسبة الأولى (٧١.٤%)، أما الثانية (٢٤.٨%)^٣. ويبلغ متوسط حجم أفراد الأسرة في المخيمات (٦.٦) فرداً^٤. والذي ساهم في ميل

^١ المرجع نفسه، ص ٣٥.

^٢ المرجع نفسه، ص ٣٦.

^٣ المرجع نفسه، ص ٣٩.

^٤ المرجع نفسه، ص ١٣.

الأسر إلى نمط الأسرة النواة ضيق بيوت المخيمات التي لا تتسع للأسر كبيرة العدد، وارتفاع نسبة الوعي والنضج الاجتماعي، وزيادة نسبة المتعلمين. أما بالنسبة إلى بيوت المخيمات فإن (٥٠%) منها تتكون من (٣-٤) غرف^١، وهذا الأمر مرتبط بصغر حجم الأسرة وانتشار نمط الأسرة النواة.

❖ التعليم:

غلب على الجيل الأول من المهجرين انتشار الأمية والجهل، وعدم إكمال المسيرة التعليمية بسبب عدم الاستقرار الاجتماعي، والاقتلاع القسري من أراضيهم وبيوتهم ومدارسهم، حيث كان جل اهتمامهم يتركز على توفير الحاجات الأساسية من السكن، والطعام، والشراب، واللباس، والحصول على قسط من الأمان النفسي، والاجتماعي، والاقتصادي. في حين الجيل الثاني من المهجرين ارتفعت عندهم نسبة التعليم، لأن الأسر عاشت . إلى حد ما . حالة من الاستقرار الأسري والاجتماعي، وأصبحوا يدركون أهمية التعليم في صراعهم مع الاحتلال الإسرائيلي، وأن سلاح العلم لا يقل أهمية عن السلاح العسكري، . هذا إن لم يكن العلم مقدم على العمل العسكري في كثير من الأحيان، لأنه مقاومة مسلحة دون علم يوجهها لا جدوى منها وستكون غوغائية .. فضلا عن محاولة وكالة الغوث (الأونروا) افتتاح العديد من المدارس الابتدائية والإعدادية في المخيمات، على الرغم من رداءة الكثير منها؛ لأنها تفتقد إلى العديد من المقومات السليمة سواء على صعيد المباني، أو التأثيث، أو الصرف الصحي، أو التهوية، أو الإنارة، أو ازدحام الفصول، أو النظافة... إلخ.

^١ المرجع نفسه، ص ٦٣.

وقد بينت المؤشرات الإحصائية الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أنه ترتفع النسب في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، أما المراحل التعليمية بدء من الثانوية نلاحظ أنه كلما ارتفع السلم التعليمي كلما قلت نسبة المتعلمين. وهذا ما يوضحه الجدول الآتي^١:

النسبة	الحالة التعليمية
٦.٤%	أمي
٢٣.٤%	ابتدائي
٢٤.٨%	إعدادي
١٦.٨%	ثانوي
٥.٩%	دبلوم متوسط
٥.٥%	بكالوريوس
٠.١%	دبلوم عالي
٠.٤%	ماجستير
٠.١%	دكتوراه

يتضح من الجدول السابق أن نسبة الأمية في المخيمات (٦.٤%)، ونسبة من أنهوا المرحلة الابتدائية (٢٣.٤%)، ونسبة من أنهوا المرحلة الإعدادية (٢٤.٨%)، ونسبة من أنهوا المرحلة الثانوية (١٦.٨%)، ونسبة حملة شهادة الدبلوم المتوسط (٥.٩%)، ونسبة حملة شهادة البكالوريوس (٥.٥%)، ونسبة حملة شهادة الدبلوم العالي (٠.١%)، ونسبة حملة شهادة الماجستير (٠.٤%)، ونسبة حملة شهادة الدكتوراه (٠.١%).

إن الذي ساهم في ارتفاع نسبة التعليم في المرحلتين (الابتدائية والإعدادية) لأنهما تمثلان التعليم الإلزامي. و(الأونروا) في تلك المرحلتين تتكفل بتوفير

^١ حسن الريماوي وهناء النجاري، مرجع سابق، ص ٤٤.

مستلزمات الدراسة من الكتب الدراسية والقرطاسية، والإعفاء من الرسوم الدراسية، وفي السنوات الأخيرة أصبحت تقدم وجبات غذائية للتلاميذ في المدارس. بمعنى آخر (الأونروا) تخفف عن أسر المخيمات عبئاً ثقيلاً تحتاجه العملية التعليمية. أما في المرحلة الثانوية تتوقف خدمات (الأونروا) في تقديم خدماتها التعليمية، وبسبب الحالة الاقتصادية السيئة، والأزمات المالية المزمرة التي تمر فيها الأسر الفلسطينية العامة. وأسرة المخيمات خصوصاً. فإن ذلك يحد من قدرتها على الإيفاء بكل التزامات الحياة التعليمية، لذلك فإن الأبناء يتسربون من المدارس، ويحجمون عن التعليم الجامعي الذي يتسم بالتكاليف المالية الباهظة التي لم تستطع تحملها الكثير من الأسر ذات الدخل المتدني والهامشي.

أما عن ظاهرة التسرب الدراسي في المخيمات: فقد بلغت نسبة التسرب عند الفئة العمرية (٦-١٨) سنة (٢٦%)، وكان نصيب الذكور من تلك النسبة (٢٥.٢%)، أما الإناث (٢٦.٨%)^١، مما يعني ارتفاع ظاهرة التسرب الدراسي في صفوف الإناث أعلى مما هي عند الذكور. وإن كان الفارق ليس كبيراً، وهذا يعود لاعتقادات اجتماعية خاطئة.

وبينت المؤشرات الإحصائية أنه كلما زاد عمر التلميذ كلما ارتفعت نسبة التسرب الدراسي، والجدول الآتي يوضح ذلك^٢:

^١ المرجع نفسه، ص ٤٦.

^٢ المرجع نفسه، ص ٤٧.

الفئة العمرية	نسبة التسرب
١١-٦	%٠.٣
١٤-١٢	%٥.٢
١٧-١٥	%٢٠.٥
١٨ فأكثر	%٤٢.٢

يتضح من الجدول السابق أن أعلى نسبة تسرب دراسي كانت عند الفئة العمرية ثمانية عشر عاما فأكثر، أي بعد المرحلة الثانوية حيث بلغت نسبتهم (٤٢.٢%)، وأقل نسبة تسرب كانت عند المرحلة الابتدائية ذات التعليم الإلزامي حيث بلغت النسبة (٠.٣%).

❖ الحالة الاقتصادية:

تعيش المخيمات الفلسطينية حالة من الأزمة الاقتصادية المزمنة، وكثير من الأسر بالكاد تستطيع العيش في حدود الحد الأدنى من العيش الآدمي نظرا لظروف المخيمات الصعبة. فقد بلغت نسبة الفقراء في المخيمات (٢٦.٥%)، أما الأسر التي تعيش حالة الفقر المدقع فقد بلغت نسبتها (٢٧.٤%)^١. ويمثل فقراء المخيمات (٢٦.٥%) من إجمالي فقراء فلسطين^٢. أما نسبة البطالة في المخيمات فقد بلغت (٢١%)^٣.

من يمارسون أعمالا في المخيمات أكثر من نصفهم يعملون أجراء عند غيرهم وليسوا من الملاك، حيث بلغت نسبتهم (٦٧.٣%)^٤. أما مجالات عملهم هي:

▪ (٢١.٣%) يعلمون باعة في المحلات والأسواق.

^١ المرجع نفسه، ص ٥٩.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٥.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٤.

^٤ المرجع نفسه، ص ٥٤.

- (٢١.٣%) يعلمون في الحرف والمهن.
- (٢٧.١%) يعلمون في المهن الأولية^١.
- (٢٧.٤%) يعلمون في المؤسسات الحكومية.
- (٣٤.٧%) يعملون في مؤسسات فلسطينية أهلية.
- (١٩.٥%) يعملون مع مؤسسات أهلية أجنبية عاملة في فلسطين^٢.

تعقيب على المخيمات:

- إن من يتأمل واقع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين سواء في الداخل أو في الشتات يجد أنه يجمعها قواسم مشتركة، وهي:
١. تردي البنية التحتية للمخيمات.
 ٢. فقدانها لنظام الصرف الصحي الجيد، ويستتقى منها مخيمات الداخل حيث أن (٥٩.٦%) تتصل بشبكة الصرف الصحي^٣.
 ٣. رداءة الخدمات الصحية، والتعليمية.
 ٤. انقطاع التيار الكهربائي بشكل جزئي أو متواصل.
 ٥. عدم توفر المياه الصالحة للشرب مما يجعلهم يعتمدون على باعة المياه المتجولين.
 ٦. رداءة أحوال البيوت، ومنها ما هو آيل للسقوط.
 ٧. الاكتظاظ السكاني.
 ٨. ندرة الأراضي الزراعية.

^١ المرجع نفسه، ص ٥٢.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٤.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٥.

٩. ندرة أراضي البناء.

إلا أن درجة تردّي أحوال المخيمات يختلف من بلد إلى آخر، فأفضل المخيمات حالاً تلك الموجودة في الضفة الغربية وقطاع غزة. كونها تقع . إلى حد ما . تحت عين وإشراف السلطة الفلسطينية، أما أسوأ المخيمات الفلسطينية على الإطلاق الموجودة في لبنان لأنها تعاني أوضاعاً غاية في السوء والتردي والصعوبة، سواء على صعيد الخدمات الصحية، أو الإنارة، أو التهوية، أو المياه، أو الكهرباء، أو الوظائف والمهن المسموح بها للفلسطيني أن يمتنعها.

التغيرات الاجتماعية التي لحقت بالأسرة الفلسطينية:

١. ازدياد مساحة الحرية الممنوحة لأفراد الأسرة، بحيث أصبح الفرد حراً في التخطيط لحياته، ويواجه مشكلاته ويحلها لوحده.
٢. انتشار الأسرة النووية، سواء بفعل الاحتلال الذي يهدف إلى تهجير وتفكيك الأسرة الفلسطينية، أو بفعل التغيرات الاجتماعية التي تتجه نحو تقليص حجم الأسرة الممتدة.
٣. صراع الأجيال، في ظل اختلاف ثقافة الآباء عن ثقافة الأبناء الذين يتغيرون سريعاً ويقبلون بكل ما هو جديد. في حين هذا الأمر غير مأخوذ به عند الآباء.
٤. اختلاف الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية.
٥. الاضطرابات الأسرية، مما يترتب عليه فقدان الأفراد للأمن الأسري، والاقتصادي، والاجتماعي.
٦. الانقسام الذي حل بالمجتمع الفلسطيني وانعكس على كافة الأنساق الفرعية

- للنظام الأسري كالزواج، والتنشئة الاجتماعية، والعلاقات القرابية.
٧. غياب القدوة الصالحة في ظل انبهار الأبناء بكل ما هو آت من الغرب، أو الاقتداء بلاعب كرة القدم الغربيين، أو الممثلين والمغنين... إلخ.
٨. التناقض بين ما يعلم للأبناء في الأسرة، وما يمارس فعلا في الواقع الاجتماعي. كتعليم الأبناء أن الرشوة حرام، وأن أغلب المعاملات في المؤسسات لا تمشي إلا بالرشوة والمحسوبية والواسطة.
٩. ضعف الوازع الديني وسيطرة النزعة المادية والأنانية وحب الذات.

الممارسات الإسرائيلية تجاه الأسرة الفلسطينية:

يعد الاحتلال الإسرائيلي من أخطر أنواع الاحتلال التي عرفتھا المجتمعات المعاصرة، فهو احتلال (إحلالي - استيطاني)، يهدف إلى طرد وتهجير السكان الفلسطينيين الأصليين من ديارهم ليحل محلهم. وقد شملت السياسة الصهيونية التدميرية والتخريبية كافة مجالات الحياة الفلسطينية السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والصناعية، والزراعية، والتجارية، والصحية، والدينية، والثقافية، والأسرية... إلخ.

في هذا المقام سنشير لأبرز الممارسات الإسرائيلية تجاه النظام الأسري:

١. تهجير السكان الأصليين وطردهم من ديارهم على هجرتين: الأولى كانت أثناء نكبة ١٩٤٨م، حيث هجرت الكثير من السكان من المدن، والقرى، والعائلات الفلسطينية إلى الضفة الغربية، وقطاع غزة، والدول العربية المجاورة. أما الهجرة الثانية كانت سنة ١٩٦٧م حيث احتلت إسرائيل ما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية، وقطاع غزة، والقدس الشرقية)، وبناء

- عليها هجر عدد كبير من الفلسطينيين إلى الدول العربية لاسيما دول الخليج، أو الدول الغربية والحصول على اللجوء هناك.
٢. مصادرة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة التي تعتمد عليها الأسر الفلسطينية في معاشها واقتصادها.
٣. اقتلاع الأشجار المعمرة من جذورها كالزيتون، والحمضيات، واللوز، وحرق المحاصيل الزراعية الموسمية كالقمح والشعير، أو إطلاق النار المتعمد على المزارعين بهدف قتلهم، أو إعاقتهم، أو اعتقالهم وهم يمارسون عملهم الاعتيادي في حقولهم. بهدف إدخال الرعب والخوف في قلوب المزارعين وحرمانهم من الوصول إلى مزارعهم، في المقابل يمهد الاحتلال الإسرائيلي الطريق لنفسه ليلتهم تلك الأراضي، ويدخلها ضمن ما يسمى بالحزام أو السياج الأمني.
٤. الاعتقالات المستمرة للشباب وأرباب الأسر لسبب أو بدون سبب، وما يحدث داخل المعتقلات من تعذيب جسدي، وعقاب نفسي، وانتهاك للحرمة الشخصية، والمداهمات الليلية المفاجئة، والإهمال الطبي المتعمد مما يعرض الأسرى للإصابة بالأمراض المتعددة والمتنوعة والخطيرة، وعدم عرضهم على الأطباء سريعا، وعدم السماح لهم بتلقي العلاج المناسب والكافي، وتكبيهم أثناء تواجدهم في المستشفيات والعيادات الطبية مما يؤدي بحياة الكثير من الأسرى داخل السجون. ومما يجدر ذكره، أنه قد وصل عدد الشهداء الأسرى دخل سجون الاحتلال الإسرائيلي حتى كتابة هذه السطور إلى مائتين وأربعة شهداء، حيث كان أولهم الشهيد الأسير "أحمد محمد سلامة النويري" من مخيم النصيرات، الذي استشهد بتاريخ

١٩٦٧/٦/٨ م. وآخرهم الأسير الشهيد "ميسرة أبو حمديّة" من مدينة الخليل، استشهد بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢ م، وقد استشهد نتيجة الإهمال الطبي^١.

٥. الإعاقات المتعمدة في صفوف أفراد الأسر سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر. فقد كانت هذه سياسة معلنة ومتعمدة على عهد رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق (إسحاق شامير) إبان الانتفاضة الأولى سنة (١٩٨٧). أما الأسلوب غير المباشر يكون من خلال استخدام أسلحة يكتشف ضررها بعد فترة من الزمن، كما حدث في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (٢٠٠٨-٢٠٠٩ م) واستخدامهم للفسفور الأبيض لاسيما على المناطق الحدودية من قطاع غزة، والذي ترتب عليه تشويه الأجنة وإعاقات للمواليد.

٦. القتل المتعمد لأبناء الأسر الفلسطينية. إن سياسات القتل التي يمارسها الجيش الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين ليست قتل لمجرد القتل، بل هي تطبيق لتعاليم التلمود والتوراة المحرفة، فمن بين النصوص التلمودية التي تشجع على القتل: "الذي يقتل أجنبياً [غير اليهود] يكافأ بالخلود في الفردوس". والذي يساعدهم على ذلك إيمانهم بأكذوبة أنهم "شعب الله المختار"، وكل ما عداهم (جوييم . أغيار)، أي حيوانات لا قيمة لها، ولا تستحق الحياة إلا بقدر ما يحتاج السيد اليهودي إلى خادمه. كما أنها تبرر الجرائم اليهودية البربرية. وأحيانا تصل ممارسات القتل إلى حد الاستهتار بحياة الإنسان الفلسطيني، وقد يتم ممارسة عادة القتل كنوع من التسلية، وممارسة هواية

^١ لمزيد من المعلومات عن شهداء الحركة الأسيرة الفلسطينية انظر: وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)،

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=٣٧٩٤>

القنص بين الجنود الإسرائيليين، كما تم بث العديد من الحالات التي تعكس هذا الأمر.

٧. إتباع سياسة الإبعاد للقادة والرموز الوطنية خارج فلسطين، سواء إلى الدول العربية المجاورة كما حدث في مرج الزهور^١، أو إلى دول غربية ما حدث مع بعض مبغدي كنيسة المهدي^٢.

٨. فرض حظر التجول وتقييد حركة الناس، والتي قد تمتد لأيام متواصلة كما كان يحدث في الانتفاضة الأولى سنة ١٩٨٧م.

٩. الإقامة الجبرية التي تفرض على بعض الأفراد.

١٠. مدهامات البيوت بشكل مفاجئ والعبث بملكات البيوت، وأحيانا سرقة ممتلكات كالذهب والأموال وغيرها مما هو ثمين. فضلا عن زعزعة الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي لأفراد الأسرة الآمنين.

١١. انتهاج سياسة الموت البطيء تجاه المرضى الفلسطينيين من خلال منع التحويلات العلاجية خارج فلسطين، أو مدهامة المستشفيات واعتقال المصابين من على أسرة المستشفيات، وعدم إخضاعهم للعلاج الكافي.

^١ في ١٧/١٢/١٩٩٢م قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بإبعاد (٦١٤) فردا من قيادات حركتي الجهاد الإسلامي وحماس إلى مرج الزهور جنوب لبنان.

^٢ مجموعهم تسعة وثلاثون شخصا كانوا محاصرين في كنيسة المهدي ببيت لحم، وقد استمر حصارهم من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي لمدة أربعين يوما، إلى أن عقدت صفقة بين السلطة الفلسطينية من جهة، والاحتلال الإسرائيلي من جهة ثانية في ١٠/٥/٢٠٠٠م، تقضي بإبعاد ثلاثة عشر شخصا إلى الدول الأوروبية، وستة وعشرون إلى قطاع غزة، لأجل غير مسمى.

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية

مقدمة:

يحظى موضوع التنشئة الاجتماعية باهتمام بالغ من قبل الباحثين الاجتماعيين، والنفسيين، والانثروبولوجيين، وحتى السياسيين، والدينيين. منشأ هذا الاهتمام كون التنشئة الاجتماعية تمثل نقطة انطلاق تنطلق منها كل المؤسسات الاجتماعية. بدءًا بالأسرة، مرورًا بالجماعات الاجتماعية، وانتهاءً بالمجتمع الكبير. في بناء الأجيال القادمة التي يقع على عاتقها بناء المجتمع، ومواصلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، ولأنه من خلال التنشئة الاجتماعية تغرس في النشء ثقافة المجتمع، ويتم توريثها عبر الأجيال من السلف إلى الخلف، كما تكوّن لديه الاتجاهات والقيم حول العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، كما تسهل التنشئة الاجتماعية الفرد الاندماج والتكيف مع البيئة الاجتماعية. لذلك أولت العديد من المؤسسات الاجتماعية على اختلاف مسمياتها، وخدماتها، ونطاقها الجغرافي موضوع التنشئة الاجتماعية عناية فائقة، وقد خصصت الموازنات المالية الكبيرة، والبرامج والأنشطة المتنوعة بين ثقافية، واجتماعية، وصحية، وتعليمية، وتربوية، وترفيهية، حتى تساهم في بناء جيل سليم معافى من المشكلات الاجتماعية والنفسية، والجسمية. كما أصبحت تعطي العديد من الدورات التدريبية والتأهيلية لذوي الاختصاص والمعنيين بموضوع التنشئة لتعريفهم بأهم وأفضل أساليب التنشئة والنتائج المترتبة عليها، كذلك تعريفهم بأساليب التنشئة الخاطئة والنتائج المترتبة عليها. وقبل الخوض في تفاصيل التنشئة الاجتماعية لابد من الوقوف عند مفهوم التنشئة الاجتماعية.

تعريف التنشئة الاجتماعية:

يعد مفهوم التنشئة الاجتماعية من المفاهيم الأساسية المتداولة في كتابات علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والأنثروبولوجيا، ويقابله مصطلح (التطبيع الاجتماعي) في علم التربية. وقد كانت البدايات الأولى لاستخدامه في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين، وعلى وجه التحديد سنة ١٩٣٩م، عندما استخدمه (بارك، ودولارد) في مقالات نشرت لهما في "المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع"، كما استخدمه كل من (أوجبرن، ونيمكوف) في: كتابهما "علم الاجتماع"، كما استخدمه (كاردينار) في مقال له بعنوان: "الفرد ومجتمعه"^١. ومن تعريفات التنشئة الاجتماعية:

سيكورد وباكمان: "هي عبارة عن تفاعل يتعدل عن طريقها سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها"^٢.
 مافيز روس: "العملية التي يصبح بها الفرد متعلما لأسس وقواعد اللعبة الاجتماعية"^٣.

فؤاد البهي السيد: "التنشئة الاجتماعية في معناها العام: العمليات التي يصبح بها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية، أما في معناها الخاص: العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي"^٤.
 فوزية دياب: "عملية تحويل الطفل من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين من البشر، يتفاعل بعضهم

^١ بتصرف عن: يوسف عبد الفتاح محمد، الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج العربي، د،ب، دار الفكر، ١٩٨٨م، ص ٢٧.

^٢ سيد أحمد عثمان، علم النفس الاجتماعي التربوي، ج ٢، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ٢٠.

^٣ فاطمة منتصر الكتاني، مرجع سابق، ص ٤٤.

^٤ المرجع نفسه، ص ٤٤.

مع بعض ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التي تبلور طرائقهم في الحياة^١.

حامد زهران: "أنها عملية تعلم وتعليم وتربية، وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً، فراشداً، فشيخاً) سلوك ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، ويكسبه الطابع الاجتماعي ويسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية"^٢.

حاجات التنشئة الاجتماعية:

للطفولة حاجات يجب على الأسرة أن تعيها وتستجيب لها، وتعمل على إشباعها. وقد أجمع الباحثون على الحاجات الآتية:

١. الحاجة إلى الحب:

الطفل في أمس الحاجة إلى أن يحظَّ بحب الأفراد المحيطين به، لاسيما الأم التي تعد هي مصدر الحب والحنان بالنسبة له. فالطفل لا ينمو على حليب أمه فقط، إنما يساعده على النمو صدر مليء بالحب والمودة والرحمة. بمعنى آخر، إن الطفل يحتاج إلى غذاء العاطفة والمشاعر كاحتياجه إلى الطعام والشراب، لأجل ذلك جاءت أهمية تفضيل الرضاعة الطبيعية على الرضاعة الصناعية. ففي الأولى يحظى الطفل بالأميرين معاً (الغذاء والحنان)، أما الرضاعة الصناعية تكون في الغالب خالية من شعور الطفل بالحنان.

إن الطفل بحاجة إلى أن يُحب ويُحَب، فإذا شعر أنه محبوب فإن ذلك يمثل

^١ فوزية دياب، الطفل بين الأسرة ودور الحضانه، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٨١، ص ١١٣.
^٢ إبراهيم رجب قرفال وفوزية خليل، قراءات في علم النفس والتربية، طرابلس، مكتبة طرابلس، ١٩٩٦، ص ١٠٠.

قمة سعادته، والأسرة التي توفر لأفرادها الحب والدفء العاطفي فإن ذلك يساهم في وجود أفراد أسوياء، أما إذا كان الجو الأسري مضطرباً فإنه يحرم الأطفال من حقهم في الحب والحنان ويجعلهم يعيشون حالة من القلق والتوتر.

"الكثير من الدراسات التربوية الحديثة ردت العديد من الاضطرابات العقلية والنفسية عند الطفل إلى افتقاده المحبة وحاجته إلى العطف، فليس يكفي أن تطعم العائلة وليدها وأن تكسوه وأن توفر له حاجياته المادية بل لا بد لها أولاً وقبل كل شيء من أن توفر له الحنان والعطف اللذين لا يستطيع أن يحيا بدونهما، وأن يكون سوي العقل والإرادة والتصرف".^١

٢ - الحاجة إلى الأمان:

تظهر حاجة الطفل إلى الحنان حينما يحتمي بوالديه من الخطر، والأذى، والبرد. وتمثل الأسرة الحصن الذي يحتمي به أفرادها، فيجدون فيها راحة البال، والأمن، والاستقرار. فإذا ترعرع الطفل في مثل هذا الجو الأسري يكون قد ادخر لنفسه قسطاً من السعادة والصحة النفسية، أما إذا حُرِم من الأمان فإنه يترك بصمات سلبية على شخصيته فتجعله يشعر بضيق النفس، والقلق، والتوتر، وقد لا يهتم بتحصيله الدراسي، وقد يترك المدرسة نهائياً.

٣ - الحاجة إلى الاحترام والتقدير:

كل فرد . كبيراً أو صغيراً.. ذكراً أو أنثى . يسعى للحصول على تقدير وإعجاب المحيطين به. والطفل هو الآخر يسعى لينال إعجاب وتقدير والديه، أو معلميه، أو من هم أكبر منه سناً، لأنه بحاجة دائمة إلى من يحترمه ويقدره

^١ فاخر عاقل، معالم التربية، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤، ص٦١-٦٢.

ويذكر محاسنه. فهذا يمنح الطفل قدراً من الثقة في النفس. لذلك فإن الطفل يعمل كل ما من شأنه أن يؤدي إلى كسب رضا الآخرين ويتجنب سخطهم.

٤ - الحاجة إلى الاستقلال :

الطفل بحاجة إلى الاستقلال عن والديه والاحتواء بهما في نفس الوقت. ودور الوالدان ألا يحققا واحدة على حساب الأخرى، بل عليهما أن يتدرجا مع الطفل للانتقال من حالة الإتكالية إلى الاستقلالية. والطفل بحاجة إلى قدر من الحرية في تصرفاته والتعبير عن حاجاته، فمنحه قدراً من الحرية يجعله يتحمل المسؤولية وتمنحه الثقة في نفسه. في هذه الحالة يحقق الطفل ذاته وقد يجد نفسه في هواية ما كالرسم، أو الشعر، أو القصة، أو اللعب الحر. وهنا يبرز دور الأسرة في اكتشاف تلك المواهب والعمل على تنميتها.

٥ - الحاجة إلى الانتماء :

الفرد بحاجة إلى أن يكون عضواً في جماعة تساعده وقت الحاجة. فالطفل في أيامه الأولى يكون مرتبطاً بأمه، ثم في السنة الثانية يوسّع اهتماماته فيقبل على والده، وأخوته، والأقارب. وعندما يخرج يتفاعل مع المجتمع يحتاج إلى الانتماء إلى جماعات اجتماعية مختلفة كالمدرسة، أو الرفاق.

٦ - الحاجة إلى النجاح :

على الوالدين ألا يحملا الطفل ما لا يطيق، وما لا يتفق مع سنه، لأن ذلك يسئ إليه ويحرمه من سعادة الطفولة وبراءتها. والطفل بحاجة إلى أن ينجح في الأعمال التي توكل إليه، لذلك يجب أن نتدرج مع الطفل من السهل إلى

الصعب. لأن الطفل إذا فشل في المهام الموكلة إليه قد يشعر الفشل والإحباط.

٧- الحاجة إلى المغامرة:

يحاول الطفل أن يتعرف على كل جديد ليكتشف أسراره وخفائاه. قد يُعتبر هذا السلوك باعثاً على الضجر والضييق عند بعض أفراد الأسرة، ويسود الاعتقاد بأن الطفل لديه ميول تدميرية ونزعة تخريبية. لكن الأمر على عكس ذلك تماماً، إنما هي محاولة استكشاف وتعرف فقط. ومن جهة ثانية قد تكثر أسئلة الطفل، في هذه الحالة يجب على الوالدين الإجابة على كافة استفساراته، وتقديم الإجابة بصورة صحيحة مبسطة حسب عمره حتى يتسنى له استيعابها. ومن نماذج هذه الأسئلة^١:

أ. من أين جننت؟

من بطن ماما.

ب. إذا استرسل الطفل في السؤال.

كل طفل مثلك يكون في بطن أمه إلى أن يستطع العيش لوحده، فيخرج إلى الدنيا ولا يظل متعلقاً بأمه. ولما يكبر تختلف الإجابة بحسب عمره.

ج. لماذا ليس لدي ثدي كبير مثل أمي؟

الولد ليس لديه ثدي، والأم لها ثدي. لأن الله خلقنا هكذا.

د. الولد يسأل: لماذا لا يلد بابا طفلاً؟

النساء تلد وتربي الأطفال، والرجال يقومون بالأعمال خارج البيت.

^١ محمد سعيد مرسي، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ط ١، القاهرة، دار النشر والتوزيع الإسلامية، ١٩٩٨م، ص ٣١-٣٢.

هـ. البنت تسأل: لماذا لا ألد مثلك يا ماما؟

عندما تكبرين ستتزوجين، وسوف تلدي.

و. لماذا يتزوج الرجل والمرأة؟

لأن كل بيت يجب أن يكون فيه رجل وامرأة. المرأة تعمل داخل البيت، والرجل يعمل خارجه.

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية:

كثيرة هي العوامل التي تؤثر على طبيعة سير عملية التنشئة الاجتماعية، لكن سنقتصر الحديث على أهم أربعة عوامل، اتفق عليها جمع كبير بين الباحثين الاجتماعيين، وهي: (الطبقة الاجتماعية، وحجم الأسرة، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي، والحالة التعليمية).

١ - الطبقة الاجتماعية:

تعرف الطبقة الاجتماعية أنها: "مجموعة من الناس يعيشون أوضاعاً متشابهة من حيث المهنة، والدخل، والمكانة الاجتماعية".

على الرغم من أن المجتمع له ثقافة عامة واحدة، إلا أن هذه الثقافة تنقسم إلى ثقافات فرعية حسب الانتماء الطبقي، ففي التقسيم التقليدي ينقسم المجتمع إلى ثلاثة طبقات رئيسية، هي: (الفقيرة، والمتوسطة، والغنية). وهذا التقسيم الطبقي يؤثر على طبيعة الأفكار، والقيم الاجتماعية، والسلوكيات التي تعلم للناشئة. وعليه فأساليب التنشئة الاجتماعية عند أبناء الطبقة الفقيرة تختلف عن أساليب أبناء الطبقة الوسطى، وهاتان الطبقتان أساليبيهما تختلفان عن أساليب

الطبقة العليا. فالأولى (الفقيرة) يغلب عليها الأساليب السلبية مثل: العقاب الجسدي والنفسي، والإهمال. أما فترة الطفولة عند الطبقة الوسطى تمتد أكثر مما هي عليه عند أبناء الطبقة الفقيرة، وأن أكثر الأساليب استخداماً الأساليب الإيجابية وفي مقدمتها التسامح، ومنح الثقة في النفس، والديموقراطية.

٢ - حجم الأسرة:

كلما كبر حجم الأسرة كلما تعقدت العلاقات الأسرية. وتضعف قدرة الوالدين على ضبط الأمور فيلجئان إلى استخدام القسوة والتسلط، أو الإهمال واللامبالاة. ومن جهة ثانية قد يوجد نوع من الصراع بين الأخوة، أو بين الأبناء ووالديهم. أما إذا كان عدد أفراد الأسرة صغيراً فوضعها مختلف تماماً، حيث تكون العلاقات الأسرية في أوثق عراها، ويسود الحوار الأسري، ويستطيع الوالدان إشباع حاجات الأبناء المختلفة.

٣ - المستوى الاقتصادي والاجتماعي:

المستوى الاقتصادي والمكانة الاجتماعية للأسرة ينعكسان على أساليب التنشئة الاجتماعية. لذلك تجد سلوك الأبناء يختلف من أسرة إلى أسرة، فأبناء الطبقة العليا سلوكهم مغاير عن سلوك أبناء الطبقة الدنيا. وكذلك طريقة تنشئة الأبناء في البادية، تختلف عن الريف، وكلاهما تختلفان عن الحضر.

٤ - المستوى التعليمي:

مما لا شك فيه، أن المستوى التعليمي للوالدين له تأثير على طريقة التنشئة الاجتماعية. فالوالدان المحرومان من التعليم يختلفان عن اللذين حصلوا على

التعليم. فالأولاد قد يتبعان أسلوب الشدة والقسوة، أو الإهمال واللامبالاة. في حين المتعلمين تكون طريقة تعاملهما مع الأبناء مختلفة، وهما أقدر على إشباع حاجات الأبناء.

الأساليب الوالدية في التنشئة الاجتماعية

في البداية يمكن أن نعرف الأساليب الوالدية: "مجموعة السلوكيات التي يتبعها الوالدان بشكل مقصود أو غير مقصود لتعليم، أو تعديل، أو تغيير قواعد سلوكية معينة عند الأبناء".

أغلب . إن لم يكن جميع . من وقف على دراسة الأساليب الوالدية تناوله من إحدى وجهتي نظر لا ثالث لهما. إما تناوله من وجهة نظر الوالدين، أو من وجهة نظر الأبناء، وهناك من جمع بين وجهتي النظر في دراسة واحدة مقارنة، إلا أنها اتفقت جميعها على نفس الأساليب وتشابهت في الكثير من النتائج المترتبة على تلك الأساليب. ويمكن تصنيف الأساليب الوالدية إلى (سلبية وإيجابية)، وفيما يلي تناولها بشيء من التفصيل:

أولاً : الأساليب السلبية:

١ - التسلط:

يتبع الآباء أسلوب التسلط بالرعب، والوعد، والوعيد لأنه "غالبا ما ينتمي الآباء المتسلطون إلى بيئة تربية متسلطة وإلى أسر متسلطة تمارس العنف والإكراه في العملية التربوية، وهم تحت تأثير هذه التربية مشبعون إلى حد الثمالة

بقيم التسلط وممارسته ومفاهيمه وقيمه"^١.

أسباب انتهاج هذا الأسلوب:

١- أن يكون الأب قد تربي على الحزم والشدة في طفولته، ويريد أن يربي أطفاله على ما تربي عليه.

٢- أن تكون الأم قد فقدت أمها وهي في سن صغيرة، وألقيت عليها مسؤولية رعاية أختها قد جعلها تتبع أساليب متشددة في معاملة أطفالها.

٣- رغبة الآباء في أن يحقق الأبناء ما فشلوا هم في تحقيقه في صغرهم. كمحاولات الآباء الأميين أو ذوي التعليم المتدني في إرغام أبنائهم على الدراسة، كي يعوض الأبناء نقص التعليم عند الآباء.

من مظاهر التسلط: تحديد نوع وكمية الطعام، أو الملابس، أو الرفاق، أو طبيعة الألعاب، أو المستقبل التعليمي، وقد يمتد إلى اختيار شريك الحياة.

النتائج المترتبة عليه: تزييف الواقع الاجتماعي، وتشويه الوعي الذاتي والاجتماعي، وقتل الروح النقدية، والرضا بالخنوع، ويستوطن الخوف في نفسه، وفقدان الثقة في النفس، والانطوائية، والخجل، والتردد، والقلق، والشك، وعدم القدرة على التكيف، وتنمية النزعة الإتكالية، وسيطرة الروح الانهزامية، والإفراط في الخيال هرباً من الواقع^٢.

^١ جان كلود فيلو، اللاشعور: بحث في خفايا النفس البشرية، ترجمة: علي وطفة، دمشق، دار معد، ١٩٩٦، نقلًا عن: علي أسعد وطفة، بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ص٩٣.

^٢ لمزيد من المعلومات انظر: نصر الدين جابر وسليمة حمودة، السلطة الوالدية وأثرها في بناء شخصية الأبناء، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد الأول، ديب، مارس ٢٠١٢م، ص٢٨١-٢٨٢.

٢- الحماية الزائدة:

تتمثل في قيام أحد الوالدين أو كليهما بالأعمال التي من المفترض أن يقوم بها الطفل لوحده، وحرمانه من حرية التصرف في كثير من الأمور البسيطة، والتدخل في كافة شؤون حياته.

أسباب انتهاج هذا الأسلوب:

- ❖ أن يكون الطفل وحيداً في الأسرة.
- ❖ أن يكون الطفل وحيداً في جنسه، كأن يكون ذكراً جاء بعد مجموعة إناث.
- ❖ أن يكون الطفل جاء بعد طول انتظار.
- ❖ إصابة الطفل بعاهة مستديمة، أو مرض مزمن وحاجته للرعاية أكثر من غيره.

- ❖ قد تكون الحماية الزائدة كتعويض عن مشاعر الكراهية نحو الحمل والإنجاب، وتصبح الرعاية الزائدة تعويضاً عن كراهية لا شعورية للطفل.
- ❖ عدم توافر الحب للوالدين في طفولتهما^١.

من مظاهر الحماية الزائدة: ارتداء الطفل الملابس الكثيرة حتى لا يمرض، وإغداقه بالطعام حتى يكبر بسرعة، وإغراقه بالألعاب حتى لا يلعب مع الآخرين ويمس بسوء، وعند دخوله المدرسة يقوم أحد الوالدين بإيصاله وإرجاعه، يقوم أحد أفراد الأسرة بأداء واجباته المدرسية، ويتدخل الوالدان في كل شاردة وواردة في حياته.

النتائج المترتبة عليها: اختلال التوازن في علاقات الطفل الاجتماعية، ولا

^١ رشاد صالح دمنهوري، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص ٥٤.

يعتمد على نفسه، وعديم الطموح، وغير قادر على اتخاذ القرارات المهمة في حياته، ولا يتحمل النقد، وتتعدم عنده روح المنافسة، الشعور بالإحباط والفشل عندما يتفاعل مع المجتمع؛ لأنه ينتظر منهم أن يعاملوه بنفس الطريقة التي يعامل بها في البيت.

٣- الإهمال:

يتمثل في إهمال الوالدين للطفل وكأنه ليس من أفراد الأسرة، وعدم منحه القدر الكافي من الرعاية الاجتماعية، مما يجعله يفقد حاجة من حاجات التنشئة الاجتماعية، وهي (الأمن).

وفي دراسة أجريت على المجتمع الفلسطيني تبين أن الإهمال يستخدم من قبل الأب أكثر من الأم^١.

ومن صور الإهمال: عدم توفير الاحتياجات الضرورية، وترك الطفل دون رقابة أو توجيه، وعدم الاستماع إلى شكواه وطلباته، وإرغام الطفل على ترك المنزل، والفشل في إشباع حاجات الطفل النفسية، وعدم تسجيل الطفل في المدرسة، وعدم متابعة تحصيله الدراسي، عدم توفير مستلزمات المدرسة كالكتب والقرطاسية والرسوم الدراسية.

أسباب انتهاج هذا الأسلوب:

١. حالات التفكك الأسري تجعل الطفل يفقد الحنان والرعاية.
٢. الأم الموظفة التي تترك طفلها عند المربيات، أو الخادمة، أو الأقارب، وتجعل اهتمامها بالعمل مقدم على الاهتمام بأطفالها.

^١ نادر طالب عيسى شوامر، أنماط التنشئة الوالدية وعلاقتها بالخلل لدى طلبة الصف الأول الثانوي في محافظة رام الله والبيرة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، القدس، ٢٠٠٨م، ص ٩.

٣. كبير حجم الأسرة يجعل الوالدان لا يستطيعان الإيفاء بكل الاحتياجات.
 ٤. عدم رغبة الأم في الإنجاب، أو الأسرة لم تكن مهياًة لاستقبال مولود جديد.
 ٥. ضيق مساحة السكن، مما يجعل الآباء يدفعون بأبنائهم إلى الشوارع.
 ٦. عدم الإدراك الوالدين للمسؤولية الاجتماعية الملقاة عليهم تجاه الأبناء.
- النتائج المترتبة عليه: فقدان الطفل الشعور بالأمن والانتماء، والتخبط، الانتماء إلى جماعة يجد نفسه فيها . وإن كانت تلك الجماعة منحرفة .، وتتمو لديه نزعة تدميرية قد تمتد إلى تدمير الممتلكات العامة، قد يمارض، وقد يكثر بكاءه ليجذب انتباه الأسرة إليه، وفقدان الإحساس بالكرامة، وفقدان الثقة في النفس، ولا يستطيع تكوين صداقات.

٤ - التذليل:

هذا الأسلوب على النقيض تماماً من أسلوب (التسلط)، ويقوم على التساهل، والتهاون، والتراخي في المعاملة، وقد يكون بإشباع جميع رغبات الطفل سواء كانت تقدر الأسرة على إشباعها أم لا. ويمكن إرجاع هذا الأسلوب إلى الأسباب الآتية:

- ١- التنافس بين الزوجين من أجل التقرب إلى الطفل، لاسيما في حالات الطلاق، فكل منهما يريد أن يجذب الطفل إلى صفه، وحتى يتحقق له مراده يلجأ إلى تدليله، وإغراقه بالألعاب والكماليات والنزهات والمصروف... إلخ^١.
- ٢- عدم التفرغ لمسؤوليات الأبوة والأمومة الكاملة بسبب انشغالهما في

^١ ناهد عبد الرزاق، طفلك عالم من الأسرار كيف تكتشفيه، دب، مركز الرابطة للنشر والإعلام، ١٩٩٩، ص٢٨.

- أعمالهما، فيعوضان هذا النقص أو قل الإهمال بتدليل الطفل^١.
- ٣- مجيء الطفل بعد طول انتظار، ومن شدة تلهف الوالدين على الطفل يلجئان إلى تدليله.
- ٤- أن يكون الطفل وحيداً في جنسه، ومن شدة تلهف الوالدين على الطفل يلجئان إلى تدليله.
- ٥- تعويض ما فقده الوالدان من حب في طفولتهما.
- النتائج المترتبة عليه: شعور الطفل بالغرور، وكثرة طلباته، وتضخيم صورة الطفل عن ذاته، ومتواكلاً، وتتمو عنده النزعة الأنانية وحب التملك.

٥- الإيذاء النفسي:

نقصد بالإيذاء النفسي: "كل تصرف خاطئ يمكن أن يترك أثراً سيئاً في نفس الطفل". ويأخذ الإيذاء النفسي صوراً عديدة منها: (الرفض، الخزي والإهانة، الرعب والتخويف، العزل والحبس، الإفساد، الاستغلال، الحرمان من العاطفة).

من النتائج المترتبة عليه: فقدان الثقة في النفس، والتخبط، والانطواء، والخشية من المبادرة، والتغير المفاجئ في السلوك، والتغيب عن المدرسة، وعدم الرغبة في العودة إلى المنزل، والتفاعل السلبي مع المواقف الاجتماعية، والنزعة التدميرية، والشعور بالذنب^٢.

^١ المرجع نفسه، ص ٢٨.

^٢ لمزيد من المعلومات أنظر: بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، ط ١، دمشق، الأهالي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص ٢٥١-٢٥٣.

٦- العقاب:

كثيرة هي الأسر التي تعتبر العقاب هو الأسلوب الأفضل في التنشئة الاجتماعية، لذا تجد الكثير من الآباء والأمهات دوماً عابسي الوجوه، قاطبي الجبين، لا تعرف الابتسامة ثغورهم، ولا اللين قلوبهم. ويجهل هؤلاء أن التنشئة تقوم على التجربة والخطأ. وعليهم أن يحسنوا الثواب قبل العقاب، ويلجأ الوالدان لهذا الأسلوب لأنهما غير راضين عن نفسيهما وتصرفاتهما، أو لتعرضهما لمثل هذه التجربة في صغرهما.

والعقاب نوعان: العقاب المعنوي تحدثنا عنه في النقطة السابقة، وقد يترك أثراً في النفس أشد من العقاب البدني. وهنا نقطة هامة يجب أن توضع في الاعتبار، أنه لا بد من أن يوضح للطفل الخطأ الذي عوقب من أجله كي يتجنبه في المرات القادمة، ومن ناحية ثانية ألا يقدم الوالدان على العقاب وهما في حالة غضب شديد، فكم من والد عاقب ولده وهو غضبان فأصمه أو ألحق به عاهة جسدية أو نفسية!. وقد بينت الأبحاث العلمية أن استخدام الأب للعقاب، أو التهديد له تأثير سلبي على الأسلوب المعرفي عند الأبناء^١.

٧- التذبذب:

يعد التذبذب من أسوأ أساليب التنشئة الاجتماعية، ويقصد به: "عدم اتفاق الوالدان على منهج ثابت وموحد في التعامل مع الأبناء". فهناك صنف من الآباء يُوقع العقاب بطفله لأتفه الأسباب، وصنف ثاني يتغاضى عن أخطاء أبنائه، وربما شجعه عليها في بعض الحالات، وصنف ثالث يتأرجح بين

^١ عابد عبد الله أحمد النقيعي، أثر أساليب المعاملة الوالدية على بعض الأساليب المعرفية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم القرى، مجلة جامعة أم القرى، العدد ١٧، السنة ١١، ١٩٩٨م، ص ٢٨٧.

الصنفين السابقين، تارة تجده شديداً وقاسياً، وتارة تجده رحيماً وودوداً. وهذا يجعل الطفل في حيرة من أمره، لا يستطيع التمييز بين المقبول والمرفوض اجتماعياً، لا يعرف الصحيح الذي يثاب عليه، ولا الخطأ الذي يعاقب عليه. يترتب على هذا الأسلوب: تكوين شخصية متذبذبة ومتقلبة، وفاقد الثقة في نفسه وفي والديه، وقد يكف عن التعبير الصريح عن أفكاره ومشاعره. الطريق السليم للخروج من حالة التذبذب هذه يتمثل في رسم الخطوط العريضة للمقبول والمرفوض اجتماعياً، وكذلك توفير جو أسري فيه قدر من الدفء العاطفي.

٨- التفرقة أو التمييز:

من الصعوبات التي تواجه الأسرة في التنشئة الاجتماعية، اللامساواة في معاملة الأبناء، فهناك أسر تميز بين الأبناء حسب النوع، أو حسب الترتيب في الأسرة. فالمولود الأول يحظى بالرعاية الكاملة، ويكون محط اهتمام الوالدين. ومع مجيء الطفل الثاني تتصرف الأنظار كلية نحوه، وبالتالي يتراجع منسوب الاهتمام بالطفل الأول، وقد يشعر بالحق والكرهية نحو الطفل الثاني لأنه خطف الأنظار من حوله.

بينت الدراسات أن التفريق في أساليب التعامل بين الأفراد يعكس الأسلوب المعرفي في تعامل الأفراد مع مثيرات المجال الذي يوجد فيه^١. وفي دراسة أجريت على المجتمع الفلسطيني تبين أن الأسرة الفلسطينية تميل إلى التمييز بين الذكور والإناث، إلا أن التمييز يكون في صالح الإناث^٢.

^١ المرجع نفسه، ص ٢٨٧..

^٢ نادر طالب عيسى شوامره، مرجع سابق، ص ٩.

٩- اختلاف وجهة نظر الوالدين:

هذا الأسلوب يستخدمه الوالدان كسلاح يشهره كل منهما في وجه الآخر، خاصة إذا كانت العلاقة بينهما متأزمة. ومن صور الاختلاف بين الوالدين في التنشئة: أن يؤمن الأب بالشدة والحزم، في حين تأخذ الأم بالليونة والرفقة.

ثانياً: الأساليب الإيجابية:

(١) الاستقلال:

الاستقلال مفهوم نسبي يختلف مضمونه باختلاف المواقف الاجتماعية التي يمر بها الفرد، كما يختلف باختلاف المرحلة العمرية. فعلى سبيل المثال: يتوقع الوالدان من الطفل الاستقلالية في المشي والحركة وهو ابن سنة ونصف، فاستقلال الطفل في هذه الحالة نسبي ومرتبطة بنموه الجسمي، وليس بالضرورة كل طفل يصل سن سنة ونصف يجب أن يكون مستقلاً في حركته.

ويعد تدعيم أسلوب الاستقلال هاماً في بناء شخصية سوية، لأنه يعطي الطفل القدرة على اتخاذ القرارات الخاصة به، والجرأة في التعبير عن رأيه، ومواجهة المواقف الاجتماعية دون هيبة. لكن استقلال الطفل يجب أن يرافقه قدرًا من النصيحة والتوجيه والرقابة، ولا يجوز للوالدين إزالة كل العقبات التي تعترض الطفل، كما لا يجوز التدخل في كافة شؤون حياته. وحول هذا المعنى يقول علي وطفة: "... عملية الاستقلال يجب أن تقوم على أساس الإحساس بالأمن والتحرر من القلق والكبت والإحباط... فالطفل وفق لهذا الاتجاه يجب أن يخلق بجناحيه، ولكن مع ذلك فإن حياته يجب أن تتمحور حول العش الذي انطلق منه، ومع ذلك لا يمكن للطفل أن يمتلك استقلاله ما لم يمتلك القوة في

اتخاذ قراراته بشكل مسبق"^١.

وقد وجد كلا من (ويتكن وبيري) في دراسة لهما أجريت سنة ١٩٧٥م، أن أسلوبى الاعتماد والاستقلال يرتبطان بعوامل ثقافية مثل: أساليب المعاملة الوالدية، ودرجة التطبيع الاجتماعى، والتكيف البيئى^٢.

(٢) التسامح:

يقصد بالتسامح: "منح الطفل قدرًا من الحرية في اتخاذ قراراته مصحوبة بقدر من التوجيه والإرشاد؛ حتى يستطيع مواجهة مشكلات الحياة". يعد التسامح أمراً ضرورياً للطفل؛ حتى يجعله يشعر بمكانته الاجتماعية في الأسرة، ويسهم في بناء شخصية متسامحة بعيدة عن التشدد، ويمنح الطفل حرية التعبير. إلى جانب هذا يحتاج الطفل إلى قدر من الحزم حتى لا يترك دون رقابة. وفي هذا الصدد يقول (تايلور): "إن التسامح لا يعني عدم وجود قواعد للنظام وضوابط لسيادة القانون ففي انتقائهما تدب الفوضى ويستثري* الفساد، وأن البيئة التي لا تأخذ بالتسامح يمكنها ممارستها فقط إذا كان للحرية حدود تراعى فيها القواعد الأخلاقية، بحيث يتصرف كل واحد بموجبها، وبدافع ذاتي دون ضغط أو إكراه، ويواصل قائلاً مع أن الأطفال بحاجة إلى الحرية التي يمارسونها... عليهم أن يدركوا أن هناك مبادئ وممارسات يجب عليهم وعلينا أن نطبقها حتى يتوفر للجميع الأمن والرفاهية"^٣.

^١ علي أسعد وطفة، مرجع سابق، ص ٨٧.

^٢ عابد عبد الله أحمد النقيبى، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

* الأصح: يستثري.

^٣ محمد عبد الرحيم عدس، الآباء وتربية الأبناء، عمان، دار الفكر، ١٩٩٥م، ص ٦٠.

(٣) مساعدة الطفل على تقبل وفهم ذاته:

من حق الطفل على والديه مساعدته على تقبل صورته وهيئته الخارجية. كتقبله لجنسه (ذكر أو أنثى)، وملامح وجهه، ولون بشرته، ونوع ولون شعره، وطوله أو قصره، ونحافته أو سمته، وطريقة النطق، ومخارج الحروف، وترتيبه في الأسرة. يجب على الوالدين أن يكونا عوناً للابن على ذلك، ولا يعيرانه على صفاته، ويجب تشجيعه بدلاً من انتقاص قدره، مع الأخذ في الحسبان أن يكون التشجيع موضوعياً بعيداً عن المبالغة التي تصل إلى حد الكذب والخداع. وليس هناك داع لمقارنة الطفل بأطفال آخرين سواء أخوته، أو أقاربه، أو أقرانه في الحي أو المدرسة. وأن يدرك الوالدان مسألة الفروق الفردية. فكل فرد يختلف عن الآخر في قدراته الجسمية، والاجتماعية، والنفسية، والعقلية، والمزاجية، والتعليمية، والمهارية. وبالتالي لا يجوز قياس حالة بحالة أخرى.

أما فهم الطفل لذاته: يكون بتعريف الطفل على مهاراته، والعمل على تهذيبها، وتمييزها، وتطويرها. لأن الطفل بحاجة إلى تقبل وتقدير الآخرين المحيطين به، وألا يكون الطفل موضع سخرية واستهزاء، أو إشعاره بأنه غير مرغوب فيه. فقد توصل (ميزل) إلى وجود ارتباط إيجابي بين تقدير الذات والاهتمام الأسري بالأبناء، مما ينعكس إيجاباً على سائر السلوك^١.

(٤) الأخذ بزمام المبادرة:

عندما يصل الطفل إلى ثلاثة سنوات من عمره يستوعب التجارب

^١ أسامة حمدونة، وآخرون، التنشئة الأسرية وموضع الضبط وتأثيرهما على تقدير الذات لدى طلبة الصف الحادي عشر بمحافظة غزة، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٠، العدد ٢، ٢٠٠٨م، ص ١٥.

الاجتماعية من خلال اتصاله بالكبار. وفي سن الرابعة يبدأ الطفل في تنفيذ رغباته التي تتأرجح بين الواقع والخيال. ويعد هذا عاملاً أساسياً في إحساس الطفل بذاته، وقد يلجأ الطفل في هذه المرحلة إلى التصرف الهجومي الذي يجعله عرضة للتوبيخ والضرب. لذا توجب على الوالدين أن يوفر للطفل الألعاب المتنوعة لممارسة هواياته، وفي مرحلة ما قبل المدرسة يبدأ الطفل في تشكيل أهدافه، وهنا يجب تعليم الطفل الأفعال النافعة. ويجب تشجيع الطفل على الأخذ بزمام المبادرة إذا لمسنا عنده الدافع الذاتي لتطوير مهاراته.

(٥) التوجيه عن طريق الثواب والعقاب:

يستخدم هذا الأسلوب على نطاق واسع في التنشئة الاجتماعية لتعليم الطفل السلوك الجيد، ودفعه إليه، وتجنبيه السلوك الخاطئ ودفعه عنه. فإذا قام الطفل بعمل خيرٍ قوبل بالتشجيع والثناء، وإن أتى بسلوك غير مرغوب فيه عوقب عليه. ويعتبر العقاب وسيلة لتعويد الطفل على الطاعة والامتثال، شريطة ألا يكون قاسياً إلى درجة أن يشكل ردة فعل عكسية.

إن (الثواب والعقاب) أمران ضروريان لامناس منهما في التنشئة الاجتماعية، لكن يجب أن يكون باعتدال وتوازن في استخدامهما، وأن يستخدم في الوقت المناسب. وألا يقتصر العقاب على الجانب الجسدي فقط، بل له صور عديدة منها: (اللوم، أو التأنيب، أو التوبيخ، أو الحرمان)، أما بالنسبة إلى الثواب ليس بالضرورة إثابة الطفل على عمل من المفروض أن يأتيه ويسهل تنفيذه. وقد يكون الثواب بالكلمة الطيبة، أو الثناء، والكلمات التشجيعية، أو الهدايا الرمزية.

(٦) تكوين القيم الاجتماعية:

في البداية نعرف القيم الاجتماعية هي: "الموجهات الإدراكية العليا للسلوك". ومن صور القيم الاجتماعية (العدل، والمساواة، والحرية، والكرم، والكرامة، والنظام... إلخ).

إن القيم أشياء مجردة لا يمكن لمسها، ويمكن قياسها من خلال المعايير الاجتماعية والتي هي ترجمة فعلية للقيم من خلال السلوكيات الاجتماعية. مثلاً "النظام" قيمة اجتماعية، يقاس من خلال سلوكيات أفراد المجتمع، كانتظام الناس في طوابير البنوك، أو انتظام السيارات عند إشارات المرور... إلخ.

وعليه؛ فإن التنشئة الاجتماعية تهدف إلى غرس القيم الاجتماعية، والدينية، والأخلاقية الحسنة في نفوس الأفراد وهم صغاراً حتى يشبوا عليها. وفي دراسة قام بها (إيفلين دوفال) حول: "العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والقيم الأبوية، توصل إلى أن آباء الطبقة الدنيا يرغبون في أن يكون أطفالهم مرتبين ونظيفين، ويطيعوا ويحترموا من يكبرهم سناً، أما قيم الآباء عند الطبقة المتوسطة فكانوا إلى جانب هذه القيم يغرسوا في أطفالهم قيماً أكثر تطوراً كأن يغرسوا فيهم حب التعليم وأن يكونوا سعداء ومتعاونين ومشاركة الآخرين وأن يكونوا أصحاء".^١

(٧) الاتزان في معاملة الأبناء:

كي يتحقق للتنشئة الاجتماعية هدفها في بناء شخصية سوية، قادرة على التكيف الاجتماعي. وجب على الوالدين الاتفاق على طريقة التنشئة، لا أن يكون الأب حازماً شديداً، في المقابل تكون الأم لينة رقيقة، أو العكس. ويجب

^١ لمزيد من المعلومات أنظر: سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، ص ٢٤٢-٢٤٧.

أن تكون معاملة الأبناء بالتساوي . قدر الإمكان . وألا يفرق بينهم على أساس الجنس أو الترتيب في الأسرة. وعندما نتحدث عن التساوي نقصد به التساوي في الجانب المادي (الطعام، واللباس، والمصروف)، أما الجانب المعنوي (الحب، والمشاعر، والعواطف) لا يمكن تملكها والتحكم فيها بشكل كامل، فهذه مسألة من اختصاص القلوب التي هي من طبعها التقلب ولا تعرف الاستقرار والثبات. لكن على الرغم من ذلك، إن ميل الأب أو الأم لطفل دون أخوته يجب أن يكون على حذر، وألا تصل إلى حد التمييز الواضح بين الأخوة الذي ينمّي بذور الشقاق والحقد بينهم.

(٨) الديمقراطية:

يعد الأسلوب الديمقراطي من أفضل أساليب التنشئة الاجتماعية، إلا أنه قد يساء استخدامه إن استُخدم دون ضابط فتكون نتائجه لا تقل خطراً عن الأساليب السلبية. الديمقراطية المطلوبة تكون في حدود المعقول يتخللها نوع من الحزم والشدّة إذا اقتضت الحاجة لذلك. يجب إعطاء الأبناء مساحة من الحرية للتعبير عن آرائهم، واتخاذ القرارات الخاصة بهم. فهذا يجعل الابن يشعر بالثقة في نفسه، وقادراً على الأخذ بزمام المبادرة وتحمل المسؤولية.

وفي دراسة أجريت على الأسرة الفلسطينية تبين أنها تميل إلى انتهاج الأسلوب الديموقراطي في تنشئة الأبناء، وأن الأسلوب يستخدم من قبل الوالدين، ويزيد استخدامه كلما ارتفع المستوى التعليمي للوالدين^١.

وقد بينت الدراسات أن الأسر التي تتبع أسلوب الديمقراطية مع أبنائها

^١ نادر طالب عيسى شوامره، مرجع سابق، ص ٩.

يتميزون بميزات هي^١:

- ١- أكثر ذكاءً وقدرة على التحصيل الدراسي.
- ٢- أكثر قدرة على التكيف الاجتماعي.
- ٣- أكثر قدرة على الإنجاز.
- ٤- أكثر قدرة على الانهماك في النشاط العقلي.
- ٥- أكثر اعتماداً على النفس وميلاً إلى الاستقلالية.
- ٦- أكثر اتصافاً بالود وأقل عدوانية.
- ٧- أكثر تلقائية وأصالة وابتكار.

(٩) الاستخدام الرشيد للسلطة (السلطة والمحبة):

يرى (إفروم) أن السلطة ليست صفة يملكها الشخص فهي تشير إلى علاقة بين الأشخاص، فيما يتطلع الشخص إلى الآخر على أنه إنسان أعلى منه". ويرى (ميلغرام) السلطة هي القوى الاجتماعية المحيطة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد وتكون ذات تأثير على شخصيته وأخلاقه، ويتكشف تأثير الموقف الاجتماعي على الفرد في اختلاف الأدوار التي يقوم بها^٢.

تمثل (السلطة والمحبة) نقطة الانطلاق الصحيحة في بناء الشخصية السوية، بحيث يكون كل منهما مكمل للآخر. فالسلطة الحقيقية لا توجد من غير محبة. وفي هذا يقول باولو فرايري: "... ليست هنالك حرية بدون سلطة وفي نفس الوقت فليست هناك سلطة بدون حرية فكل أنواع الحرية قد تتحول في

^١ عبد الرحيم صالح، الأسرة كعامل تربوي وتعاونها مع المدرسة في تربية الأطفال، بغداد، الإتحاد العام لنساء العراق، ١٩٧٩، ص ١١. نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ٧٢.

^٢ نصر الدين جابر وسليمة حمودة، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

بعض الظروف إلى سلطة، وهنا يجب ألا نفرق بين الحرية والسلطة بل ينبغي معاملتهما في علاقة متصلة مع بعضهما بعضاً... لأن السلطة الحقة هي التي لا تقع في تناقض المواجهة مع الحرية لأنها في حقيقتها حرية قد تحولت إلى سلطة^١.

إن القول بالتعارض بين مفهومي (السلطة والمحبة) قول خاطئ، فسلطة الكبار على الصغار أمر طبيعي وضروري، لأن الطفل يشعر بضرورة هذه السلطة كي يستطيع العيش في الوسط الاجتماعي، وإذا كان الدفء العاطفي ضرورياً لحماية الطفل، فإن السلطة تساهم بقسط من هذه الحماية.

يرى بينجامين أن علاقة الطفل بالسلطة الوالدية تقوم على أساسين، هما^٢:
١. أساس أفقي: تمثل علاقة الطفل بسلطة الوالدين عبر تطور شعوره بذاته على المستوى النفسي (أنا . أنت) ومحتوى هذا الأساس هو هوية الفرد مستقبلاً.

٢. أساس رأسي: تمثل التطور عبر المستوى الاجتماعي وتمثل هوية المجتمع.

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

أولاً: الأسرة:

إن الأسرة هي التربة الأخصب التي ينمو ويتعرعر فيها الفرد، والتي تشبع حاجاته الاجتماعية، والنفسية، والصحية، والاقتصادية. وتشرف على نموه. ومهما تعرضت الأسرة إلى التغيير ستبقى هي الأهم من بين مؤسسات التنشئة

^١ باولو فرايري، تعليم المقهورين، ترجمة: يوسف نور عوض، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠، ص ١٣٣.

^٢ نصر الدين جابر وسليمة حمودة، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

الاجتماعية، ولا يختلف اثنان حول أهمية وضرورة الأسرة في التنشئة. والأسرة لا تعيش في معزل عن المجتمع بل تؤثر وتتأثر بما يحدث فيه، وفي هذا الصدد يقول سعد الدين إبراهيم: "لا تقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية في فراغ. إنها تتأثر بالسياق المجتمعي العام، وتتلقى منه المضمون القيمي والمعياري والسلوكي الذي تغرسه بدورها في الفرد. وهذا المضمون نفسه هو نتاج القاعدة الحضارية - الثقافية المتراكمة عبر الأجيال في ذلك المجتمع. وتتأثر الأسرة أيضاً بالسياق المجتمعي الخاص الذي تستقيه من التكوين الاجتماعي التي تنتمي إليها. مثل الطبقة أو الجماعة المهنية... داخل المجتمع الأكبر".^١

في هذا المقام سنتحدث عن دور كل من الأم، والأب، والأخوة.

دور الأم في التنشئة الاجتماعية:

ليس ثمة شك حول أهمية دور الأم في التنشئة الاجتماعية لاسيما في مرحلة الطفولة المبكرة. ولحكمة يريدنا الله تعالى قد جعل غذاء الطفل في هذه المرحلة من ثدي أمه لما لها من آثار اجتماعية ونفسية طيبة. من أجل ذلك يوصي الأطباء بأن تحرص الأم على الرضاعة الطبيعية لاسيما في الشهور الأولى من عمر الطفل. وهنا علينا تدارك الخطأ الذي تقع فيه الأمهات. لاسيما العاملات. بإرسال أطفالهن إلى دور الحضانة، أو إبقائهم في البيت عند الأقارب، أو الخادمت. إن إرضاع الطفل رضاعة صناعية يحرم الطفل من مميزات كان من المفترض أن يتمتع بها عن طريق الرضاعة الطبيعية. بناء على ما سبق، يمكن القول أن الأم هي المحرك الرئيسي والمتحكم في انفعالات الطفل، فهو يغضب

^١ سعد الدين إبراهيم، الأسرة والمجتمع والإبداع في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٧٧، بيروت، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو ١٩٨٥، ص ٦٢.

ويصرخ ويكي إن غابت، ويفرح ويسعد ويتهلل وجهه إن حضرت. وقد توصل العلماء إلى عدد من النتائج المترتبة على حرمان الطفل من أمه، منها^١:

- ❖ فقدان الشعور بالأمان.
- ❖ العزلة عن المحيط الاجتماعي.
- ❖ تأخر النطق والتخلف العقلي.
- ❖ كثرة الحركات التي تشير إلى القلق والتوتر.
- ❖ عدم القدرة على التركيز وغياب عنصر الإبداع.
- ❖ تدني مستوى التحصيل الدراسي.

الشروط التي يجب توافرها في علاقة الأم بطفلها:

- ❖ معاملة الطفل حسب عمره.
- ❖ إشباع حاجات البيولوجية، والاجتماعية، والنفسية.
- ❖ تنمية قدرات الطفل الجسمية، والعقلية، والانفعالية.
- ❖ توجيه الطفل بشكل مستمر وتغرس فيه الأخلاق الحميدة.
- ❖ مساعدة الطفل على مواجهة مشاكله، وحلها بنفسه.
- ❖ إكساب الطفل الضمير الاجتماعي، والإحساس بالانتماء إلى الأسرة والمجتمع.
- ❖ تكوين أفكار واتجاهات الطفل بشكل سليم، والمحافظة على الضوابط الاجتماعية، واحترام السلطة.

^١ لمزيد من المعلومات أنظر: نايفة قطامي وعالية الرفاعي، نمو الطفل ورعايته، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧، ص ١٢٢-١٢٥.

دور الأب في التنشئة الاجتماعية:

للأب دور لا يمكن تجاهله في التنشئة الاجتماعية، حيث أن نجاح دور الأم مرهون بالأب، الذي يقع على كاهله تأمين كل احتياجات الزوجة النفسية، والاجتماعية، والمادية. دور الأب ليس مطابقاً تماماً لدور الأم خاصة في الشهور الأولى، فدوره يعد ثانوياً، رغم ذلك لا يمكن الفصل بينهما. لكن الآباء ليسوا سواءً في طريقة التنشئة الاجتماعية فهناك العديد من المؤثرات التي تؤثر في طريقة التنشئة الاجتماعية، مثل: المستوى الاقتصادي، والمكانة الاجتماعية، والدرجة العلمية، وحجم الأسرة، ومساحة البيت. فقد نجد المترخي والمتساهل إلى درجة أن يشعر الطفل أنه بلا أب. وصنف متسلط يعامل أطفاله بناءً على تجربته وخبرته في صغره متجاهلاً الفرق بين العصر الذي تربى فيه وعصر أبنائه. والصنف الأكثر اعتدالاً الذين يعتمدون على الترغيب، والإقناع، والتشجيع، وقد يلجئون إلى العقاب إذا دعت الحاجة لذلك.

دور الأخوة في التنشئة الاجتماعية:

الوالدان هما اللذان يقومان بالدور الأبرز في التنشئة الاجتماعية لاسيما في الشهور الأولى من عمر الطفل، لكنهما ينشدان المساعدة من بقية أفراد الأسرة، وقد تكون هذه المساعدة جزئية أو كلية. وهؤلاء المساعدون لا يحتلون في نظر الطفل نفس مكانة الوالدين. وتتميز العلاقات الاجتماعية بين الأخوة بالسعة والشمولية. فهم يلعبون معاً، ويشتركون في الأعمال، ويأكلون مع بعضهم، ويتبادلون ملابسهم، وينامون في نفس الحجرة، الأمر الذي يترتب عليه توثيق علاقاتهم الاجتماعية التي تقوم على الصراحة والوضوح بعيداً عن المجاملات

والرسميات.

من المفترض أن تقوم العلاقات بين الأخوة على أساس احترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير. وألا يفرض الكبير سيطرته على الصغير حتى لا تتأذى شخصية الصغير ويتملك الغرور نفسية الكبير، فنتثير في نفوسهما الحقد والكراهية، وهذا ينعكس على تصرفاتهما. ويجب ألا نغفل أن علاقة الأخوة يكون فيها نوع من المنافسة والغيرة والصدقة، وهي في الغالب انعكاس للجو العام في الأسرة .

العوامل المؤثرة في العلاقات بين الأخوة:

- ١- الجو الأسري العام: يترك بصماته على علاقات الأخوة. وهذا يتوقف على اتجاهات الوالدين نحو الأبناء. فإذا كان الجو الأسري يغلب عليه التعاون والألفة، فإنه ينعكس إيجابياً على علاقات الأخوة، والعكس صحيح.
- ٢- العمر: كلما تقاربت أعمار الأخوة كلما توثقت العلاقات بينهم، وكانوا أكثر تفهماً لاحتياجاتهم ومشكلاتهم.
- ٣- النوع: الثقافة التقليدية في المجتمع العربي تفضل المواليد الذكور على الإناث. لذلك حينما يكون المولود ذكراً تعم الفرحة والبهجة، ولا يحدث ذلك بنفس الدرجة إن كانت المولودة أنثى. وأساليب التنشئة العربية تحدد الأدوار الاجتماعية بناء على النوع (الذكور والإناث). فالطفل يتعلم قيم: الطاعة، وتحمل المسؤولية. أما الطفلة تتعلم كيفية إدارة وتنظيف المنزل. لكن بفضل التغييرات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع العربي قد تغيرت الكثير من الأساليب الخاطئة وحلت محلها الأساليب الإيجابية.

٤- الترتيب في الأسرة: أثبتت الدراسات الاجتماعية والنفسية أن علاقة الأسرة بالطفل الأول تختلف عن الطفل الثاني، أو الأخير، أو الوحيد في الأسرة، أو الوحيد في جنسه، أو الذي أتى بعد عدد من الوفيات. فالطفل الأول يحظى بالاهتمام والرعاية، ويستقبل بالفرحة والسعادة، لكن مع قدوم المولود الثاني تتصرف الأنظار كلية . بصورة لا شعورية . نحو المولود الجديد، ويقل الاهتمام بالطفل الأول، فالأخير ينظر إلى المولود الجديد كدخيل أثار على علاقته بوالديه، فتثير في نفسه الغيرة، وحتى يلفت الأنظار إليه يلجأ لأساليب مثل: (العناد، وعدم السمع، والبكاء المتواصل، والصراخ، والتبول اللاإرادي، والتمارض). أما بالنسبة إلى الطفل الأخير قد تطول فترة طفولته، وهذا راجع إلى طريقة التعامل التي يعلب عليها (الحماية والدلال الزائدان عن الحاجة)، وهذا يؤثر سلبا على علاقة الأخوة ببعضهم. وهذا يربي الطفل على التواكل، والأنانية. وقد يتعرض الطفل الأخير للضرب والإهانة من أخوته، أو حرمانه من اللعب معهم حتى يشعروه بحقيقته (أي أنه لا يساوي شيئا بدونهم). وهناك صورة ثالثة عندما يكون الطفل وحيدا في الأسرة، أو وحيدا في جنسه. تكون صورة الاهتمام بالطفل زائدة عن حدها، والتي ربما تترك أثرا سلبيا لا تختلف كثيرا عن تلك التي ذكرناها مع الطفل الأخير في الأسرة.

معوقات التنشئة الاجتماعية الأسرية:

١ - عمل المرأة:

في البداية لابد من الإشارة إلى أن عمل المرأة ليس ظاهرة جديدة، وليس ثمرة من ثمار الثورة الصناعية كما يعتقد البعض، فالمرأة في المجتمعات الريفية

كانت تخرج مع زوجها وأولادها لتشاركهم في أعمال الفلاحة والزراعة، ورعي الماشية، فضلا عن الأعمال المنزلية. والقرآن الكريم يسوق مثلا حيا في قصة موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الصالح^١ اللتان كانتا تقومان بسقي الماشية. قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} ^٢.

وفي تاريخنا الإسلامي كانت خديجة رضي الله تعمل في مجال التجارة، فهني كانت من سيدات الأعمال في عصرها. إن جاز التعبير ..
الشاهد، أن عمل المرأة ليس جديدا، بل هو قديم بقدم المجتمعات الإنسانية، إلا أن طبيعة عمل المرأة تتغير بتغير المجتمع هذا من جهة. ومن جهة ثانية الذين يعيبون عمل المرأة ويحرمونها من هذا الحق. لو كان في عمل المرأة مخالفة شرعية لما أورد القرآن تلك الحادثة، أو علق عليها بالنهاي أو التحريم. أو نهى رسول الله ﷺ زوجته خديجة من التجارة. ومن جهة ثالثة عمل المرأة يجب أن تحكمه ضوابط شرعية، ولا يترك على إطلاقه حيث الاختلاط، والتبرج، والسفور، والتحرش.

إن كان من فضل للنورة الصناعية في مسألة عمل المرأة؛ فهي فسحت مجالا أكبر للمرأة للمشاركة في مجالات أخرى غير الزراعة، والرعي، والعمل المنزلي. لكن مشاركة المرأة العربية في المجالات الحياتية الأخرى جاءت متأخرة

^١ بعض الروايات تقول أنه: النبي شعيب عليه السلام، وبعضها تقول أنه رجل صالح وليس شعيب عليه السلام.
^٢ القصص، ٢٣-٢٤.

مقارنة بالمرأة الغربية. فهناك العديد من العادات والتقاليد التي تجعل عمل المرأة العربية ثانوياً، منها: النظر إلى المرأة أنها أقل مكانة اجتماعية من الرجل، ويعاب على الرجل حتى وقت قريب خروج زوجته إلى العمل، وعلى الزوجة أن تتركس حياتها لخدمة زوجها وأولادها فقط. لكن المؤشرات تشير أن نسبة مشاركة المرأة سواء في التعليم أو في قوة العمل المستخدمة في القطاعات الحديثة الصناعية أو الخدمية، أكثر ارتفاعاً، وأخذت تزيد بمعدلات مرتفعة في مدى زمني قصير نسبياً^١.

المرأة العربية العاملة تتأرجح بين ثلاثة اتجاهات:^٢

١- **الاتجاه التقليدي المحافظ:** ينظر إلى المرأة أنها كائن ضعيف جسداً وعقلاً، وأن وظيفتها تنحصر في الإنجاب، والتنشئة، والأعمال المنزلية. ويعتبر أنصار هذا الاتجاه عمل المرأة خارج البيت من فساد الخلق، في حين لا يعيب على المرأة مشاركتها لزوجها في الأعمال الزراعية!!

٢- **اتجاه يمثل فكر الغالبية من الرجال والنساء:** هذا الاتجاه يعترف بحق المرأة في العمل، لكن في وظائف محددة تتماشى مع طبيعة تكوين المرأة، مثل: التدريس، والتمريض، والسكرتارية. كون أن عمل المرأة يساهم في تحسين دخل الأسرة.

٣- **الاتجاه المتحرر:** يساوي بين الرجل والمرأة في مختلف المجالات. ويرى أن المرأة قادرة على الإبداع، ويرجع تخلف المجتمع العربي لجهل المرأة بحقوقها

^١ ثريا التركي وهدى زريق، تغير القيم في العائلة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠، بيروت، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر ١٩٩٥، ص ٨٥.

^٢ لمزيد من المعلومات أنظر: مريم سليم وآخرون، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، سلسلة كتب المستقبل العربي ١٥، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ص ٦١ - ٦٣.

وحرمانها من الحرية واعتبارها عضواً غير فعال في المجتمع.

إذا دققنا النظر في التقسيم السابق، نجد أن الاتجاه التقليدي لم يعد له تأثير فعال في المجتمعات المعاصرة، وقد خفت صوته مع التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والتعليمية التي شهدتها المجتمع العربي، وإعطاء المرأة حق التعليم وتغيير مركزها ودورها الاجتماعي التقليدي. وإن كان له تواجد فهو في المناطق النائية عن مراكز التحضر. ونتفق مع الاتجاهين الثاني والثالث مع التحفظ على الاتجاه المتحرر. فالمرأة من حقها الحصول على تعليم عالي، ومن حقها أن تعمل حتى تكون عضواً فاعلاً ومنتجاً في المجتمع، لا أن تكون عضواً سلبياً وعالة على المجتمع، لكن أن تختار من الوظائف ما يتناسب مع بنيتها الجسدية وتكوينها النفسي ومركزها الاجتماعي، كأن تعمل في مجال: التدريس والتمريض، وأخصائية اجتماعية، والسكرتارية، والصيدلة. أما إفساح المجال على إطلاقه فهذا غير مقبول، لسببين:

أولاً: البنية الجسدية للمرأة ليست كبنية الذكر، مما يعني عدم قدرة المرأة على القيام بكافة الوظائف التي يمكن أن يأتيها الرجل. استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾^١.

ثانياً: بعض الوظائف تتطلب من المرأة أن تقضي معظم وقتها خارج البيت، وبعضها يتطلب أن تبقى على أهب استعداد، وأن تأتٍ لعملها متى استدعيت، وقد يكون ذلك في وقت متأخر من الليل. وهذا يكون على حساب وقت الأبناء والزوج. في هذه الحالة تكون المرأة العاملة مشتتة بين التزامات العمل داخل

^١ آل عمران، ٣٦.

البيت وخارجه. وأنه من الصعوبة بمكان أن توازن بينهما.

لو افترضنا أن المرأة العاملة تغلبت على هذه المشكلة بإرسال أطفالها إلى دور الحضانة، أو إبقائهم عند الأقارب، أو جلبت لهم مربية أو خادمة. في هذه الحالة تقع الأم في خطأ جسيم؛ لأن الطفل في المرحلة الأولى يكون في أشد الحاجة لها، ويحتاج إلى حنانها كما يحتاج إلى ثديها. وإذا ابتليت الأم بخادمة يجب عليها أن تكون حريصة بأن يقتصر دورها على أعمال المنزل، وألا يوكل إليها رعاية الطفل، لأن الخادمة تؤثر في تكوين أفكار الطفل وتشكيل سلوكه. ومن المعروف أن أغلب الخادמות في المجتمعات العربية . لاسيما المجتمع الخليجي . من غير المسلمات، وكانت هذه القضية محط اهتمام علماء الاجتماع والنفس هناك. وقد أجروا على هذه الظاهرة العديد من الدراسات الاجتماعية والنفسية، ومن النتائج التي توصلوا إليها: أن ترك الأم لطفلها في سنواته الأولى يجعله يشعر بالتوتر، والقلق، والحرمان، وفقدان الأمان، وعدم الاستقرار، والتعارض بين قيم البيت وقيم الحضانة أو الخادمة.

هذا من حيث تأثير خروج الأم العاملة على أبنائها، أما على مستوى علاقة المرأة العاملة بزوجها فإنه سيشوبها بعض الاضطرابات إن لم تقم الزوجة بدورها بشكل مقبول تجاه زوجها.

خلاصة القول: أن قضية عمل المرأة وانعكاساتها على البيت والأبناء قد تضاربت وتعددت الآراء حولها بين مؤيد ومعارض، وكل من تناول هذه القضية انطلق من أفكار ومعتقدات يؤمن بها. ويعد موضوع عمل المرأة من الموضوعات المطاطة التي يكثر حولها الجدل، وقد عقدت الكثير من المؤتمرات والندوات التي تناولت الموضوع من كافة جوانبه، ونظرت في حسناته وسيئاته

والمشكلات الناجمة عنه والبحث عن السبل لحلها والتقليل من مخاطرها قدر الإمكان.

٢ - كثرة الأعمال المنزلية:

الأسرة العربية تقوم على توزيع الأدوار الاجتماعية وتقسيم العمل بشكل تقليدي. أي الرجل يعمل خارج البيت ويتحمل مسؤولية الإنفاق على الأسرة وإعالتها، في حين تهتم المرأة بشؤون المنزل، وتربية الأبناء، والاهتمام بالزوج والأبناء وتلبية مطالبهم.

قلة قليلة من النساء اللاتي يستطعن التوفيق بين الأعمال المنزلية، وتربية الأبناء، والاعتناء بالزوج. لكن السواد الأعظم من النساء يولين الاهتمام بجانب على حساب الجوانب الأخرى. كأن تهتم المرأة بالأبناء على حساب حقوق الزوج، أو تهتم بأمور المنزل على حساب الأولاد والزوج، الأمر الذي يزيد من إرهاق الأم، ويصعب عليها التوفيق بين المهام المطلوبة منها، وقد ينجم عن هذه حالة من القلق والتوتر الذي يسيطر على الأم، وهذا بدوره ينعكس على الجو الأسري.

إذا كان هذا هو حال المرأة المتفرغة لأعمال المنزل فقط، فما بالنا بالمرأة العاملة خارج المنزل؟!، بدون شك ستكون أكثر توتراً وقلقاً. ولم تستطع التوفيق بين أعمال البيت والتزامات العمل. والزوج إن لم يكن متعاطفاً مع زوجته ومتفهماً لحالتها ولدورها الوظيفي فإنه يزيد من توترها وقلقها، وهذا ينعكس سلبياً على العلاقات الأسرية.

٣- سوء السكن:

الكثير من الأسر تعيش في أماكن مزدحمة، وشديدة الضوضاء، وريئة المرافق الصحية، والتهوية الملوثة. ولا يخفى على أحد النتائج الصحية السيئة المترتبة على هكذا مسكن. وكثيراً ما يؤدي ضيق السكن إلى الازدحام الشديد فقد يشترك الكبار والصغار، والذكور والإناث في نفس الحجرة، مما يعرضهم للعدوى وتناقل الأمراض.

بسبب زحمة المساكن وضيق مساحتها يشجع الآباء الأبناء على الخروج من البيت واللعب في الشوارع، وما ذلك إلا للتخلص من ضوضائهم. ومثلما هو معروف الأولاد في الشوارع يكونون معرضين إلى الخطر، فقد يلتف حولهم الشلل المنحرفة، أو الإصابة بالأمراض، أو التعرض لحوادث السير.

ومن الأمور المثيرة للعجب أن كثيراً من الأسر ميسورة الحال لا تستطيع أن توفر ساحة فسيحة لإعطاء الطفل حريته في الحركة والتنقل واللعب، كونهم يسكنون في المباني العالية والشقق الضيقة المزدحمة بالأثاث والكماليات التي يخشى أن يدمرها الطفل. لذا إذا لمس الطفل شيئاً ضربوه، وإذا رفع صوته نهروه، وإذا خرج للعب منعه. بهذا الشكل نجد أن رغبات الطفل محاربة، وهذا يجعل الطفل منزعجاً ومتوتراً باستمرار.

وإذا تحدثنا عن الحدائق والمنتزهات العامة نجدها قليلة، وإن وجدت فهي بعيدة عن البيوت، ودخولها يحتاج إلى تذاكر قد تكون بأسعار مرتفعة، وقد لا يتسنى للأسر الفقيرة أو ذات الدخل المحدود الوصول لها وتحمل نفقاتها. وإن وجدت قرب البيوت قد لا يجد الوالدان الوقت الكافي ليقضياه مع الطفل!!

٤ - جهل الأمهات بأسس التنشئة السليمة:

إذا كنا نتعجب أن يُعهد لرجل الشارع أن يعالج المرضى في المستشفيات والمراكز الطبية، فإن العجب يزداد إذا أوكلت تنشئة الأطفال لمن لا خبرة لها ولا معرفة باحتياجات الطفولة. فالتنشئة الاجتماعية ليست أمراً سهلاً يوكل أمرها لأي شخص، لابد لمن يقدم على ممارسة هذه العملية أن يكون قد أعد لها إعداداً سليماً ويثبت كفاءته.

مما لا شك فيه أن معظم الآباء والأمهات يحبون أطفالهم ويعتبرونهم مصدر سعادتهم، لكن الحب وحده لا يكفي، فإذا أفرط الوالدان في الحب، والدلال الزائد، والحماية الزائدة، فإنه سيجرب عليها نتائج عكسية، قد يجعل الطفل أنانياً، ومتواكلاً، وانهزامياً، لا يستطيع تحمل النقد. أحياناً بعض الأمهات . لاسيما الأبنكار منهن . يتبعن الطرق الشعبية أو استشارة الأمهات وكبيرات السن في معالجة مشكلات وأمراض الأطفال. وهذا التصرف له نتائج عكسية في أغلب الأحيان. لذلك يجب إخضاع الشباب والفتيات المقبلون على الزواج لدورات تدريبية وتأهيلية حول طبيعة الحياة الزوجية، وللتعرف على طبيعة الأدوار الاجتماعية المطلوبة منهم.

٥ - عدم ملائمة البيت لمتطلبات الطفولة:

لا أحد ينكر ما توفره الأسرة للطفل من الأثاث كالسرير، والكرسي، والألعاب، والدمى وغيرها. لكن هذه الأمور تعتبر حلاً جزئياً، لأن البيت مكتظاً بالحاجات التي تخص الكبار ومحظور على الطفل أن يقترب منها أو يعبت بها. فالأب له مكتبته وأوراقه الخاصة، والأم لها أدواتها الخاصة بها،

والأخوة لهم كتبهم وألعابهم. إذا عاش الطفل في هذا الجو الأسري المحفوف بالمحظورات والممنوعات فإنها تثير لديه الضجر والقلق والتوتر.

في الحقيقة يواجه الطفل الكثير من العقبات في البيت، إذا تفرغ الوالدان لمداعبته مرة فانشغالهما عنه مرات، وإذا ترك الطفل الوالدان وأراد اللعب في البيت وجد نفسه محاطاً بالموانع. ليس معنى هذا أن يترك الطفل طليقاً يعيث في البيت فساداً، أو يترك الوالدان والأخوة أعمالهم، ويتفرغون كلية للطفل، لكن لا بد أن يعطى كل ذي حق حقه، وأن ينعم الطفل بحقه في اللعب.

ثانياً: المدرسة:

تعريف المدرسة:

تعددت تعريفات مفهوم المدرسة، ومن بين تلك التعريفات:

- ❖ سميح أبو مغلي: "هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية، ونقل الثقافة المتطورة، وتوفير الظروف المناسبة للنمو جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً"^١.
- ❖ فرديناند بوبسون: "مؤسسة اجتماعية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين الأسرة والمجتمع من أجل إعداد الأجيال الجديدة ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية"^٢.
- ❖ تورستان: "مؤسسة اجتماعية رسمية تقع تحت سيطرة الوصاية المباشرة للسلطة السياسية تعيد إنتاج الأيديولوجيا الغالبة"^٣.

^١ سميح أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة، علم النفس الاجتماعي، عمان، دار اليازوري العملية، ٢٠٠٢، ص ٥٠.
^٢ إسماعيل ميهوبي، التنشئة الاجتماعية للتلميذ المراهق والنظام الأيديولوجي بالوسط الريفي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد الأول، دن، مارس ٢٠١٢، ص ٢٥٧.
^٣ المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

- ❖ إيليتش: "مكان يجتمع فيه أشخاص من سن معينة حول معلم، وهم مجبرون على الحضور وإتباع بعض البرامج"^١.
- ❖ هيربرت سبنسر: "منظمة اجتماعية ذات طابع خاص ليست للتعلم فحسب بل تمارس ألوانا من التفاعل الاجتماعي كالتعاون والتفاعل والتنافس والصراع"^٢.

خصائص المدرسة:

- ١- تعتبر المدرسة بيئة اجتماعية وثقافية تحكمها مجموعة من اللوائح والأنظمة المستوحاة من للمجتمع.
- ٢- تقوم المدرسة على أسس تربوية وإدارية علمية.
- ٣- تعتبر المدرسة بيئة تربوية تتبع الأسلوب المبسط في نقل الخبرات والمعلومات إلى التلاميذ، فتتدرج معهم من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، وترتبط الماضي بالحاضر.
- ٤- تمثل المدرسة شبكة من العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الإدارة، والمدرسين، والتلاميذ.
- ٥- تتمتع المدرسة بسلطة اجتماعية وعلى جميع التلاميذ الانقياد لها، كما لها منهاج دراسي، وأساليب تدريس.
- ٦- تنمّي المدرسة عند التلاميذ الشعور بالانتماء والولاء لها وللمجتمع.
- ٧- ترسخ المدرسة قيمة النظام في حياة التلاميذ من خلال الثواب والعقاب.
- ٨- تقوم المدرسة بدور مكمل لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية.

^١ المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

^٢ المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

العلاقة بين الأسرة والمدرسة:

من المعروف أن الأسرة كانت تقوم بوظيفتي التربية والتعليم، لكن مع ظهور المدرسة فقدت هذه الوظيفة وأوكلت للمدرسة. وهذا لا يعني توقف دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، بل جاء دور المدرسة مكملًا ومعدلاً لها.

إن المدرسة في العقود السابقة كانت تعيش حالة من العزلة الاجتماعية عن المجتمع المحلي، بحيث تستلم التلاميذ صباحاً ثم تطلق سراحهم بعد انتهاء الدوام المدرسي. وبعد خروج التلاميذ من المدرسة تتقطع صلتهم بها. وتتحصر مسؤولية المدرسة داخل أسوارها فقط. أما في العصر الحديث لم تعد العلاقة بين الأسرة والمدرسة على هذه الشاكلة، فقد أصبحت العلاقة أقوى وأوثق عرى من قبل. فدور المدرسة في التنشئة الاجتماعية تكميلي لدور الأسرة. لذلك فإن توثيق العلاقة بين الأسرة والمدرسة من الأهمية بمكان، فهي توجد فرص التقارب بينهما، والاتفاق على ما يجب تعليمه إلى الطفل مما يجعله بعيداً عن حالة الصراع الناجمة عن التناقض بين الأسرة والمدرسة.

هناك الكثير من الأخطاء التي تقع فيها الأسرة بحق المدرسة. مثلاً توجد أسر لا تعرف عن نظام المدرسة شيئاً. فكل ما تعرفه أن المدرسة تقوم بحشو ذهن التلميذ بالمعلومات من أجل النجاح والحصول على الشهادة نهاية العام الدراسي، وتغفل دور المدرسة التربوي. من جهة ثانية قد يسود الاعتقاد عند بعض الأسر أن المدرسة هي المسؤولة مسؤولية تامة عن تربية الأبناء وتعليمهم، وتتجاهل أن دور كل من الأسرة والمدرسة مكملان لبعضهما البعض. في المقابل قد تغالي المدرسة فيما تطلبه من الأسرة في مساعدة الطفل، وترهق

الأسرة مادياً بكثرة طلباتها.

ولتلافي مواطن الخلاف بين الأسرة والمدرسة، وتوثيق الصلة بينهما. هناك العديد من أوجه التعاون والتقريب، نذكر منها:^١

١ - مجالس الآباء :

تُعالج مجالس الآباء مشكلات التلاميذ، وترفع الوعي التربوي عند أولياء الأمور لتكوين فكرة واضحة عن مهمة المدرسة، وكذلك تستفيد المدرسة من خبرات الآباء في مجالات الحياة المختلفة، وتبادل وجهات النظر بين الآباء والهيئة التدريسية والإدارية للتعرف على اتجاهات وميول التلاميذ والعمل على تنميتها وتطويرها.

٢ - تنظيم اليوم المفتوح:

في هذا اليوم تلتقي الأسرة والمدرسة لتبادل المعلومات عن حياة التلاميذ، ومناقشة مشكلاتهم، وتذليل العقبات التي تعترضهم، ومن جهة ثانية المشاركة في الحفلات والمعارض التي تقيمها المدرسة بإسهامات التلاميذ.

٣ - عقد المحاضرات والندوات:

تعقد المحاضرات والندوات بهدف معالجة المشكلات الاجتماعية، والتربوية، والنفسية، والتعليمية، والصعوبات التي تواجه التلاميذ في الأسرة والمدرسة ومدى تأثيرها على التحصيل الدراسي، والعلاقات الاجتماعية المدرسية، وكيفية التعامل مع حالات التسرب الدراسي، والعزلة الاجتماعية، وعدم التفاعل في الفصل،

^١ لمزيد من المعلومات أنظر: المرجع نفسه، ص ٨٥-٩٧، حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع، ط١، عمان، دار الصفاء، ٢٠٠٠، ص ١١١-١١٣. عبد العزيز جادو، علم نفس الطفل وتربيته، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١، ص ٥١-٥٢.

وعدم المشاركة في الأنشطة المدرسية... إلخ.

٤ - إصدار النشرات:

هذه النشرات عبارة عن أوراق عمل تسعى إلى تحقيق هدف محدد، وترسل إلى أولياء الأمور، ويفضل أن تكون موجزة وواضحة تتناول قضية تربوية ما. قد تكون هذه النشرات من إعداد الأخصائي الاجتماعي أو الأخصائي النفسي، أو من إعداد التلاميذ تحت إشراف المعلمين. من خلالها تعرض مهارات التلاميذ في الشعر، أو القصة القصيرة، أو الخواطر، أو الاهتمامات العلمية، أو رسم الكاريكاتير... إلخ.

٥ - المقابلات الفردية:

في العادة يقوم بها الأخصائي الاجتماعي أو المرشد التربوي المدرسي بمعالجة مشكلات التلاميذ في إطار المدرسة مثل: التأخر الدراسي، أو الغياب المتكرر دون عذر، أو الهروب من المدرسة، أو العنف المدرسي، أو العزلة الاجتماعية، أو الخجل الاجتماعي، أو عدم أداء الواجبات المدرسية... إلخ.

٦ - إرسال التقارير الشهرية:

ترسل هذه التقارير من مربي الفصل لأولياء الأمور، يُوضّح فيها مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ، وطبيعة سلوكياته، وعلاقاته الاجتماعية المدرسية مع معلميه وزملائه، ومستواه الصحي.

٧ - إقامة صناديق لجمع التبرعات ومساعدة التلاميذ ذوي الوضع الاقتصادي

الحرص كي لا تقف ظروفهم الصعبة حائلاً بينهم وبين مواصلة التعليم.

دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية:

كما أشرت في أكثر من موضع سابق، إن دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية ليس في حالة تعارض أو تنافر مع دور الأسرة، بل هو دور تكميلي وتنقيحي. ومن أبرز أدوار المدرسة في التنشئة الاجتماعية:

١. من خلال الأخصائي الاجتماعي، أو المرشد التربوي تقوم المدرسة بتقديم خدمات الرعاية النفسية، والاجتماعية للتلاميذ، ومساعدتهم على تفهم مشكلاتهم ووضع الحلول لها، والانتقال بهم من الانغلاق على الذات، والاعتماد على الغير، إلى الاعتماد على النفس، والتفاعل مع البيئة الاجتماعية.
٢. من خلال اللوائح، والأنظمة، والمعايير، والقوانين المدرسية يتعلم التلميذ كيف يضبط سلوكه، ويتحكم في انفعالاته، ويحقق أهدافه.
٣. من خلال البرامج والأنشطة المدرسية تكتشف مواهب التلاميذ، ويتم العمل على تنميتها وتطويرها.
٤. إكساب التلاميذ العادات الصحية السليمة التي تحافظ على سلامة أبدانهم، وتقيهم من الأمراض.
٥. إكساب التلاميذ أسلوب التفكير العلمي، وإثارة الطموح والتنافس بينهم.
٦. التعاون بين المدرسة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة في المجتمع لإتمام التنشئة الاجتماعية المدرسية في صورتها الصحيحة.
٧. استخدام الثواب والعقاب في تعليم التلاميذ القيم والأدوار الاجتماعية.
٨. المدرسة بيئة اجتماعية خصبة يوجد فيها المعلمون من تخصصات علمية متنوعة، وتلاميذ من طبقات اجتماعية متفاوتة، وعلاقات اجتماعية متبادلة

موزعة بين تعاون، وتنافس، وصراع، وخصام. في هذا الجو الاجتماعي يتعلم التلاميذ الأنماط السلوكية المختلفة.

٩. تزيل المدرسة كل ما يتعلق في نفس التلميذ من صراعات نفسية ناجمة عن الجو الأسري المتأزم.

١٠. العمل على تعديل العادات والتقاليد والسلوكيات التي يكتسبها من الشارع.

ثالثاً: وسائل الإعلام:

تعريف الإعلام:

"تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات الصحيحة، والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات. فإذا خلت هذه العملية من الصدق لم تصبح إعلاماً بالمعنى الصحيح، بل هي نوع آخر كأن يكون تضليلاً للجمهور، أو مؤامرة سوداء ضد هذا الجمهور"^١.

أنواع وسائل الإعلام:

١. الإذاعة.

٢. التلفزيون.

٣. الفيديو.

٤. المسجل.

٥. المسرح.

^١ عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، ص ١٠٥. نقلاً عن: مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٩٩٨م، ص ١٢.

٦. السينما.
٧. الأقراص المدمجة.
٨. المطبوعات (الكتب، والمجلات، والصحف).
٩. الملصقات.
١٠. الإعلانات المكتوبة.
١١. الخطابة.
١٢. الأناشيد والأغاني.
١٣. الندوات والمحاضرات.
١٤. الهاتف والجوال.

دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية

لا يختلف اثنان حول مدى أهمية وخطورة وسائل الإعلام المعاصرة على التنشئة الاجتماعية، بل أصبحت وسائل الإعلام بكافة صورها تزامم وتتافس الأسرة في دورها في التنشئة الاجتماعية، فهي تغرس في الأفراد الكثير من المعتقدات والقيم والأفكار المختلفة حول مختلف القضايا الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية. وفي ظل تراجع أو انعدام الرقابة الأسرية على الأبناء فيما يشاهدون ويقرءون يتعلمون الكثير من السلوكيات والأفكار التي لا تتماشى مع ثقافة ومعتقدات المجتمع.

الكلام السابق لا يعني أن الإعلام كله سلبي، بل هو سلاح ذو حدين يجمع بين السلب والإيجاب، لكن الذي يتحكم في إيجابيته وسلبيته كيفية استخدام

وسائله. لن نتحدث بالتفصيل عن دور وسائل الإعلام، إنما نكتفي بالإشارة إلى دورها في التنشئة الاجتماعية. ومن بين هذه الأدوار الاجتماعية:

(١) تبصير الناس بما يدور حولهم من أحداث سواء في المجتمع المحلي أو مجتمعات العالم الخارجي.

(٢) تنمية مهارات التعليم والاستماع عند الأفراد بشكل مباشر وغير مباشر.

(٣) المهارات والمعلومات والأفكار التي تقدمها وسائل الإعلام تكون بسيطة، وبإمكان المتابع أن يفهمها دون شرح أو تدخل وسيط.

(٤) متابعة وسائل الإعلام لا تحتاج إلى معرفة القراءة والكتابة. عدا وسائل الإعلام المكتوبة ..

(٥) تساعد وسائل الإعلام في تشكيل الرأي العام حول القضايا المجتمع.

(٦) تساعد وسائل الإعلام في الترفيه عم أفراد المجتمع من خلال بث المسلسلات، والمسرحيات، والأفلام، والبرامج الخفيفة والمسلية.

(٧) تتسم البرامج الإعلامية بالواقعية.

(٨) تستهلك وسائل الإعلام الكثير من أوقات أفراد الأسرة لاسيما الأطفال. فقد بينت دراسة أمريكية أن الأطفال يقضون يوميا خمسة ساعات أمام شاشات التلفزيون، فيما يقضون في حدود خمسة دقائق مع آبائهم^١.

رابعا: المؤسسات الدينية

تؤدي المؤسسات الدينية (مساجد، وكنائس، وأديرة، وأسقف، ومعابد) دوراً هاماً في حياة الفرد والجماعة العقائدية والروحية. وتعد المؤسسات الدينية مراكز

^١ عبد الكريم بكار، التواصل الأسري، ط٢، القاهرة، دار السلام، ٢٠٠٩م، ص٣٤.

إشعاع ثقافي ووعي ديني. وعليه، فإنه يُنظر إليها كمدارس تضم في صفوفها الكبار والصغار، الذكور والإناث، وتفتح أبوابها للجميع من مختلف الشرائح الاجتماعية، والمراحل العمرية، فعن طريقها يجد الفرد الهداية والصلاح، ويغلب عليها طابع المحبة والتراحم. وتتبع أهمية المؤسسات الدينية في تحويل التعاليم والنصوص الدينية إلى سلوكيات اجتماعية، وتعمل على تنمية الوازع الديني، وتمد الأفراد بالقواعد الأخلاقية الحميدة.

ويعتبر الدين أداة فاعلة من أدوات الضبط الاجتماعي، فهو يساعد في تكوين الضمير عند الفرد، حيث يراعي الله في كل تصرفاته. وتترك هذه الأمور بصمة جيدة على المجتمع حيث ينتشر بين أفرادها التضامن، وتمتص حدة التوتر والصراع.

وتتبع دور العبادة أساليب نفسية واجتماعية في غرس القيم الدينية التي لها كبير الأثر في عملية التنشئة، ومن هذه الأساليب^١:

١. الترغيب والترهيب.
٢. التكرار والإقناع.
٣. المشاركة الجماعية في العبادات كالصلاة والصيام.
٤. عرض النماذج السلوكية الطيبة مثل: سيرة الرسول ﷺ، وزوجاته، والخلفاء الراشدين، والصحابة، والتابعين.

هذا بالنسبة إلى الأديان بصفة عامة، ولو خصصنا جانباً من الحديث عن الدين الإسلامي، نجد أنه أولى عناية فائقة لتربية وإعداد النشء وهذا يمكن استكشافه دون عناء من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وبشكل لا

^١ هدى محمد قناوي، الطفل: تنشئته وحاجاته، ط٣، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩١م، ص٨٠.

يتعارض مع ما توصلت إليه العلوم الاجتماعية. فنجد أن الإسلام يتعامل مع الإنسان بصورة شاملة، حيث تناول حياته المادية والروحية معاً، ولم يهتم بوحدة على حساب الأخرى. والإسلام نظر إلى المجتمع نظرة كلية فتناول العلاقات الاجتماعية، وحدد الأدوار الاجتماعية، ووضع أصول المعاملات.

وسورة لقمان تختصر أسس التنشئة الاجتماعية الإسلامية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي غَامِغٍ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَنَقُصِّ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝١

ويمكن تلخيصها في العناصر الآتية:

- ١- توحيد الله تعالى وعدم الشرك به.
- ٢- بر الوالدين والإحسان إليهما.
- ٣- الحمد والثناء لله تعالى في السراء والضراء، في السر والعلن.
- ٤- الاعتراف بدور الوالدين في حياة أفراد الأسرة، لكن في المقابل لا طاعة

لهما إن حثا الابن على معصية الله تعالى. (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

- ٥- التوبة والإنابة والاسترجاع لله تعالى.
- ٦- مراقبة الله في السر والعلن.
- ٧- المحافظة على الصلاة.
- ٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٩- الصبر على الشدائد والمصائب.
- ١٠- تجنب الذل والهوان.
- ١١- الابتعاد عن الكبر والخيلاء والتعالي على الناس.
- ١٢- الاعتدال في المشي والحديث.

الفصل الرابع

المشكلات الأسرية

المقدمة:

ماذا نقصد بالمشكلات الأسرية؟:

"هي حالة من عدم التكيف والانسجام بين المعايير الاجتماعية الأسرية والواقع الأسري المعاش". ووفق هذا المعنى فإنه لا توجد أسرة على وجه الأرض من لدن آدم عليه السلام حتى قيام الساعة تخلو من المشكلات والخلافات بين الزوجين، أو بين الوالدين والأبناء. إلا أن حدة المشكلات وطبيعتها تختلف من أسرة لأسرة، ومن مجتمع لآخر. كما أن طبيعة وحجم المشكلات الأسرية تختلف من فترة زمنية لأخرى. على سبيل المثال: في العقود الماضية كان يتم الحديث عن مشكلات أسرية من قبيل ارتفاع معدلات الزواج المبكر، وختان الإناث، وتقييد حرية المرأة. أما اليوم فيتم الحديث عن مشكلات أسرية من قبيل ارتفاع العنوسة عند الفتيات، وعزوف الشباب عن الزواج، وغلاء المهور، وارتفاع معدلات الطلاق، وانتشار جريمة الزنا، زيادة النزعة الاستهلاكية، فتور العلاقات الأسرية، وضعف الرقابة الوالدية على الأبناء.

بما أننا نعيش في زمن التغيرات الاجتماعية السريعة، وفي زمن العولمة الثقافية، والتكنولوجية، والاجتماعية المتوحشة التي ألقى بظلالها على النظام الأسري حتى أصبحت الأسرة تعاني من مشكلات اجتماعية جديدة لم تكن تعرفها من قبل، أو تعمل على تعميق مشكلات أسرية معروفة من قبل. وفي هذا المقام سنعرض لأبرز المشكلات الأسرية التي تعاني منها الأسرة العربية عموماً، والأسرة الفلسطينية على وجه الخصوص، ومن بين هذه المشكلات: (الطلاق،

والعنف الأسري، وتعدد الزوجات). وفيما يلي الحديث بشكل مفصل ومستقل عن كل مشكلة من تلك المشكلات.

الطلاق

لم يشرع الزواج، ولم تبين الأسر إلا من أجل توفير مناخا ملائما من الأمن والاطمئنان، والمودة، والرحمة بين الزوجين. قال تعالى: {لَوْ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}¹. كما شرع الزواج لحماية الرجال والنساء من الوقوع في برائث الجريمة والزديلة، والعمل على إشباع الغريزة الجنسية بطريقة مشروعة، كما يهدف لإنجاب الذرية التي تحفظ للمجتمع دوامه. إلا أن وجود حياة أسرية خالية من المشكلات هذا أمر مستحيل، وضربا من ضروب الخيال. إن كانت بيوت الأنبياء عليهم السلام . المعصومين من الخطأ،، لم تخل من خلافات، فما بالك من بيوتنا نحن؟! فهذا آدم عليه السلام اختلف مع زوجته حواء في الأكل من الشجرة، وما ترتب عليها خروجها من الجنة ونزولها إلى الأرض، واختلاف نوح عليه السلام مع ابنه (كنعان) الذي لم يؤمن به وبرسالته وكانت نهايته الغرق، واختلاف لوط عليه السلام مع زوجته التي لم تؤمن برسالته وكانت نهايتها الهلاك، كذلك هجر رسول الله ﷺ لزوجاته... إلخ.

إذن المشكلات والخلافات الزوجية موجودة في كل بيت، غير أن نسبتها، ونوعيتها، وشدتها، وأساليب مواجهتها تختلف من أسرة لأخرى. هذا الاختلاف يكون حسب إمكانيات الزوجين، وطاقتهم على التحمل، ومهاراتهم في

¹ الروم، ٢١.

التفاوض والإقناع وحل الخلافات واحتوائها، ومستواهما التعليمي، ونضجها الاجتماعي، وحالتهم الاقتصادية، ووازعها الديني، وبيئتهما الاجتماعية. فهناك صنف يعمل على معالجة المشكلات الأسرية أولاً بأول، ويعالجها بالحكمة والعقل. وصنف ثاني يتجاهل المشكلات حيناً ويعالجها حيناً آخر، قد ينجح حيناً ويتعثر حيناً آخر. وصنف ثالث يتجاهل المشكلات كلية وكأن شيئاً لم يحدث، ولم يعرهما أدنى اهتمام، ويدعها تتراكم بعضها فوق بعض إلى أن تصل الحياة الزوجية إلى طريق مسدود لا يفلح معها أية جهود إصلاحية، أو حلول وسط تعيد للأسرة استقرارها وتوازنها. في مثل هذه المواقف يأتي التدخل والعلاج الإسلامي. وهناك بعض الأزواج والزوجات المندفعين والمندفعات الذين يتعجلون طلب الطلاق عند أول مشكلة تواجههم، وكأن الدنيا قد اسودت في عيونهم، وقد وصلوا إلى نهاية المطاف!

مراحل علاج الخلافات الزوجية

رؤية إسلامية

لقد بين الإسلام سبل علاج الخلافات الزوجية، وأنه يكون بالتدرج وعلى مراحل حسب طبيعة المشكلة. وفيما يلي توضيح تلك المراحل:

المرحلة الأولى: جهود الزوجان:

في المرحلة الأولى تقتصر الجهود الإصلاحية على الزوج والزوجة فقط، وداخل بيت الزوجية، ولا يدخل بينهما أحداً. قريباً كان أو بعيداً.. وفي هذه المرحلة توجد ثلاثة أساليب علاجية تمثلت في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ

نُشَوْرَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ^١. وسنتحدث عن كل أسلوب بشيء من التفصيل:

❖ الأسلوب الأول: الوعظ والنصيحة:

شيء طبيعي أن يتخلف الزوجان في الطباع، أو الثقافة، أو الاهتمامات، أو أي أمر آخر . لاسيما في السنتين الأولين من الزواج .. وتلك الأمور تعتبر مدعاة للاختلاف. فأفضل السبل لحل الخلافات الأسرية، وحماية الأسرة من التصدع والانهيار، هو إتباع أسلوب الوعظ والنصيحة، والحوار والتفاهم؛ حتى يقف الزوجان على مواطن الخلاف، فيعملان على علاجها، وتفاديها في المرات القادمة.

في هذا المقام يقدم لنا رسول الله ﷺ علاجاً نبوياً وقائياً قبل أن تستفحل المشكلة وتكبر ولا يمكن تطويقها والسيطرة عليها. فقال: "لا يفرَكُ^٢ مؤمناً مؤمنةً، إن كرهَ منها خُلُقاً رضيَ منها آخر"^٣. أي أن الزوج المؤمن والصالح والحكيم لا يطلق العنان لمشاعره السلبية ويجعلها هي المسيطرة على علاقته بزوجته. فإن كره منها سلوكاً ما، فإنه يكره سلوكها ولا يكره شخصها، ولا يعلن عن كراهيته وبغضه لها. إنما يقوم بعملية مراجعة سريعة لحياتهما الزوجية ويسترجع ويتذكر الجوانب الإيجابية بينهما. فتكون هنا الموازنة بين إيجابيات وسلبيات الزوجة، بل أن الإيجابيات قد تفوق السلبيات. وهنا تتحقق (المودة والرحمة) بين الزوجين. وقد يحدث العفو والصفح، ويتم تجاوز المشكلة.

^١ النساء، ٣٤.

^٢ أي لا يبغض أو يكره.

^٣ صحيح مسلم، ١٤٦٩.

إن لم تفلح هذه الطريقة. ينتقل الزوجان إلى الطريقة الثانية.

❖ الأسلوب الثاني: الهجر في الفراش:

الهجر الذي أشارت له الآية القرآنية هو هجر الفراش، أي يعطي الزوج ظهره لزوجته عند النوم. هذا الأسلوب العقابي له آثاره النفسية التي تفوق العقاب الجسدي بمرات عديدة. فقد يحرك في نفوس الزوجين مشاعر التأنيب، والعتاب، واللوم، والمحاسبة. فيعودان إلى الأسلوب الأول للإصلاح والحل والبحث عن نقاط مشتركة بينهما، ويصفح كل منهما عن الآخر.

إن لم تفلح الطريقة الثانية، يكون اللجوء إلى الطريقة الثالثة.

❖ الأسلوب الثالث: الضرب:

لم يقصد بالضرب الذي أشارت له الآية الضرب المبرح الموجه الذي يترتب عليه الكسور، والخدوش، والازرقاق، والإعاقة. إنما هو ضرب التأديب. فقد روت أم سلمة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ دعا وصيفة له (أو لها)، حتى استبان الغضب في وجهه، فخرجت أم سلمة إلى الحجرات فوجدت الوصيفة وهي تلعب ببهمة^١. فقالت: ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله ﷺ يدعوك، فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك، فقال رسول الله ﷺ: لولا مخافة القصاص لضربتك بالسواك"^٢.

^١ البهمة: صغير الضأن سواء الذكر أو الأنثى.

^٢ السيوطي، البدور السافرة، ٢٨٦.

يستخلص من الموقف السابق أنه رغم الغضب الشديد الذي ألم برسول الله ﷺ، فهو أراد أن يضربها بالسواك، لكنه لم يفعل ذلك!! تدبر معي أي ألم يمكن أن يتركه الضرب بالسواك!!

وفي موقف آخر خاص بنبي الله أيوب عليه السلام مع زوجته ناعسة، البارة الصابرة . رضي الله عنها . حينما تأخرت عنه ذات يوم . وهو على فراش المرض ، فأقسم أن يضربها مائة جلدة . وحتى يفى بيمينه ويبر بقسمه أمره الله تعالى أن يجمع حزمة من عيدان الحشيش مكونة من مائة عود ليضرب بها زوجته مرة واحدة . قال تعالى عن تلك الحادثة: ﴿وَوَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^١ .

تأمل أي ألم ذلك الذي يمكن أن يترتب ضربة واحدة بحزمة من مائة عود قش؟!!

إذن المواقف السابقة تبين لنا أن ضرب الزوجات لا يقصد به الضرب الموجع، إنما هو ضرب التأديب فقط.

المرحلة الثانية: جهود الأقارب:

إن باءت الجهود الذاتية للزوجين بالفشل، ولم تغلح في وضع حد للمشكلات والخلافات الزوجية. يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية وهي توسيع دائرة المصلحين بين الزوجين. لكنها تبقى في الإطار الأسري والقرابي. قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾^٢. أي أن يأتي حكمان، واحد من أهل الزوج، وآخر من أهل الزوجة؛ لينظرا في الخلاف بين الزوجين،

^١ ص، ٤٤.

^٢ النساء، ٣٥.

ويعملان على تذليل الصعوبات بينهما، ويقفان على أسباب الخلافات، ويجتهدان في وضع حل لها.

يجب أن يكون الحكمان من ذوي الألباب والإفهام، والالتزان الانفعالي، والحكمة، والفتنة، وأن يكونا من المصلحين لا المؤججين للمشكلات، وألا يكونا من المتعجلين الذين يفسدون أكثر مما يصلحون.

المرحلة الثالثة: الطلاق:

إن لم توفق الجهود القرابية في الحل والإصلاح. يتم الانتقال إلى المرحلة الثالثة، وهي الحل الأخير الذي يطرق بابه إذا انسدت كل السبل أمام الحل والإصلاح، الحل الذي شرعه الإسلام وأبغضه في ذات الوقت (الطلاق). قال ﷺ: "أبغض الحلال إلى الله: الطلاق"^١. صحيح أن الله تعالى شرع الطلاق، إلا أنه كرهه وبغضه في ذات الوقت؛ لأنه يترتب عليه تفتيت للبناء الأسري. إن الطلاق يشبه العملية الجراحية، كم هي مؤلمة العملية الجراحية للمريض لما يترتب عليها من آلام وأوجاع للمريض، ونزول للدم واستئصال لأعضاء، إلا أنه يكون فيها الشفاء واستئصالاً للمرض. كذلك الطلاق رغم نتائجه السلبية الاجتماعية والنفسية على الزوجين والأبناء إلا أنها تمثل التدخل العلاجي لإنهاء الصراعات والخلافات الأسرية.

واستمراراً في بغض الطلاق قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات"^٢. أي أن الله تعالى يكره الرجل والمرأة اللذين يطلبان الطلاق لأتفه

^١ السيوطي، مرجع سابق، ٥٣.

^٢ المرجع نفسه، ١٨٢٠.

الأسباب، وبطلاقهما المتكرر يهدمان البيوت، حتى يخوضا تجربة زواج أخرى، ثم يطلقا. وكأنهما يجعلان من تعدد الزواج كتنوق الطعام والشراب. وعليه، يمكن تعريف الطلاق: "هو وضع حد لإنهاء رابطة العلاقة الزوجية بين الزوجين، بحيث يحرم على الزوج ما كان يحل له من زوجته".

الحالات التي لا يقع فيها الطلاق^١:

١. طلاق المكره:

من يتخذ قرار الطلاق وهو تحت التهديد، أو بالإكراه وغير راغب فيه، لا يقع طلاقه. قال ﷺ: "تجاوز الله عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه"^٢. وقوله: "لا طلاق ولا عتاق في إغلاق"^٣.

٢. طلاق السكران:

السكران والمجنون سواء لأن كلا منهما عقله مغيب، ولا يدرك ما يهذي به. وعليه فإن طلاق الرجل لزوجته وهو في حالة سُكر لا يعتد به. قال صلى الله عليه وسلم: "رُفِعَ القلمُ عن الصبيِّ حتى يبلِّغَ، وعن النائم حتى يستيقظَ، وعن المجنون حتى يُفَيَّقَ"^٤.

^١ لمزيد من المعلومات انظر: السيد سابق، فقه السنة، ج ٢، ط ١، القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، ١٩٩٦م، ص ٣٨٦ - ٣٩٠.

^٢ البيهقي، السنن الكبرى للبيهقي، ٦١/١٠.

^٣ معنى إغلاق: إكراه.

^٤ السيوطي، مرجع سابق، ٩٩٠٥.

^٥ النووي، المجموع، ٦/٣.

٣. طلاق الغضب:

إن الزوج الذي يملكه الغضب ويستحكم به، ولا يستطيع التحكم في مشاعره وانفعالاته، ولم يدر ما يقول أو ما يفعل، فإن طلاقه لا يقع لأنه يكون مسلوب الإرادة. بمعنى آخر ليس كل زوج غاضب لا يقع طلاقه. فإن كان الزوج غضباناً ولم يفقد شعوره وطلق فإن طلاقه يقع.

٤. طلاق الهازل:

أي أن يتخذ الزوج قرار الطلاق باستهزاء ولهو، ولم يقصد وقوع الطلاق حقيقة. وقد اختلف الفقهاء في حكمه، وانقسموا إلى فريقين: الفريق الأول: يرى وقوع الطلاق، واستدلوا بحديث: "ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة"^١.

الفريق الآخر: يرى عدم وقوع الطلاق، واستدلوا بحديث: "إنما الأعمال بالنية"^٢.

والرأي الذي أميل إليه أن هذا الطلاق يجب أن يقع؛ ليكون رادعاً للزوج الهازل. لأن قداسة الرابطة الزوجية، واستقرار الحياة الأسرية أسمى من أن تكون محط عبث واستهزاء ولهو هؤلاء اللاهين والعابثين والمستهزئين.

٥. طلاق المدهش:

الشخص الذي يتعرض لموقف مدهش في الغالب لا يدري ما يقول أو ماذا يفعل نتيجة تعرضه لموقف صادم غير متوقع. وبالتالي فإن طلاقه لا يقع، لأنه يهذي ولا يدري ما يقول.

^١ السيوطي، مرجع سابق، ٣٤٥١.

^٢ سبق تخريجه.

آيات الطلاق:

❖ قوله تعالى: **الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمِاسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ آزَكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}¹.**

¹ البقرة، ٢٢٦-٢٣٢.

❖ قوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} * وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ١ .

❖ قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} ٢ .

❖ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} ٣ .

❖ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} ٤ .

١ البقرة، ٢٣٦-٢٣٧.

٢ البقرة، ٢٤١.

٣ الأحزاب، ٤٩.

٤ الطلاق، ٣-١.

أنواع الطلاق:

١. الطلاق الرجعي:

أي يجوز للرجل أن يرجع زوجته إن طلقها أثناء فترة العدة دون حاجة إلى عقد أو مهر جديدين، والزوج ليس مضطراً أن يحصل على رضا وموافقة زوجته. ويقع الطلاق الرجعي في الطلقتين الأولى والثانية. قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾^١. أما إذا وقعت الطلقة الثالثة فإنها تنقلنا إلى نوع آخر من الطلاق وهو الطلاق البائن.

٢. الطلاق البائن:

ينقسم الطلاق البائن إلى قسمين:

❖ الطلاق البائن بينونة صغرى:

يقع إذا لم يتمكن الزوج من إرجاع زوجته أثناء فترة العدة. ويمكن له أن يعيدها إلى عصمته، لكن بمهر وعقد جديدين، وبشرط أن يحصل الزوج على موافقة الزوجة. ويقع طلاق البينونة الصغرى إذا انتهت عدة الطلقتين الأولى والثانية. أو عند تطليق الرجل لزوجته قبل الدخول بها.

❖ الطلاق البائن بينونة كبرى:

طلاق البينونة الكبرى تنتهي بموجبه العلاقة الزوجية، ولا يستطيع الزوج أن يرجع زوجته إلا بعد أن تنتهي من عدتها، وتتزوج من رجل آخر بشرط أن يدخل بها، ثم يفارقها الزوج الجديد في إحدى حالتين (موته، أو الطلاق). وبعد

^١ البقرة، ٢٢٨.

أن تنتهي عدتها، يتقدم لها الزوج الأول بمهر وعقد جديدين، ويشترط الحصول على موافقتها ورضاها.

أركان الطلاق:

- أ. الزوج.
- ب. الزوجة.
- ج. الصيغة.
- د. القصد.

عدة المطلقة:

مدة عدة المرأة المطلقة ثلاثة أشهر. أي تنتظر المطلقة أن تطهر من ثلاث حيضات، لقوله تعالى: {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}¹. والحكمة من ذلك، التأكد من خلو رحم المرأة من الحمل.

آداب الطلاق في الإسلام²:

- ذكر "سلمان نصيف الدحوح" في كتابه: "الإسلام أدبه وآدابه"، مجموعة من الآداب الإسلامية في مسألة الطلاق، منها:
- أن يكون الطلاق طلاقاً رجعيّاً، وألا يجمع بين الطلقات الثلاثة في مجلس واحد، لأن في الطلقة الواحدة يمكن للزوج أن يرجع زوجته إن أراد.

¹ البقرة، ٢٢٨.

² بتصرف عن: محمد المهدي، آداب الطلاق في الإسلام، موقع مجانيين،

<http://www.maganin.com/content.asp?contentid=١٢٤٢٩>

- أن يقع الطلاق في طهر ولم يسبقه جماع، فإن لم تكن الزوجة كذلك ينتظر الزوج حتى تطهر زوجته، بعد ذلك إن شاء طلقها، وإن شاء أبقاها.
- ألا تخرج المرأة من بيت زوجها إلا إذا أتمت العدة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾^١.
- أن يتلطف الرجل في تعليل طلاق زوجته، وألا يشهر بها ويسيء إليها.
- أن لا يبخس الرجل أي حق من حقوق زوجته المطلقة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^٢.
- أن يكون الزوج رجلاً في موقفه من مطلقة، وأن يكون شهماً في معاملته لها بعد الطلاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^٣.
- ألا يفشي الزوج سر مطلقة بعد طلاقها من باب الانتقام، والإساءة إليها.

أسباب الطلاق:

لقد تعددت وتنوعت الأسباب المؤدية للطلاق، فلا يمكن إرجاع كل حالات الطلاق في المجتمع إلى سبب واحد، بل أن حالة الطلاق الواحدة قد ترجع لأكثر من سبب. ويمكن إيجاز أبرز مسببات الطلاق في النقاط الآتية:

١. اختلاف المستوى التعليمي والثقافي بين الزوجين.
٢. اختلاف المستوى الاقتصادي والمعيشي بين الزوجين.

^١ الطلاق، ١.

^٢ النساء، ٢٠.

^٣ البقرة، ٢٣٧.

٣. اختلاف البيئة الاجتماعية (بدو، وريف، وحضر، ومخيم) للزوجين.
٤. الاختلاف في الطباع بين الزوجين.
٥. اختلاف الأهداف المشتركة بين الزوجين، وتقديم الأهداف الفردية على حساب الأهداف المشتركة والأهداف الأسرية.
٦. الفارق العمري الكبير بين الزوجين.
٧. عقم الزوجة، أو عقر الزوج.
٨. ضيق مساحة السكن.
٩. تدخلات الأقارب من جهة الزوج أو الزوجة في شؤون الزوجين الخاصة.
١٠. عدم قدرة أحد الزوجين على إشباع الرغبات الجنسية للطرف الآخر.
١١. كثرة الطلبات الكمالية المبالغ فيها والزائدة عن الحد.
١٢. عدم اهتمام أحد الزوجين بنفسه من حيث الأناقة، والنظافة، والنظام.
١٣. عدم الاستقرار الأسري لاسيما في سنوات الزواج الأولى.
١٤. غياب قنوات الحوار والتفاهم. وحل محلها العناد، والتشدد، وعدم المرونة في التعامل.
١٥. غياب الزوج لفترات طويلة عن البيت لأسباب غير مبررة.
١٦. تقديم الزوجة الاهتمام بمصالحها الخاصة كوظيفتها، وصديقاتها، وزياراتها على حساب الزوج والأولاد والبيت.
١٧. إصرار الزوجة على التمسك بالوظيفة، مقابل رفض الزوج.
١٨. الخيانة الزوجية. علما أن الخيانة الزوجية لا تكون من جانب الزوجة دائما، بل تكون من جانب الزوج أيضا.

١٩. الصراع بين الزوجين على إدارة البيت، وصاحب اتخاذ القرارات الأسرية الهامة، وطريقة تنشئة الأبناء.
٢٠. بخل وشح جيب الزوج، أو إسراف وتبذير الزوجة المبالغ فيه.
٢١. التغير المفاجئ في المستوى الاقتصادي للزوج، والنزول إلى أسفل السلم الاجتماعي، وعدم قدرة الزوج على تلبية متطلبات الأسرة.
٢٢. مرض أحد الزوجين بمرض مزمن، أو مرض معدي، أو إعاقة مستديمة، مما يعني عدم تحمل الطرف الآخر لطلبات الطرف المريض فيتعجل في طلب الطلاق والانفصال.
٢٣. تعدد الزوجات، وعدم التساوي في الجانب المادي بينهما، أما الجانب المعنوي لا يستطيع الزوج التحكم فيها.
٢٤. محاولة الأزواج والزوجات تقليد ما يوجد في المسلسلات والأفلام . لاسيما المدبلجة منها . من صور خيالية ومثالية عن طبيعة الحياة والعلاقات الزوجية.
٢٥. الاستخدام السيئ لوسائل التكنولوجيا الحديثة، كالجوال وما فيها من خدمات الكاميرا، والبلوتوث. أو الهواتف والمعاكسات، أو الإنترنت والتواصل مع الآخرين عن طريق المجتمعات الافتراضية كالفيس بوك، والتويتر، والمنديات، والماسنجر .

المشكلات الاجتماعية والنفسية المترتبة على الطلاق:

المشكلات المترتبة على الطلاق لها آثارها السلبية المتعددة والمتشعبة، ولا تقتصر على المطلق أو المطلقة فقط، بل تمتد لتطال أبنائهما. ومن هذه الآثار:

١. هدم أركان البناء الأسري، وعدم الاستقرار الأسري.
٢. ضعف الصحة الجسمية، والمعاناة من مشكلات سيكوماتية (نفسية جسمية)^١.
٣. عدم القدرة على أداء الأدوار الاجتماعية المطلوبة بشكل سليم، وعدم تحقق النمو الاجتماعي السليم . لاسيما للأبناء ^٢.
٤. تعرض الأبناء، والأزواج المطلقين إلى الانحراف، والتشرد.
٥. تعرض الأبناء، والأزواج المطلقين إلى الاضطرابات النفسية والسلوكية.
٦. سيطرة مشاعر القلق، واليأس، والإحباط، والاكتئاب على نفسية المطلقين وأبنائهما.
٧. سيطرة مشاعر الغضب والانفعال أثناء التفاعل الاجتماعي مع الآخرين سواء داخل أو خارج الأسرة.
٨. العزلة والانطواء الاجتماعي، والانسحاب من المواقف الاجتماعية.
٩. الشعور بالنقص عند المقارنة بالحالات الأخرى.
١٠. عدم القدرة على مواجهة المواقف الاجتماعية، وحل المشكلات الاجتماعية الحياتية.
١١. السلوك العدواني.
١٢. التمرد على سلطة المجتمع والضوابط الاجتماعية، والقيام بمحاولات لخرق القانون.
١٣. فقدان الثقة في النفس وفي الآخرين.

^١ نوبيات قدور، العلاقة الزوجية المتكدره وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، دب، جوان ٢٠١٢م، ص٢٢٨.

^٢ المرجع نفسه، ص٢٢٩.

١٤. الشعور بالذنب^١.
١٥. فقدان الأمان النفسي والاجتماعي.
١٦. التأثير السلبي على تقدير الذات عند الأبناء^٢.
١٧. الشعور بالحرمان.
١٨. التسرب الدراسي، وتدني مستوى التحصيل الدراسي.

العنف الأسري^٣

مقدمة:

يعتبر العنف بكافة أشكاله وصوره ظاهرة اجتماعية قديمة يقدم المجتمعات الإنسانية، وقد رافق السلوك الإنساني مذ وجد الإنسان على وجه الأرض. بل أن القرآن الكريم سجل تعجب الملائكة الكرام عندما أخبرهم الله تعالى أنه سيجعل الإنسان خليفة له في الأرض. وسبب هذا التعجب الملائكي ما نسب إلى الإنسان من الإفساد، والعنف، وسفك الدماء، وإلحاق الأذى بالآخرين، مقارنة بحالهم التي هي في حالة تعبد وتسبيح وتقديس دائم لله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤.

^١ أسامة حمدونة ، وآخرون، مرجع سابق، ص ١٥.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٥.

^٣ هو في الأصل بحث لبسام أبو عليان بعنوان: "العنف الأسري في المجتمع الفلسطيني"، مقدم إلى المؤتمر الدولي الخامس لعلم الاجتماع، بعنوان: "الفكر والممارسة لحماية الأسرة العربية من العنف الأسري"، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١-٣/٣/٢٠١٢م.

^٤ البقرة، الآية ٣٠.

وقد صور القرآن مشهدين من مشاهد العنف الأسري. الأول: يعود إلى بدء الخلق حينما أقدم قابيل على قتل أخيه هابيل^١. والمشهد الآخر: ما حدث مع يوسف عليه السلام وتآمر أخوته عليه، الذين أضمروا النية لقتله والتخلص منه حتى يصفو لهم الجو وتخلو الطريق أمامهم لينالوا درجة التقرب والحب من أبيهم التي كان يحظى بها يوسف، ثم عدلوا عن نية القتل واستقر أمرهم على إلقائه في البئر^٢.

إذن للعنف قدم راسخة في كل المجتمعات على مر التاريخ والعصور، وقد أصبح من العلامات البارزة في المجتمعات المعاصرة، فلا تكاد تمر لحظة إلا ويرتكب فيها سلوك عنفي في بقعة من بقاع الأرض. وهذا ما سنتعرف عليه في الصفحات القادمة. في البداية لابد لنا من الوقوف عند مفهوم العنف.

^١ ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٨٦/١): عن ابن عباس أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى وأن هابيل أراد أن يزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فأراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى فأمرهما أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السموات على بنيه فأبين والأرضين والجال فأبين فتقبل قابيل بحفظ ذلك فلما ذهب قريبا قربانها قرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرع فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين.

وقد سجل القرآن تلك الحادثة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَفَن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتُقْتَلَ وَمَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ* فَبِعَثَّ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سَوْءَهُ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِثُ سَوْءَهُ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ* مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعُدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ المائدة، الآيات ٢٧-٣٢.

^٢ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ* إِذْ قَالَوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ امطْرُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ* قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يوسف ١٠-٧.

تعريف العنف:

العنف في اللغة هو: "ضد الرفق". والأحاديث النبوية حثت بشكل واضح على الرفق واللين في المعاملة، ونهت عن العنف والشدة. قال ﷺ قال: "من حرم الرفق حرم الخير"^١. وقوله ﷺ لعائشة: "إن الله رفيق يحب الرفق. ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. وما لا يعطي على ما سواه"^٢.

التعريف الاجتماعي للعنف:

"هو التعبير الصريح عن القوة البدنية ضد الذات وضد الآخرين، أو هو إجبار الفعل ضد رغبة شخص على أساس إيذائه بالضرر أو قتل النفس أو إيلاهما"^٣.

جورج جنبر: "هو التعبير الصريح عن القوة البدنية ضد الذات وضد الآخرين، أو هو إجبار الفعل ضد رغبة شخص على أساس إيذائه بالضرر أو قتل النفس أو إيلاهما"^٤.

راموث: "هو كل مبادرة أو فعل يتدخل بصورة غير مشروعة وخطرة في حرية الآخر، في التفكير و الرأي والتقرير"^٥.

^١ صحيح مسلم، ٢٥٩٢.

^٢ المرجع نفسه، ٢٥٩٣.

^٣ على بو عناق وبلقاسم سلطانية، علم الاجتماع التربوي، مدخل ودراسة قضايا المفاهيم، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص ٢٣٢. نقلا عن: سعاد بلحريري، العنف داخل المدينة وعلاقته بالتحولات الأسرية، مجلة علوم إنسانية، العدد ٣٨، السنة ٦، صيف ٢٠٠٦م،

WWW.ULUM.NL

^٤ على بو عناق وبلقاسم سلطانية، علم الاجتماع التربوي، مدخل ودراسة قضايا المفاهيم، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص ٢٣٢. نقلا عن: المرجع نفسه.

^٥ المرجع نفسه.

أما إيلين دمعة فتعرف العنف هو: "كل تعد على كرامة الآخر، أو حرته، أو ممتلكاته، أو حياته، لذلك لا تقتصر أعمال العنف على التعابير المادية مثل: الضرب، والقتل، والسرقة، والاعتصاب، والحروب الأهلية والقومية. بل تشمل أيضا التعابير الكلامية كالإهانة، والشتم، والتهديد، والتعزيز"^١.

ويمكن أن نعرف العنف هو: "سلوك عدواني موجه ضد الآخرين، قد يكون ضد فرد، أو جماعة، أو طبقة اجتماعية، بهدف السيطرة عليه، مما يترتب عليه نتائج ضارة قد تكون جسدية أو نفسية أو مادية".

تعريف العنف الأسري:

عبد الناصر جبل: "اعتداء أي فرد من أفراد الأسرة على ذاته، أو على الآخرين في محيط أسرته، وقد يكون الاعتداء لفظيا أو بدنيا، وقد يصيب هذا الاعتداء جزء أو كل أجزاء الأسرة"^٢.

أما غريب سيد أحمد: "أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج عن وجود علاقات غير متكافئة داخل الأسرة، مما يجعل الطرف الأقوى في الأسرة ينتهك بدنيا أو لفظيا حقوق الطرف الأضعف"^٣.

^١ إيلين دمعة، التفكك العائلي بين القيم الثابتة والقيم المتبدلة، مجلة إضافات، العدد ٢، ربيع ٢٠٠٨م، ص ١٩١.
^٢ عبد الناصر جبل، ممارسة خدمة الفرد مع حالات العنف الأسري، المؤتمر العلمي السادس للخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٩٣م. نقلا عن: محمد بن مسفر القرني، مدى تأثير العنف الأسري على السلوك الانحرافي لطالبات المرحلة المتوسطة بمكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، ٢٠٠٥م، ص ٢٢.
^٣ غريب سيد أحمد، الجريمة وانحراف الأحداث، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩م. نقلا عن: المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣.

ويمكن أن نعرف العنف الأسري: "سلوك عدواني يصدر عن أحد أفراد الأسرة ضد الآخرين، ويأخذ صوراً عديدة قد تكون جسدية، أو نفسية، أو مادية، وقد يجمع بين أكثر من صورة".

العنف الأسري في المجتمعات الغربية:

على الرغم من محاولات بعض المهوسين بنموذج الحياة الغربية، ويرسمون لها صورة مشرقة، واعتبارها أنموذجاً مثالياً يجب أن يحتذي به. فإن التقارير العلمية تفيد بأن المجتمع الغربي ليس هو النموذج المثالي الخالي من المشكلات الاجتماعية، بل هو على عكس ذلك تماماً. مجتمع غارق في بحر من المشكلات الاجتماعية التي ليس لها حد، فمن صور تلك المشكلات: (الزنا، والاختطاف، والأطفال اللقطاء، والتفكك الأسري، وتجارة وتعاطي المخدرات، والقتل، وتجارة البغاء، والسرقه، والانتحار، واستخدام السلاح غير الشرعي... إلخ).

فيما يتعلق بمشكلة العنف الأسري، سنتناول بعض المؤشرات الإحصائية التي تعكس طبيعة وحجم الظاهرة هناك. فقد نشرت وزارة العدل الأمريكية سنة ١٩٨٣م تقريراً خلصت فيه إلى أن امرأة تضرب كل خمسة عشر ثانية^١. وفي تقرير آخر صدر عن الأمم المتحدة في مارس ٢٠٠١م يؤكد ما ورد في التقرير الأمريكي^٢. أي امرأة تضرب كل خمسة عشر ثانية، أي تعنيف أربعة نساء في

^١ زكريا أحمد الشربيني، عنف الآباء على الأمهات وانعكاساته على أطفالهم كما تراه عينة من المتزوجات الإماراتيات، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مجلد ١٦، العدد ١، ٢٠٠٨م، ص ٣٦٢.

^٢ عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشري، العنف الأسري في ظل العولمة، ط ١، العدد ٣٦٨، الرياض، مركز البحوث والدراسات بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥م، ص ٥٩.

الدقيقة الواحدة، أي تعنيف مائتين وأربعين امرأة في ساعة واحدة من نهار، أي ما يعادل تعنيف (٥٧٦٠) امرأة في اليوم!

عند مقارنة تقرير وزارة العدل الأمريكية، والأمم المتحدة. نجد أن تعنيف المرأة لا زال على نفس الوتيرة، ولا نية للحد منه على الرغم من مضي قرابة عقدين من الزمن بين التقريرين. وليس غريبا أن يسجل العنف الأسري أعلى درجاته في المجتمعات الغربية؛ لأنه يغلب عليها التفكك الأسري، والتحلل الأخلاقي، والانهيار القيمي، وسيادة النزعة المادية، وغلبة الأنانية، وضعف الروابط الاجتماعية، وغياب صور التكافل والتضامن الاجتماعي.

وقد بينت الإحصائيات الأمريكية أن أكثر شريحتين عرضة للعنف هما: (النساء والأطفال)، حيث أن (٩٥%) من النساء الأمريكيات عنفن من قبل الرجال، وفي فرنسا امرأة تموت كل أربعة بسبب العنف الأسري^١. وفي كندا (٨٠%) من النساء المعنفات لا يقمن بالإبلاغ عن حالات الاغتصاب داخل المنازل، و(٧٥%) لا يبلغن عن الاعتداء الجسدي الذي يتعرضن له^٢.

العجيب في الأمر أن هذه النسبة المرتفعة تأتي من مجتمعات تدعي أنها حامية الديمقراطية، ومبشرة بالحريات العامة، والحارس الأمين لها، و تدّعي محافظتها على حرية المرأة، والدفاع عن حقوقها في كل المحافل الدولية!!

العنف الأسري في المجتمعات العربية:

إن العنف متجذر في العقلية العربية منذ عهد بعيد، بحكم البيئة الجغرافية (الصحراوية) التي تتسم بالخشونة، والغلظة، والقسوة. وهذا بطبيعة الحال انعكس

^١ المرجع نفسه، ص ٣٦٦.

^٢ عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشري، مرجع سابق، ص ٢٨.

على أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية. وقد كانت المرأة في المجتمع الجاهلي أكثر الفئات الاجتماعية عرضة للعنف، حيث كانت تمتهن وتحتقر لا لشيء إلا لكونها أنثى! وقد بلغ إهانة المرأة أسوأ درجاته في صورة (الوَأْدِ). وقد سجل القرآن الكريم استنكاره لتلك الحادثة في أكثر من موضع. فقال: {وَأْدَا الْمَوْوُودَةَ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}¹. وقوله: {وَأْدَا بُشَيْرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْتَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}². وقوله: {وَأْدَا بُشَيْرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}³.

ولازال العنف الأسري يمارس بمعدلات مرتفعة في المجتمعات العربية، على الرغم من التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والتعليمية، والحضارية، والصحة الدينية التي يعيشها المجتمع العربي. حيث أشارت الدراسات إلى أن (٩٩%) من الآباء هم مصدر العنف⁴. وهذا ليس غريباً على المجتمع العربي كونه يوصف بأنه "مجتمعا ذكوريا". ففي مصر (٣٠%) من النساء يضرين بشكل اليومي⁵. وفي الجزائر (٧٠%) تعرضن لأشكال متخلفة من العنف⁶. وفي الأردن سنة ٢٠٠٠م بلغ عدد المعنفات ستمائة وثلاثة عشر حالة. وفي اليمن

¹ التكوير، الأيتان ٨-٩.

² النحل، الآية ٥٨.

³ الزخرف، الآية ١٧.

⁴ فواز الدرويش، العنف الأسري: أنواعه.. دوافعه.. الحلول المقترحة، موقع الفرات:

<http://furat.alwehda.gov.sy/archive.asp?FileName=٣٤١٢٣٣١٦٢٠٠٨٠٢١٤٠١٠٠١٩>

⁵ عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشري، مرجع سابق، ص ٤٠.

⁶ زكريا أحمد الشربيني، عنف الآباء على الأمهات وانعكاساته على أطفالهم كما تراه عينة من المتزوجات الإماراتيات، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مجلد ١٦، العدد ١، ٢٠٠٨م، ص ٣٦٢-٣٦٣.

سنة ١٩٩٩م قدّر حجم العنف الأسري بـ(٢٠%)^١. وفي سوريا امرأة تعنف من كل أربعة نساء. وفي فلسطين (٥٢%) من النساء ضربن على الأقل مرة واحدة خلال سنة ٢٠٠٨م^٢.

مراحل العنف الأسري:

بيّن "جليل شكور" أن العنف الأسري يمر في أربعة مراحل هي^٣:

١. التطور التدريجي للتوتر:

تبدأ هذه المرحلة بتبادل نظرات عدم الرضا بين الزوجين، وتكون لغة الجسد غير منسجمة، وسلوكيات غير متعاظمة، فضلا عن العناد والتشدد. مع حفاظ الزوجين على مظاهر الزواج العامة لأسباب تتعلق بالمكانة الاجتماعية.

٢. التصدع:

في هذه المرحلة تتقلص مساحة المرونة في حل المشكلات الأسرية، وتزيد مساحة التوتر والخلافات، ويرافقها عدم رغبة الزوجين في تقديم التنازلات، لاسيما من قِبَل الزوج.

٣. المواجهة:

تبدأ هذه المرحلة بالحوار الساخن بين الزوجين، وتنتهي بالشجار دون أدنى اهتمام بالاعتبارات الأسرية.

^١ مجهول المؤلف، العنف الأسري، ص ١٧-١٨. نقلا عن: منتدى بن خلدون الفلسطيني للدراسات والأبحاث،

<http://dr-nabil.com/vb/showthread.php?t=٢١٤>

^٢ حلمي الأسمر، العنف الأسري ظاهرة دولية.. ولكنه عربية وأردنية أيضا، جريدة الدستور، ١٣/٩/٢٠٠٧م. نقلا عن: مركز عفت الهندي للإرشاد الإلكتروني،

http://www.ehcconline.org/information_center/wmview.php?ArtID=١٩٤٤

^٣ بتصرف عن: جليل شكور، العنف والجريمة، بيروت، الدار العربية، ١٩٩٧م، ص ١٢٨. نقلا عن: زكريا أحمد الشربيني، مرجع سابق، ص ٣٦٤-٣٦٥.

٤. الخضوع للعنف:

مع شدة العنف بين الزوجين، سواء اللفظي أو الجسدي، تخضع أغلب الزوجات للعنف غير راغبات في التمادي أكثر خوفاً من وقوع الطلاق. إلا أن خضوع الزوجة ليس إنهاءً للعنف، بل هو مجرد تسكين له، وهناك فرصة لتجده في أي وقت لاحق.

أشكال وصور العنف الأسري:

أولاً/ العنف الجسدي:

يعني: "استخدام القوة الجسدية والعضلية لإلحاق الأذى بأجساد الآخرين". من صوره: الضرب باليد أو بأداة حادة، الخنق، والإمساك بشدة، والتقييد بالحبال، والدفع بقوة، واللطم، وشد الشعر، والعض، والقرص، والحرق، والركل بالأرجل.

يعتقد الكثيرون أن العنف الجسدي هو الأسلوب الأنجع في التأديب، والطريق الأقصر لتقويم السلوك. إلا أن الواقع الاجتماعي والبحث العلمي يقولان غير ذلك، حيث أجمعت أغلب الدراسات بأن الآثار السلبية للعنف الجسدي تفوق آثاره الإيجابية المرجوة. كما أنه يعمل على طمس السلوك وليس تعديله. مثلاً أن يعاقب الابن من والده على تعاطي تدخين السجائر، فمتى امتنع الأب عن العقاب عاد الابن للتدخين. فطالما هناك عقاب لا يقدم الابن على التدخين، ومتى غاب العقاب عاد الابن للتدخين.

وبالنظر إلى واقع المجتمع الفلسطيني فقد بيّنت نتائج مسح الجهاز المركزي للإحصاء أن (٢٣.٣%) من النساء عنفن بأحد أشكال العنف الجسدي. ولو

لمرة واحدة . سنة ٢٠٠٥م^١. وفي دراسة لـ"مركز شؤون المرأة" سنة ٢٠٠١م، بينت أن الزوج هو المسؤول الأول عن العنف بنسبة (٩٧%)^٢. وبينت دراسة "مي نايف" أن سبعة آلاف امرأة قدمن شكاوى في مراكز الشرطة بسبب تعنيفهن من الأزواج^٣.

الجدير بالذكر أن الكثير من تلك البلاغات يتم إسقاطها بممارسة الضغط الإكراه على المرأة، أو تهديدها بالطلاق، أو حرمانها من أبنائها. مما يعني إفلات الطرف المعنّف (الممارس للعنف) من العقاب، وعدم إنصاف الطرف المعنّف (الضحية)، الأمر الذي يجعل المعنّف يتمادى في عنفه طالما لم يوجد رادع اجتماعي أو قانوني.

وفي سنة ٢٠٠٨م بينت الإحصائيات الصادرة عن "مركز الميزان لحقوق الإنسان" أن اثنتي عشر حالة من النساء قتلن بسبب قضايا الشرف^٤. من المعروف أن ظاهرة (قتل النساء على خلفية الشرف) تنتشر في المناطق البدوية والناثية. إلا أننا في السنوات الأخيرة بدأنا نلمس ارتفاعا ملحوظا لهذه الظاهرة في المجتمع الفلسطيني، فهناك الكثير من حالات القتل التي يتم التستر عليها وتكتشف عن طريق الصدفة. وفي العديد من الحالات تطوى الصفحة دون كشف ملابسات القضية. إن هذا التصرف يشجع الكثير على مثل هذه الممارسات الفردية مما يعني غياب سلطة القانون والضبط الرسمي. وتلجأ الأسر

^١ مجهول المؤلف، العنف في فلسطين، موقع ناشري، -٢٦٧٣/social/articles/www.nashiri.net/http://www.nashiri.net/articles/social/٢٦٧٣-١٠٩٣٣&table=pa_documents&CatId=٢١٤

^٢ مجلة العلوم الاجتماعية، ١٦٠٦، http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=١٦٠٦

^٣ مي نايف، العنف العائلي في المجتمع الفلسطيني، موقع: دنيا الرأي،

١١٤.html/content-١١٤/http://pulpit.alwatanvoice.com/content-١١٤.html

^٤ المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات،

٢١٤/http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=١٠٩٣٣&table=pa_documents&CatId=٢١٤

إلى هذا التصرف من باب صون اسم ومكانة الأسرة، وفي بعض الحالات يكون (القتل) متسرعا وتكون الضحية بريئة.

ثانيا/ العنف الجنسي:

يأخذ العنف الجنسي صورا عديدة، مثل: الاغتصاب، وإكراه الزوجة على المعاشرة الزوجية، واللجوء إلى ممارسات جنسية منافية للدين، وبتز الأعضاء التناسلية، وإقامة علاقات جنسية غير مشروعة خارج الأسرة، وإجبار الزوجة أو الابنة أو الأخت على ممارسة الفاحشة مع الغير.

بالنسبة إلى المجتمع الفلسطيني؛ بين التقرير الصادر عن وزارة شؤون المرأة أن عدد حالات الاغتصاب بلغت اثنتي عشر حالة، منها خمس حالات في الضفة الغربية، وسبع حالات في قطاع غزة. فيما بلغ عدد حالات الشروع بالاغتصاب عشرون حالة، منها ثلاثة في الضفة الغربية، وسبعة عشر في قطاع غزة. وبلغ حالات التحرش الجنسي مائة وواحد، منها تسعون في الضفة الغربية وأحد عشر في قطاع غزة^١.

بالرجوع إلى الأرقام السابقة نجد أن عدد حالات العنف الجنسي في المجتمع الفلسطيني في ارتفاع . وإن كانت النسبة متدنية بشكل عام .، وهذا يعود لعدة اعتبارات منها:

❖ ارتفاع معدلات البطالة في صفوف العمال والخريجين.

❖ غلاء المعيشة الفاحش.

^١ آسيا، ١٠٧٧، http://www.asyeh.com/asyeh_world.php?action=showpost&id=١٠٧٧

- ❖ غلاء المهور بصورة غير مسبقة، مما يعني تأخر سن الزواج عند الشباب والفتيات ..
 - ❖ كثرة مقاهي الإنترنت التي هي في منأى عن عيون الرقابة مما يعني سهولة زيارة المواقع الإباحية.
 - ❖ مشاهدة الأفلام الإباحية على الفضائيات، أو الأقراص المدمجة، أو شبكة الإنترنت، أو نشرها عبر البلوتوث.
 - ❖ ضعف الوازع الديني.
 - ❖ رفاق السوء.
- كل هذه الأمور وغيرها تدفع الشباب إلى إشباع رغباتهم الجنسية بشكل غير مشروع، كما أنها تقف عائقاً أمام تحقيق الشباب لسنة الزواج.

ثالثاً/ العنف النفسي:

يعرف العنف النفسي أنه: "كل تصرف خاطئ يمكن أن يترك أثراً سلبية على نفسية الفرد، ويسعى إلى السيطرة والإذلال، ويطبع الخوف في نفس الفرد، مما يؤثر سلباً على وظائف الفرد السلوكية والوجدانية والذهنية والجسدية". وقد يكون هذا التصرف صادر عن الوالدين، أو الأخوة، أو الأقارب، أو المدرسين.

ومن صور العنف النفسي: الرفض، والإهمال، والتحقير، والإهانة، والخوف، والعزل، والاستغلال، والحرمان، والنقد السلبي، والاتهام بالفشل، والنعته بالغباء، وفرض الرأي بالقوة.

ومن النتائج المترتبة عليه: فقدان الثقة في النفس، والتردد والتخبط، والخشية من المبادرة لئلا يتعرض للسخرية، والتغير المفاجئ في السلوك، وعدم الرغبة في

العودة إلى المنزل، والتفاعل السلبي مع المواقف الاجتماعية، والعزلة الاجتماعية، والنزعة التدميرية، والشعور بالذنب^١.

وبالنظر إلى المجتمع الفلسطيني فقد تبين أن (٦١.٧%) من النساء تعرضن لأحد أشكال العنف النفسي لمرة واحدة على الأقل سنة ٢٠٠٥م. أما بالنسبة لتعنيف الأطفال من سن (٥-١٧) فكانت النسبة (٥١.٤%)^٢.

رابعاً/ العنف اللفظي:

يكون باستخدام الكلمات الجارحة، والسيئة، والمؤذية. من صورته: الإهانة، والسب، والسخرية، وإطلاق النعوت غير المناسبة، والتهديد والوعيد.

ويكثر استخدام العنف اللفظي في الأسر الفلسطينية، ويكاد لا يمر يوم إلا ويستخدم هذا النمط من العنف. إلا أنه لا توجد إحصاءات دقيقة تبين بدقة مدى استخدامه. وربما يستهين به البعض ولا يعتبره من صور العنف، لأنه اختزل العنف في الضرب والعقاب.

خامساً/ العنف الصحي:

من صورته: إرهاق المرأة بالحمل والولادات المتقاربة، والإجهاض، والتجوع، وعدم مراجعة الطبيب في حالة المرض، وعدم توفر الأدوية.

إن هذا النمط من العنف في المجتمع الفلسطيني قد يكون مرده في بعض الأحيان لأسباب غير الأسباب التقليدية، وهي:

^١ لمزيد من المعلومات انظر: بهاء الدين خليل تركية، مرجع سابق، ص ٢٥١-٢٥٣.

^٢ العنف في فلسطين، موقع ناشري، مرجع سابق.

أ. الحصار، الذي يمنع منح التحويلات الطبية لعلاج الحالات المستعصية في الخارج، والتي تعجز المستشفيات المحلية عن علاجها بسبب عدم توفر الإمكانات الطبية اللازمة.

ب. ارتفاع تكاليف العلاج. بسبب منع دخول الأدوية عبر المعابر إلى المستشفيات، وهو نوع من أنواع الحصار يهدف لانتشار الأمراض والأوبئة في المجتمع.

ج. ارتفاع معدلات الفقر والبطالة، مما يعني عجز أرباب الأسر عن شراء الأدوية، والتي هي في الغالب بأثمان مرتفعة لا يقدر على شرائها.

سادسا/ العنف الاجتماعي:

من صوره: الحرمان من ممارسة الحقوق الاجتماعية، والعزلة، والانقياد وراء متطلبات الزوج أو العكس، وحرمان الزوجة من زيارة أقاربها وصديقاتها، وحرمان الأطفال من التفاعل مع أبناء الحي أو الأقارب.

سابعا/ العنف الاقتصادي:

إن تدني الوضع الاقتصادي يساهم في تفكك الأسرة، ويغذي مشكلات العنف الأسري.

من صوره: عدم توفير حاجات الأسرة الضرورية، والحرمان من الميراث، ومنع الزوجة من العمل، والتعدي على راتب الزوجة العاملة. فليس بمستهنج أن تعيش الأسر الفلسطينية هذا النمط من العنف الأسري لأنها لا تستطيع توفير الحاجات الضرورية.

أسباب العنف الأسري:

١. أسباب شخصية:

هناك أسباب للعنف الأسري تعود إلى الفرد ذاته مثل: الشعور بالإحباط واليأس، وضعف الثقة في النفس، وعدم القدرة على حل المشكلات، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي، والمعاناة من الاضطرابات الانفعالية والنفسية، والخلل في بناء الشخصية، وتعاطي المخدرات، وشرب المسكرات. كل هذه الأمور وغيرها قد تدفع الفرد إلى ممارسة العنف بحق الآخرين بدافع تعويض النقص وإثبات ذاته.

٢. أسباب أسرية:

المناخ الأسري له تأثيرات (إيجابية أو سلبية) على العلاقات الأسرية. فالفرد الذي يعيش في جو أسري يغلب عليه البرود العاطفي والتفكك، فإنه ينعكس سلبا على الفرد ويجعله أكثر ميلاً لممارسة العنف والانحراف. ولأساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة تأثيرات سلبية على الأبناء. فهي تعمل على تنمية مشاعر الخوف والقلق، وتنمية السلوك العدوانى، وكره الوالدين.

هناك صنف من الآباء ينمون سلوك العنف عند الأبناء، فعندما يتعرض الابن لاعتداء، فإن الأب يحرض ابنه على الاعتداء على من اعتدى عليه، وأن يثار لنفسه، وإن لم يفعل فهو ضعيف الشخصية، وغير محبوب. وكذلك قد يقوم الأبناء بتقليد السلوك العدوانى كما يرونه في بيوتهم.

ويمكن الربط بين حجم الأسرة والعنف، حيث أن العنف الأسري ينتشر بدرجات كبيرة في الأسر الممتدة، كون أن الأسرة لا تستطيع الإيفاء بكافة

الالتزامات، ولا يستطيع الوالدان ضبط الأسرة، فيلجئان إلى العنف، وتغلبه على الحوار والنقاش.

٣. أسباب مجتمعية:

إن ضعف مؤسسات الضبط الاجتماعي (الرسمية وغير الرسمية)، وعدم الحزم في تطبيق التشريعات والقوانين والأنظمة، وعدم احترام القيم والعادات والتقاليد، وانتشار السلوكيات غير السوية، ومتابعة أفلام العنف، وممارسة ألعاب الشبكات (العنيفة)، كلها تعتبر من مسببات انتشار العنف في المجتمع.

٤. أسباب اقتصادية:

يعد العامل الاقتصادي من الأسباب الرئيسية في وقوع الكثير من المشكلات الاجتماعية. وللعامل الاقتصادي دور لا يمكن إنكاره أو تجاهله في ممارسة العنف الأسري. فعندما لم يستطع رب الأسرة توفير حاجات الأسرة، أو يكون عاطلا عن العمل ولا يوجد مصدرا للدخل من جهة، وتزايد طلبات الأسرة من جهة ثانية، فإن هذه الظروف تدفع الأب لممارسة العنف ضد أفراد أسرته، أو حتى ضد المحيط الاجتماعي نتيجة لحالة السخط والإحباط واليأس والعجز التي يمر فيها لعدم قدرته على توفير متطلبات الأسرة.

٥. أسباب تعليمية:

إن عدم حصول الزوجين أو أحدهما على مستوى كافٍ من التعليم، أو اتساع الفجوة في المستوى التعليمي بينهما قد يكون من أسباب العنف الأسري. فالزوج قد يشعر بالنقص تجاه زوجته إن كانت حاصلة على تعليم أعلى منه،

فيعوض هذا النقص بممارسة العنف تجاهها، وقد يكون ذلك بالازدراء والاحتقار، وتعتمد الإساءة إليها، أو من خلال العنف (الجسدي أو اللفظي).

ففي دراسة مقارنة لـ"العنف الأسري" في عدد من الدول العربية أجرتها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، بينت تأثير المستوى التعليمي على العنف الأسري، فكانت النتيجة: "كلما انخفض المستوى التعليمي، كلما زادت ممارسات العنف الأسري". وقد بلغ العنف أعلى درجاته في حالات الأمية وانخفض في حالات التعليم فوق الجامعي^١.

٦. أسباب إعلامية:

إن متابعة الأفلام والمسلسلات التي تنتشر ثقافة العنف تساهم في ارتفاع نسبة ممارسات العنف في المجتمع. ويؤكد ذلك ما جاء في تقرير لمجلة "ليفنما دي جودي"^٢، أن وسائل الإعلام الأمريكية قضت على الثقافة، لما تقدمه من برامج ومسلسلات وأفلام عنف ساهمت في زيادة معدلات الجريمة في المجتمع الأمريكي، حيث يشاهد الأطفال والشباب أكثر من ثمانية آلاف جريمة قتل على شاشة التلفاز قبل أن ينهي الطفل المرحلة الابتدائية^٣.

أما في المجتمع الفلسطيني فكونه يعيش في بيئة عنف مستمرة بسبب الإجراءات الصهيونية اليومية في البر والبحر والجو من جهة، وسلوك العنف الذي تمارسه أطراف فلسطينية بسبب الصراع على السلطة من جهة أخرى، كل

^١ عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشري، مرجع سابق، ص ١٢٢.

^٢ مجلة فرنسية أسبوعية.

^٣ بتصريف عن: محمد القاضي، مظاهر العنف في المجتمع المعاصر، مجلة التسامح، العدد ١٠، عمان، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ربيع ٢٠٠٥م،

<http://www.altasamoh.net/Article.asp?id=٢٢٢>

هذا ولّد العنف في نفوس أفراد المجتمع، وانعكس على سلوكياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

أسباب العنف الأسري في المجتمع الفلسطيني

لو دققنا النظر في الأسباب التي تقف وراء انتشار ظاهرة العنف داخل الأسرة الفلسطينية، فإنه يرجع إلى سبب أو أكثر من الأسباب الآتية:

(١) الاحتلال والحصار الإسرائيلي:

منذ اندلاع انتفاضة الأقصى قام الاحتلال "الإسرائيلي" بإغلاق كافة معابر قطاع غزة، وأوصدت الأبواب أمام العمال الفلسطينيين وحرمتهم من العمل داخل فلسطين أو ما يعرف بالخط الأخضر.

بناء على تلك الإجراءات العقابية تراجعت نسبة العمالة الفلسطينية داخل "إسرائيل"، وتراجعت نسبة العمل في القطاع الزراعي في المجتمع الفلسطيني بسبب سياسة التدمير والتخريب الممنهجة التي ينتهجها الاحتلال الإسرائيلي بحق الأراضي والمحاصيل الزراعية. سواء بمصادرتها، أو اقتلاع الأشجار . لاسيما أشجار الزيتون والحمضيات المعمرة .، أو منع المزارعين من الوصول إلى أراضيهم، أو إطلاق النار المتعمد على المزارعين، أو منعهم من جني المحاصيل، أو القيام بإحراق المحاصيل وإتلافها، أو القيام باعتقال المزارعين عند توجيههم إلى حقولهم.

وبما أن شريحة كبيرة من الأسر الفلسطينية تعمل في قطاع الزراعة. وهذا القطاع قد تعرض للإجراءات الاحتلالية التدميرية، فإن ذلك يعني تراجعاً كبيراً في الاقتصاد الفلسطيني، وله انعكاسات سلبية على اقتصاد الأسر التي تعتمد

على ما تنتجه الأرض من محاصيل. وهذا انعكس سلبيًا على العلاقات الأسرية، وساهم في نشر ثقافة العنف في ظل غياب مصادر الدخل، وعدم قدرة الأسرة على توفير متطلبات الحياة وإشباع رغبات الأبناء. ونظرًا لعجز رب الأسرة عن الإيفاء بكل متطلبات الأسرة فإنه يعيش في ضغط، وكبت وإحباط، متواصل. وحتى يفرغ ضغطه وينفس عن غضبه يلجأ إلى العنف الأسري هروبًا من الالتزامات المطلوبة منه.

(٢) تدني الوضع الاقتصادي:

يعتبر تدني الوضع الاقتصادي من الأسباب الرئيسية للعنف الأسري، وهذا السبب له ارتباط مباشر بالسبب الأول. ويتمثل في عدم قدرة رب الأسرة أو نقص إمكانياته في توفير حاجات الأسرة. وقد أظهرت نتائج تقرير "معهد دراسات التنمية" أن نسبة الفقر في قطاع غزة سنة ٢٠٠٧م وصلت (٨٠%)، وأن (٦٦.٧%) من سكان القطاع يعيشون في فقر مدقع^١. أي الـ (٢٠%) المتبقية هم من موظفي السلطة الفلسطينية، أو العاملين في مؤسسات وكالة الغوث، أو العاملين في المؤسسات الدولية العاملة في قطاع غزة.

إن أجواء الفقر التي تعيشها الأسرة الفلسطينية تجعل العنف يخيم على الأسرة، ويؤكد ذلك نتائج دراسة "مركز شؤون المرأة" في قطاع غزة حيث بينت أن (٢٠%) من النساء عنفن بسبب بطالة الزوج، كما أظهرت دراسة "كامل المنسي"^٢ أن (٤٥.١%) من النساء عنفن بسبب الأوضاع الاقتصادية^٢.

^١ نقلًا عن: جريدة الصباح، ١٤٩٢/٣/٩هـ،

<http://www.alsbah.net/mynews/modules.php?name=News&file=article&sid=11516>

^٢ كامل المنسي، العنف العائلي ضد النساء في قطاع غزة، غزة، مركز شؤون المرأة، ٢٠٠٥م.

(٣) السكن:

إن المناخ العام للسكن يساهم في انتشار العنف الأسري، مثل: (ضيق مساحة المنزل، وقلّة عدد حجراته، وكبر حجم الأسرة، وعدم وجود التهوية والإنارة والمصارف الصحية الجيدة).

في دراسة أجرتها اليونيسيف بالتعاون مع المكتب المركزي للإحصاء الفلسطيني تبين أن (٢٢.٧%) يعانون من ضيق السكن^١؛ لأن المنازل في مخيمات اللاجئين تتسم بضيق المساحة، وصغر حجم الحجرات هذا من ناحية، ولا تسمح وكالة الغوث لسكان المخيمات بإعادة الإعمار، أو توسعة المنازل من ناحية أخرى. فيترتب على ذلك تكديس عدد كبير من أفراد الأسرة في الحجرة الواحدة، إلى جانب عدم توفر أجواء الهدوء بسبب مشاغبة الأطفال، ناهيك عن اختلاط الأخوة (الذكور والإناث) وما يصاحب ذلك من مشكلات اجتماعية وصحية. وحتى تتخلص الأسر من التكدس تلجأ إلى إخراج الأبناء من المنزل للعب واللهو أغلب الوقت في الشوارع والأزقة الأمر الذي يترتب عليه الكثير من المشكلات.

كل العوامل السابقة تساهم في خلق حالة من العنف الأسري. أضف على ما سبق، أنه منذ أن فرض الحصار سنة ٢٠٠١م، وبعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة سنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، منع العدو الصهيوني دخول المواد الخام اللازمة للبناء والتعمير إلى قطاع غزة، مما ترتب عليه تعطيل قطاع البناء والتعمير، وحرمان الكثير من الأسر من التوسع والبناء. وهناك عدد كبير من

^١ يوسف ماضي، ظاهرة العنف المجتمعي ضمن الأسرة والمدرسة والمجتمع - دراسة ميدانية، منظمة الأمم المتحدة للطفولة بالتعاون مع المكتب المركزي للإحصاء والمصادر الطبيعية الفلسطينية، بيروت، نيسان ٢٠١٠م، ص٥.

الشباب المقبلين على الزواج الذين لم يستطيعوا البناء وتوفير سكن خاص بهم اضطروا للإقامة في حجرة في بيت الأهل. مما يعني تكس عدد كبير من الأبناء في المنزل وبالتالي يؤدي إلى العديد من مظاهر العنف.

(٤) الواقع الفلسطيني الممزق:

منذ حدوث الانقسام اللعين . الأثيم في تاريخ (١٤/٧/٢٠٠٧م)، قد ألقى بظلاله على كل شيء في المجتمع، ولم يوجد شيء قد سلّم من نتائجه السلبية والكارثية سواء على صعيد الأفراد، أو الجماعات، أو المجتمع عموماً. ومن بين النظم الاجتماعية التي لحق بها الضرر، واكتوت بنار الانقسام النظام الأسري في كافة أنساقه: (الزواج، والتنشئة الاجتماعية، والعلاقات الأسرية والقريبة). ويعتبر (النسق الزواجي) من أكثر الأنساق الأسرية تضرراً. إذ أنه منذ الفلتان الأمني* وحتى وقوع الانقسام وإلى يومنا هذا بدأت تغزو المجتمع الفلسطيني ظواهر اجتماعية غريبة عن عاداته وتقاليده. ومن بين هذه الظواهر ظاهرة (الزواج الحزبي)، فأصبحت أغلب حالات الزواج تتم بناء على معيار (الانتماء الحزبي). وأصبح هذا المعيار مقدم على بقية المعايير الزواجية الأخرى. وهناك الكثير من الشواهد التي تعكس ذلك، وقد وصلت إلى الحد الذي بات يشكل تهديدا كبيرا للبناء الأسري. فقد كان الزواج في المجتمع الفلسطيني يتم بناء على أحد معايير (المال، والحسب، والجمال، والتعليم، والدين). إلا أن هذه المعايير أصبحت من الدرجة الثانية، وقدم عليها معيارا جديدا لم يكن مألوفاً من قبل .

* هي الفترة التي ساد فيها الاقتتال الداخلي بين حركتي (فح وحماس) عقب فوز الأخيرة في الانتخابات التشريعية الثانية ٢٥/١/٢٠٠٦م، وترتب عليها انقسام المجتمع الفلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث سيطرت حركة حماس على قطاع غزة، والسلطة الفلسطينية على الضفة الغربية.

وهو في الحقيقة انعكاس للواقع الاجتماعي والسياسي الفلسطيني . وهو معيار (الانتماء الحزبي).

الجدير بالذكر، أن أغلب حالات الزواج التي تمت على أساس حزبي لم يكتب لها النجاح، والاستمرار، والتوافق الأسري. وهناك بعض حالات الزواج الحزبي بدأنا نقطف ثمارها السلبية، منها التي انتهت بالطلاق، وأخرى تعاني من عدم الاستقرار الأسري والعنف الأسري بكافة أشكاله. وهناك الكثير من النتائج السلبية التي سنجني ثمارها المريرة مع مرور الوقت على صعيد التنشئة والعلاقات الاجتماعية.

صور العنف الأسري في المجتمع الفلسطيني:

❖ إكراه الفتيات على الزواج من شخص لا ترغبه، لاسيما إن كان عدد الفتيات كبيرا في الأسرة.

❖ الزواج المبكر، والتحايل على القانون بتزوير تاريخ الميلاد. وتشير الأرقام إلى ارتفاع ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني، فقد بينت الإحصائيات الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، في فبراير ٢٠٠٢م، أن الفتيات اللائي يقعن في الفئة العمرية (١٥-١٩) سنة وتزوجن بلغت نسبتهن (١٨%)^١.

❖ التهديد بالطلاق، وغالباً ما تفرض بعض الأسر على ابنها تطليق زوجته لأنها لا تروق لأمه، وحرمانها من أولادها، وحرمانها من الإقامة في السكن

^١ سمية السوسي، مراجعة لتقرير تكوين الأسر في الأراضي الفلسطينية الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، العدد ١١-١٢، يوليو/ ديسمبر ٢٠٠٣م.
<http://www.oppc.pna.net/mag/mag13-14/new14-13-14.htm>

المناسب الذي يجمعها بأولادها، وقد يكون الطلاق لتأخر الحمل، أو لعقر المرأة. وقد تجاهلت تلك الحموات قوله تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِئَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}¹. وقوله تعالى: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ}².

وقد بينت الإحصائيات أن نصف حالات الطلاق تقع قبل مرور سنتين على الزواج³. والسبب في ارتفاع حالات "الطلاق المبكر"، تغير عادات الزواج، حيث أصبح يطغى على أغلب حالات الزواج قصر فترة الخطوبة، . في فترة لا تتجاوز الأسبوعين أو الشهر على أبعد حد .، ويكون جُل هذا الوقت مسخر للتجهيز وترتيب أمور العرس. مما يعني عدم توفر الوقت الكافي للخطيبين ليتعرفا على بعضهما بشكل جيد. لذلك يتضح بعد الزواج بفترة قصيرة عدم التوافق والانسجام بين الزوجين، لكثرة الخلافات الزوجية، وغياب التكافؤ. فيصل الزوجان إلى طريق مسدود، ويجدان في الطلاق هو المخلص من تلك الخلافات.

❖ حرمان الفتيات من مواصلة التعليم، انطلاقاً من اعتقاد خاطئ بأن الفتاة نهايتها الزواج وإن حصلت على تعليم عال. كأن هناك تعارض بين التعليم والزواج!!.

❖ تدني المستوى الاقتصادي للأسرة، حيث ترى بعض الأسر أنه في تزويج الفتيات مبكراً، فيه تخفيف من الأعباء الاقتصادية الملقاة على كاهل الأسرة. وقد

¹ الشورى، الآيتان: ٤٩-٥٠.

² فاطر، ١١.

³ سمية السوسي، مرجع سابق.

- بينت دراسة أجريت سنة ٢٠٠٨م أن (٢٨.٢%) من النساء اضطرت أسرهن إلى تزويجهن مبكراً، وعدم إكمال تعليمها بسبب الظرف الاقتصادي^١.
- ❖ الضرب المبرح، الكثير من ضحاياها العنف الأسري من شريحة الأطفال الذين لا يستطيعون التبليغ عن العنف الممارس بحقهم، أو المطالبة بحقوقهم.
 - ❖ الاعتداء الجنسي على القاصرين والقاصرات، وعادة يرفض الأهل تبليغ الشرطة عن هذه الجرائم خوفاً من الفضيحة.
 - ❖ قتل الأطفال اللقطاء، أو رميهم بجانب مجمعات القمامة، أو عند قارعة الطرقات، أو عند بوابات المساجد، أو على مداخل الأسواق.
 - ❖ الإجهاض في حالات الحمل غير الشرعي، حماية لسمعة الأسرة، ومنعا للفضيحة.
 - ❖ ضرب الزوجات: وهو من أكثر أساليب العنف اتباعاً، وهو من أكثر الممارسات المسكوت عليها اجتماعياً.

النتائج المترتبة على العنف الأسري:

- ✓ التعامل مع المواقف الاجتماعية بشكل عنيف نتيجة التأثر بالتنشئة الاجتماعية، وغلبة الأجواء العنيفة على المحيط الأسري، مما يعني عدم قدرة الفرد على التعامل الإيجابي مع المواقف الاجتماعية.
- ✓ غياب الأمن الاجتماعي، وبالتالي سيطرة الفتور على العلاقات الأسرية.
- ✓ لا يستطيع الفرد أن يكون اتجاهات إيجابية نحو ذاته، وقد يعيش أجواء من الإحباط واليأس.

^١ المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، مرجع سابق.

- ✓ قد يؤدي العنف الأسري إلى التحاق الفرد برفاق السوء الذين يساعدونه على ارتكاب الجرائم.
- ✓ أن تنشئة الأبناء في أجواء عنيفة قد يدفعهم إلى ممارسة هذه السلوكيات مع أبنائهم في كبرهم.
- ✓ عدم القدرة على مواجهة التوتر وضغوط الحياة بطريقة إيجابية.
- ✓ عدم قدرة الفرد على مواجهة وحل المشكلات التي تواجهه.
- ✓ لا يستطيع الفرد التعامل باستقلالية في تسيير أموره الحياتية.
- ✓ يؤدي العنف الأسري إلى تمرد الفرد على سلطة الأسرة، وقد يصل هذا التمر إلى درجة التمرد على سلطة المجتمع والقانون.
- ✓ سيطرة أجواء العنف على المناخ الأسرة قد تدفع الأبناء إلى القيام بالعديد من السلوكيات دون علم الوالدين.
- ✓ ممارسة العنف مع الأبناء منذ الصغر يؤدي إلى فقدان الأبناء للثقة في أنفسهم، وعدم القدرة على تحقيق الذات.

مقترحات لمواجهة ظاهرة العنف الأسري:

- ❖ الإقرار الأسري والمجتمعي بوجود العنف الأسري وانتشاره في المجتمع، حيث وصل إلى الحد الذي بات يشكل أرقا يجب التخلص منه؛ لما يترتب عليه الكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية. فالاعتراف بوجود المشكلة هو أول خطوة باتجاه وضع حلول للتخلص منها أو الحد منها.

- ❖ تقوية العلاقات الأسرية، من خلال ترسيخ القيم الإسلامية التي تضبط العلاقات الأسرية، وتبين أسس اختيار الزوجين، ومعرفة حقوق وواجبات الزوجين، والاتفاق على طريقة التنشئة.
- ❖ تصحيح معايير الزواج، والعمل بالهدى النبوي. "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه. إلا تعفوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض".
- ❖ تعزيز أساليب التنشئة الاجتماعية الإيجابية، وأن تبذل جهداً للابتعاد عن الأساليب السلبية.
- ❖ حل المشكلات الأسرية أولاً بأول، وإن كانت خلافات بين الزوجين يفضل حلها بعيداً عن الأبناء، وأن تعقد جلسات حوار أسرية للتعرف على أخبار الأبناء والعمل على حل مشكلاتهم.
- ❖ إشباع حاجات الأبناء النفسية، والاجتماعية، والجسدية، وميولهم ورغباتهم من خلال إشراكهم في العديد من الأنشطة الأسرية والاجتماعية.
- ❖ تقوية الوازع الديني من خلال التوجيهات والإرشادات الدينية السليمة، والاسترشاد بسيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ففيها الكثير من النماذج الناجحة لحل المشكلات الأسرية.
- ❖ تفعيل دور المنظمات الأهلية للقيام بحملات توعية لبيان صور العنف الأسري، وأسبابه، ومخاطره. من خلال عقد دورات في التوعية والإرشاد الأسري، والحملات الإعلامية، والنشرات القصيرة، والملصقات المعبرة، وورش العمل، واللقاءات العامة، والزيارات الميدانية، والأبحاث العلمية.

- ❖ تفعيل دور المؤسسات الحكومية ذات الصلة ليكون دورها متناغما مع دور المنظمات الأهلية، مثل: وزارة الأوقاف، والشؤون الاجتماعية، وشؤون المرأة، ووزارة الإعلام. فكل وزارة تقوم بدورها بحسب اختصاصها.
- ❖ الإعلان عن كل سلوك عنفي يتعرض له أفراد الأسرة، عن طريق الاتصال بمراكز الشرطة، أو مكاتب حقوق الإنسان الموجودة في كل المحافظات. للتعرف على حجم الظاهرة، ووضع خطط مناسبة لتقليص حجم الظاهرة.
- ❖ مساعدة الباحثين الذين يقومون بدراسة ظاهرة العنف الأسري، بحسن استقبالهم، وإعطائهم المعلومات الصحيحة حتى يتم تشخيص الظاهرة بشكل صحيح، والتوصل لنتائج صحيحة، ووضع خطط علمية فاعلة.

تعدد الزوجات.. رؤية شرعية اجتماعية

يعد موضوع تعدد الزوجات واحدا من الموضوعات التي يتخذها أعداء الإسلام . عربا وعجما . ذريعة للتهجم على الإسلام، على اعتبار أن التعدد يمثل صورة من صور اضطهاد المرأة، وانتهاكا لحريتها، وتقليلها لمكانتها، وامتهانها لها. غير أن ظاهرة تعدد الزوجات ليست بدعا من الإسلام، بل هي موجودة ومعروفة في الحضارات القديمة. ففي الحضارة الفرعونية كان الملوك يعددون الزوجات ولا يوجد سقف يقيد التعدد، وعرفت الديانة اليهودية التعدد، وقد ذكرت التوراة أن سليمان عليه السلام له سبعمئة امرأة وثلاثمئة من السراري^١، وذكر رسول الله ﷺ أن لسليمان عليه السلام مائة أو تسعة وتسعين امرأة^٢. ومن العلماء

^١ كرم حلمي فرحات، تعدد الزوجات في الأديان، ط١، القاهرة، دار الأفاق العربية، ٢٠٠٢م، ص ١٤.
^٢ قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت

المعاصرين (نيوفيلد) قال في كتابه (قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين): "إن التوراة والتلمود أباحا تعدد الزوجات، ولم يجعلوا له قيوداً ولا حدوداً"^١. كما عرفت الديانة المسيحية التعدد الذي أخذته عن الديانة اليهودية، ولم يرد نصاً قاطعاً في الكتب المسيحية المقدسة يمنع الزواج أو التعدد، وما يوجد من رهينة في النصرانية هي من تحريفهم وابتداعهم، وليست أصلاً من أصول الديانة المسيحية. قال تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ}٢. ويقول أحدهم: "ليس من الكياسة أن تحرم الكنيسة الرجال من التمتع بأزواجهم ما داموا نصارى يدينون بدين المسيح". هذا إلى جانب "مارتن لوثر" الذي أباح التعدد، وأثنى عليه، ورأى أنه لا تعارض بين التعدد وأحكام الشريعة المسيحية. ويذكر المؤرخ "مارك" أن تعدد الزوجات كان موجوداً في أوربا إلى عهد غير بعيد^٣. وكذلك عرف العرب في الجاهلية ظاهرة التعدد. وكل ما فعله الإسلام هو تنظيم مسألة التعدد وتقييدها. قال تعالى: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا}٤.

شروط تعدد الزوجات في الإسلام:

١. العدد:

بيّنا في السطور السابقة أن تعدد الزوجات كان معروفاً في الحضارات والديانات السابقة، ولم يكن يقيد به عدد محدد من الزوجات. لكن الأمر في

بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون". صحيح البخاري، ٢٨١٩.

^١ حسن بن محمد الحفناوي، الأسرة المسلمة وتحديات العصر، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠١م، ص١٥٩.

^٢ الحديد، ٢٧.

^٣ حسن بن محمد الحفناوي، مرجع سابق، ص ١٥٩.

^٤ النساء، ٣.

الإسلام يختلف، حيث قيّد التعدد بعدد محدد، أقله زوجة واحدة، وأكثره أربعة زوجات. قال تعالى: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}. وهناك عدد من الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا من المعددين، ومتزوجين بأكثر من أربعة زوجات قبل دخولهم الإسلام. غير أنهم بعد اعتناقهم للإسلام خيّرهم رسول الله ﷺ بالإبقاء على أربعة زوجات فقط، وتطليق ما يزيد على ذلك. فقد ذُكر أن قيس بن ثابت رضي الله عنه عندما أسلم كان في عصمته ثمانية زوجات، وكان لدى غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه عشر زوجات، فأمرهما رسول الله ﷺ بأن يقتصر كل واحد منهما على أربعة زوجات فقط، ويطلق الأخريات.

٢. النفقة:

تشتمل النفقة كل ما تحتاجه الحياة الزوجية من الماديات كالطعام، والشراب، واللباس، والسكن، والأثاث، والعلاج... إلخ. ولا بد لمن يريد الزواج من الرجال أن يكون لديه مصدرا آمنا للدخل، وإن لم يكن لديه فلا يتعجل في طلب الزواج، لأن النفقة الزوجية واجبة على الزوج. والحديث واضح وصريح حينما قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة^١ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء^٢".^٣ وحينما سئل ﷺ عن حق الزوجة على زوجها، قال: "تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت".^٤

^١ الباءة هي: القدرة على نفقات الزواج.

^٢ وجاء: وقاية.

^٣ صحيح مسلم، ١٤٠٠. صحيح البخاري، ٥٠٦٥.

^٤ سنن أبو داود، ٢١٤٢.

إن كانت هذه التوجيهات النبوية خاصة بمن يريد الزواج من امرأة واحدة، فإنها أولى وأكثر تشددا بحق من يريد أن يعدد بأكثر من زوجة.

٣. العدل:

اشترط الإسلام في التعدد تجسيد العدل بين الزوجات، ولم يجعل التعدد أمرا لازما وواجبا على كل مسلم. قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ} ^١. إذن الأصل في الزواج التعدد، لكن إن خشي الرجل على نفسه من عدم إقامة العدل بين زوجاته، ومن باب أن ينجو بنفسه من الظلم والإفلات من عقاب الله تعالى فعليه أن يقصر الزواج على امرأة واحدة. وفي موضع آخر بيّن الله تعالى أن الرجل المعدد مهما حرص على تحقيق العدالة بين زوجاته فإنه لن يستطع إلى ذلك سبيلا، قال تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ^٢. أي مهما كان الرجل حريصا أن يكون عادلا بين زوجاته فهو لا يستطيع أن يكون عادلا في كافة جوانب الحياة الزوجية. إن عمل جهده أن يكون عادلا في الجوانب المادية، فلن يكون عادلا في جوانب المشاعر والحب.

الجدير بالذكر، أن العدل الذي أشارت إليه الآيات هو (العدل المادي)، أي العدل المتعلق بالمأكل، والملبس، والمسكن، والعشرة، والإنفاق. ومن لم يعدل في هذه الأمور فهو آثم لأنها أمور بإمكان الرجل التحكم فيها وضبطها. ولم تقصد الآيات العدل المعنوي (الحب والمشاعر)، فهذا أمر ليس بإمكان الرجل التحكم فيه وضبطه، فالقلوب متقلبة والمشاعر متغيرة ولا تثبت على حال معين. فربما

^١ النساء، ٣.

^٢ النساء، ١٢٩.

الرجل يميل اليوم إلى الزوجة الأخيرة أكثر من الأولى. وربما في الأيام المقبلة تتقلب الموازين، ويميل للزوجة الأولى أكثر من الأخيرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه".^١ بل أن رسول الله ﷺ اعتذر إلى الله تعالى كونه لا يستطيع ضبط العدل المعنوي بين زوجاته والتحكم فيه، فقال: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك".^٢ كونه كان يميل ﷺ إلى زوجته عائشة رضي الله عنها أكثر من بقية زوجاته رضي الله عنهن جميعاً. وهذا الشق من العدل الزوجي يصح فيه قول الله: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}^٣.

وقد شدد ﷺ على مسألة العدل بين الزوجات وبيّن عقاب الزوج الذي يقصر في حق من حقوق زوجاته المادية: "إذا كان عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط".^٤ هذا بحق رجل عنده زوجتين ولم يعدل بينهما، فما بالنا بمن عنده أربع زوجات ولم يعدل بينهن، فإلى أي شقن سيميل!؟

مبررات تعدد الزوجات في الإسلام:

١. إذا كانت شهوة الرجل عالية، ولم تستطع زوجة واحدة أن تشبعها. في هذه الحالة يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة ويعدد بين الزوجات؛ لئلا يقع في براثن الانحراف الاجتماعي والأخلاقي وممارسة الرذيلة، أو يقوم بإشباع حاجته الغريزية خارج إطار الأسرة. لاسيما وأن المجتمعات المعاصرة تعيش حالة من الانحطاط الأخلاقي والتردي القيمي، حيث التبجح، والسفور،

^١ الألباني، صحيح ابن ماجه، ١٦٦.

^٢ السيوطي، مرجع سابق، ٧١٢٧.

^٣ البقرة، ٢٨٦.

^٤ الألباني، صحيح الترمذي، ١١٤١.

- والعري، والتحرش الجنسي، والخلاعة، وانتشار دور الدعارة، ورواج الأفلام الإباحية والأقراص المدمجة الداعرة، وسهولة الوصول إلى المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، وتوزيع اللقطات الإباحية عبر الجوال... إلخ.
٢. إذا كانت الزوجة عقيم، والرجل يرغب في الإنجاب، في هذه الحالة يجب أن تكون الزوجة عوناً للرجل لإشباع غريزة الأبوة. لكن ينصح ألا يتعجل الزوج في الأمر؛ لأن علوم الطب المتعلقة بمجال الخصيب والولادة قد تطورت بشكل كبير وحققت نجاحات عالية. وكم من زوجين تأخرا في الإنجاب لكن بعد الدعاء والعلاج ومرور السنوات قد أراد الله لهما الإنجاب.
٣. إذا مرضت الزوجة ولم تستطع القيام بمتطلبات الحياة الزوجية، أو عدم قدرتها على الإنجاب.
٤. إذا توفيت الزوجة، والزوج بحاجة إلى من يرعاه ويهتم به، ويلبي رغباته ويشبع حاجاته.

نماذج من معددي الزوجات في المجتمع الفلسطيني:

- إن من يتأمل حال الكثير من معددي الزوجات في المجتمع الفلسطيني يجد أغلبهم . ولا أقول كلهم . فيه واحدة أو أكثر من الصفات الآتية:
١. من معدمي الدخل، أو ذوي الدخل المتدني، أو يعملون في أعمال هامشية لا تدر دخلاً كافياً يغطي نفقات البيوت التي يفتحونها. ويعتمدون في الغالب على المساعدات المقدمة من المؤسسات الاجتماعية، أو الصدقات التي يتبرع بها أهل الخير. وبالتالي لا يستطيعون توفير الحد الأدنى من النفقة الزوجية.

وهم بذلك يقعون في الإثم ويرتكبون الخطيئة من حيث لا يدرون، لأنهم أخذوا بشرط من شروط التعدد وهو القدرة على الإنفاق.

٢. من ذوي التعليم المتدني، فهم لم يحصلوا على قسط كاف من التعليم. وبالتالي لا يفقهون الكثير من مقومات السعادة الزوجية، ولا يتمتعون بمهارات إدارة المشكلات الأسرية وحل الخلافات، وربما لا يعدلون في النفقة بين الزوجات. فتجد حياتهم تحولت إلى جحيم لا يطاق، وساحة للظلم، وانتهاك لحقوقهن، وتعنيفهن.

٣. لا يستطيعون توفير السكن الملائم لزوجاتهم، فتجد الواحد منهم يكس زوجاته في بيت واحد، أي كل زوجة في غرفة. وما يترتب على ذلك من خلافات وصراعات الضرائر. والمشكلات تصبح كغمامة سوداء تعلق فوق سماء البيت ولا تغادره.

٤. يكثر الإنجاب وليس لديه القدرة الكافية على تحمل تبعات هذه الكثرة الإنجابية، وبالتالي يقع في مشكلة إضافية وهي عدم تنشئة الأبناء تنشئة صالحة. فتجد بعضهم لا يستطيع أن يحفظ أسماء أولاده وبناته لكثرتهم. وبعضهم لا يدري في أي مستوى دراسي أبناؤه؛ لعدم الاهتمام والمتابعة. وبعضهم قد يدفع بأبنائه إلى التسرب الدراسي المبكر لعدم القدرة على تحمل نفقات التعليم. وبعضهم قد يزوج بناته مبكراً ليتخلص من عبئهن. وبعضهم قد يزج بأولاده مبكراً إلى العمل لينفق كل واحد منهم على أمه وأخوته؛ ليخفف عليه عبئ الإنفاق على زوجاته، وبالتالي تقع في مشكلة ثالثة وهي عمالة الأطفال.

٥. من ذوي الثقافة البسيطة والفهم السطحي لنصوص القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية، فهم يعتقدون أنهم بالتعدد يتقربون إلى الله تعالى، ويطبّقون سنة نبوية رغبة في الأجر والثواب، وهم بذلك يخلون بشرط أو اثنين من شروط التعدد (النفقة، والعدل).

حينما تراجع أو تناقش واحدا من الأصناف السابقة يأتي بدعاوى باطلة وحجج واهية. ومن مبرراتهم أن تعددهم هو من باب الستر على فتيات المسلمين، حفاظا عليهن من العنوسة، وحمايتهن من الوقوع في مستنقع الرذيلة. وهذه مبررات ضعيفة ومردودة عليهم، لأن سلوكياتهم على عكس ما يقولون، فأغلبهم يمارسون الظلم والقهر الاجتماعي بحق زوجاتهم، ولا يعدلون في النفقة. وهم بهذه التصرفات يسيئون للإسلام، ويعطون الذرائع لأعداء الإسلام ليتصيدون الأخطاء ويشهرون بالإسلام.

الفصل الخامس

انعكاسات التكنولوجيا على الأسرة

مقدمة:

لقد احتلت التكنولوجيا الحديثة مكانة بارزة في مجتمعاتنا المعاصرة، بحيث تدخلت في كافة تفاصيل ودقائق الأمور في حياتنا، ويصعب على الفرد حصرها في قائمة محددة لكثرتها وتعددتها وتشعبها، لذلك امتدت آثارها لتشمل كل المجالات الحياتية، فهي فلم تدع نظاما اجتماعيا إلا وتركت بصماتها فيه. في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والتعليم، والصحة، والإعلام، والزراعة، والصناعة، والتجارة، والفن، والأسرة، والتربية... إلخ. ومن ملامح تكنولوجيا المعلومات أنها اختزلت مسافات الزمان ومساحات المكان، وأصبح العالم يشبه قرية كونية صغيرة.

إن إفرازات تكنولوجيا المعلومات ليست كلها إيجابية ومفيدة، كما أنها ليست كلها سلبية وضارة، بل هي تجمع بين هذا وذاك، بين الإيجابية والسلبية، النفع والضرر، لكن هذا يتوقف على كيفية استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، فبإمكان الفرد أن يستفيد منها ويسخرها لخدمته، وبإمكانه أن يجعلها وبالاً عليه وعلى أسرته وعلى المجتمع عموماً.

تعريف التكنولوجيا:

"تكنولوجيا" هي ترجمة لكلمة (Technology)، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (Techno) التي تعني الفن والمهارة، أما الجزء الثاني من الكلمة (Logy) تعني علم أو دراسة. أي تكنولوجيا تعني علم الفن والمهارة. وقد نحت مصطلح "تكنولوجيا" بعد الثورة الصناعية، بعد أن بدأت الآلة تأخذ مكانتها في الإنتاج الصناعي.

هناك الكثير من الجهود التي عرفت مصطلح تكنولوجيا المعلومات، وكلها كانت تدور في فلك واحد، وقد اتفقت في أغلبها حول النقطة التي لخصها (نبيل علي) في قوله: "أن تكنولوجيا المعلومات مادتها الخام هي البيانات والمعلومات والمعارف... وأداتها الأساسية هي بلا منازع الكمبيوتر وبرمجياته التي تستهلك طاقته الحاسوبية في تحويل هذه المادة الخام إلى سلع وخدمات معلوماتية، أما التوزيع فيتم من خلال التفاعل الفوري بين الإنسان والآلة، أو من خلال أساليب البث المباشر وغير المباشر كما هي الحال في أجهزة الإعلام، أو من خلال شبكات البيانات التي تصل بين كمبيوتر وآخر أو بينه وبين وحداته الطرفية"^١.

مراحل تطور تكنولوجيا:

حاول "جيرارد دايموند" في كتابه "بنادق وجراثيم وصلب.. مصائر المجتمعات الحديثة"، أن يحدد مراحل تطور تكنولوجيا المعلومات في المجتمعات الإنسانية، وقسمها كالآتي:

١. المرحلة الصفريّة:

تمثل المرحلة الصفريّة حوالي مليوني سنة عاشها الإنسان في العصر الجليدي، وقد أسقطها جيرارد دايموند من تقسيماته؛ لأنه لم يكن فيها أي اكتشافات تكنولوجية. ثم تحدث عن مرحلة ما بعد الصفريّة، وفيها حطم الإنسان جدران العزلة وأقام العلاقات. فمن الهند جاءت الأعداد العشرية، ومن الجزيرة

^١ نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة (١٨٤)، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل ١٩٩٤م، ص ٤١.

^٢ بتصرف عن: شعاع اليوسف، التقنيات الحديثة.. فوائد وأضرار، سلسلة كتاب الأمة، العدد ١١٢، السنة ٢٦، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر، ربيع الأول ١٤٢٧هـ، ص ٣٥-٣٦.

العربية جاءت الجياد الأصيلة، ومن تركيا جاء الحديد والبرونز، ومن إيران جاء النسيج والسجاد، ومن مصر ورق البردى والزجاج، ومن الصين البارود واليوصلة، كما تبادلت الثقافات والأديان.

٢. مرحلة الاكتشافات والاختراعات:

في هذه المرحلة شقت الطرقات، واكتشفت المدن، وظهرت الحضارات الكبرى في: (الصين، والهند، ومصر، وفارس، واليونان، والرومان). وقد اكتملت هذه المرحلة ببناء السفن والأساطيل الضخمة وتطور الملاحة. وقد حدث ذلك في بدايات القرن الخامس عشر الميلادي، واعتبر جيراد دايموند هذه المرحلة هي بداية ظهور العولمة.

٣. مرحلة اقتحام الفضاء وتقدم فنون الطيران:

هذه المرحلة سهّلت نقل البضائع والسلع والبشر، وربطت المجتمعات ببعضها، وزيادة حدة الحروب، واستخدام أسلحة الدمار الشامل، وظهور الشركات متعددة الجنسيات.

٤. مرحلة تفجر الثورة الإلكترونية وثورة المعلومات، وهي المرحلة الأخيرة من

مراحل تطور تكنولوجيا المعلومات.

سمات مجتمع المعلومات المعاصرة:

- (١) انفجار المعلومات: فالمعلومات المنتجة في العقود الأخيرة تفوق ما أنتج طوال التاريخ البشري. كما أنها تتزايد بمعدلات عالية نتيجة التطورات البشرية الهائلة في مجالات العلم كافة.
- (٢) ظهور المبتكرات التكنولوجية في معالجة المعلومات: مثل: الصور الفوتوغرافية، والأفلام المتحركة، والراديو، والهاتف، والإنترنت.
- (٣) نمو المجتمعات والمنظمات المعتمدة بشكل كلي على المعلومات والمتمثلة في: المؤسسات الإعلامية، والاستعلامات، والبنوك، وشركات التأمين، والمصالح الحكومية.

الآثار السلبية لتكنولوجيا المعلومات على الأسرة الفلسطينية

- تبرز أهمية الأسرة باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، حيث يتوقف صلاح وتماسك المجتمع على درجة صلاح وتماسك الأسرة، والعكس صحيح. لذلك نجد الأسرة في العقود الأخيرة حظيت باهتمام كبير من قبل المؤسسات الحكومية، والمؤسسات الدولية، بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني. وما ذلك إلا لأهمية الأسرة في المجتمع. وسأوجز الحديث عن أهم الآثار السلبية التي عكستها تكنولوجيا المعلومات على الأسرة. بالوقوف عند ستة محاور، هي:
- ❖ الإعلانات التجارية ودورها في نشر القيم المادية والنزعة الاستهلاكية.
 - ❖ دور الفضائيات في ارتفاع ظاهرة التفكك الأسري.
 - ❖ إدمان أفراد الأسرة على الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية.
 - ❖ التوظيف السلبي للجوال.

❖ تكنولوجيا المعلومات ودورها في تسهيل تجارة البغاء وتهريب البشر.

أولا/ الإعلانات التجارية ودورها في نشر القيم المادية والاستهلاكية:

إن الإعلانات التجارية أصبحت تطاردنا وتلاحقنا في كل وقت، وفي كل مكان. فنجدها على شاشات الفضائيات، وعبر أثير الإذاعات، وعلى صفحات الصحف والمجلات، بل وعلى صفحات المجلات العلمية، . وهناك جرائد خاصة بالإعلانات التجارية فقط .، وتوجد على قارعة الطرقات وفي الميادين العامة، وعلى المداخل الرئيسية للمدن، وفي الملاعب الرياضية، بل اخترقت حرمانتنا الشخصية من خلال رسائل الجوال القصيرة (SMS)، حتى دور العبادة (المساجد) . التي يفترض فيها ترك ملهيات الدنيا والتفرغ للعبادة والتقرب إلى الله .، وكذلك المؤسسات الصحية . التي يفترض أن توفر جوا من الهدوء والراحة النفسية للمريض لمساعدته على التماثل السريع للشفاء .، والمؤسسات التعليمية لم تسلم من الإعلانات.

وقد شملت الإعلانات التجارية كافة السلع والمنتجات بدءاً بالمواد الغذائية، مروراً بالعبور والإكسسوارات وأدوات التجميل وأثاث البيت، انتهاءً بإطارات السيارات والسماذ الزراعي. والقاسم المشترك بين كل الإعلانات التجارية استخدامها لجسد المرأة والطفل سواء كان لهما علاقة بموضوع الإعلان أو ليس لهما علاقة. وقد بينت دراسة أن (٩٣%) من الفضائيات تستخدم السيدات في الإعلانات التجارية وتقديم البرامج^١.

^١ بسام أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، مرجع سابق، ص ١٢٢.

ومما ترتب على الإعلانات التجارية تنمية السلوك الاستهلاكي عند أفراد الأسرة سواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي. بحيث لم يعد بمقدرة الأسرة مجارة السلع الاستهلاكية التي يعلن عنها باستمرار، مما يشكل إرهاقا لميزانية الأسرة التي تعاني في الأصل من ضائقة اقتصادية بسبب ارتفاع معدلات البطالة، وتدني الأجور، ومحاولات بعض المؤسسات تسريح العمال والاستغناء عنهم واستبدالهم بوسائل التكنولوجيا لتقوم بما كانوا يقومون به وربما بشكل أدق.

هناك بعض الأسر التي تعطي اهتماما كبيرا للسلع الكمالية حتى لو كان على حساب السلع الأساسية، ويدخل هذا السلوك في باب التباهي الاجتماعي وحب الظهور، مثل: (الجوالات الحديثة، والدش، والكنب الفاخر، والتلفاز الحديث، وتجديد غرفة النوم، والغسالة، والثلاجة، والعجانة، والجلابية، وأحدث موضة الملابس... إلخ).

والذي يزيد من النزعة الاستهلاكية عند الأسر، أن الإعلانات موجهة لكافة أفراد الأسرة باختلاف النوع والعمر. فهي تخاطب الرجال، والنساء، والأطفال، والشباب.

وتعتبر الإعلانات التلفزيونية هي الأكثر فعالية، لأنها تخاطب السمع والبصر معا، وبالتالي فإن تأثيرها على الأفراد أكبر وأشد من الإعلانات المسموعة فقط، أو المقروءة فقط. وهذا المعنى تؤكدته نتائج دراسة أجريت في الأردن حيث بينت أن المستهلكين يفضلون متابعة الإعلانات على الفضائيات بنسبة (٧٥.٨%)^١.

^١ فتحي عبد الله ضيف الله، أثر الإعلانات التلفزيونية الفضائية الخارجية على أنماط السلوك الشرائي للمستهلكين الأردنيين، مجلة علوم إنسانية، العدد ٤٦، السنة ٨، ٢٠١٠م.

وقد كشفت دراسة أجريت على الطالبات الجامعيات في قطاع غزة أن من بين العوامل التي تساعد على إحداث أثر للإعلان التلفزيوني هو "المفاجئة في الإعلان" بنسبة (٤٧.٣%)، ثم "تكرار الإعلان" بنسبة (٣٧.٣%)^١. وبحسب الدراسة فقد كشفت أن أكثر الإعلانات التي يتم متابعتها هي: الأزياء (٤٥%)، العطور (٢٣%)، المواد الغذائية (١٩%)، خدمات السياحة (١٦.٣%)، المواد الكهربائية والإلكترونية (١٥%)، السيارات (١٣%).

بالنظر إلى الأرقام السابقة نجد أن الاهتمام بالكماليات جاءت في الدرجة الأولى، أما المواد الغذائية جاءت في الدرجة الثالثة. إذن ليس ثمة خلاف بين شخصين على أن ثقافة المجتمع، هي ثقافة مادية استهلاكية بالدرجة الأولى، تسعى إلى إحلال ثقافة التسلية والصورة محل ثقافة العقل. فهذه القائمين على الإعلانات هو تحقيق الربح والكسب المادي، وتحويل الناس إلى قطعان لا يهتمهم إلا بطونهم وإشباع شهواتهم.

ومن صور الاستهلاك الثقافي التي تروج لها وسائل الدعاية والإعلان:

(١) الوجبات السريعة مثل: (البرجر، والبيتزا، والماكدونالدز، ودجاج كنتاكي) التي تفنقذ للنكهة الطيبة، وتباع بأسعار مرتفعة، ويترتب على الإفراط في تناولها أمراض عصرية مثل: (السمنة والتخمة، وارتفاع الضغط، وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم).

^١ زهير عابد، تأثير الإعلانات التلفزيونية على السلوك الاجتماعي للفتاة الجامعية الفلسطينية.. دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مجلد ٢٤، العدد ٥، ٢٠١٠، ص ١٥٤٧.

(٢) المشروبات الغازية مثل: (الببسي، والكوكاكولا). وقد قامت شركة كوكاكولا بتقديم منتجاتها في الصين واليابان بمذاقات مختلفة حسب أذواق الناس المحلية.

(٣) الصرعات الموسيقية التي تفتقد إلى قواعد الفن الأصيل والذوق الرفيع، فلا تجد فيها إلا صراخ، ونهيق، وصوت صاخب، وأصواء خاطفة، وحركات سريعة، وعري، ولقطات داعرة، وكلمات هابطة تدعو إلى الفحش والرذيلة والتحلل الأخلاقي. بل توجد بعض الأغاني كلماتها تدعو إلى الكفر والشرك والكل يردها ولا يدرك معنى ما يردد! وكذلك ما تنتجه وتعرضه دور السينما من أفلام تنشر ثقافة العنف والجريمة والإرهاب والجنس والشذوذ.

ثانيا/ الفضائيات ودورها في التفكك الأسري:

شهدت السنوات الأخيرة تعددا غير مسبوق في أعداد قنوات البث الفضائي، المتنوعة بين إخبارية، ومسلسلات، وأفلام .كلاسيكية وحديثة ، ومسرحيات، وأغاني، وأطفال، ونسائية، ودينية، وتجارية... إلخ. وتؤدي القنوات التلفزيونية دورا مهما في التنشئة الاجتماعية، وتكوين القيم والاتجاهات عند الأفراد. بل أصبحت تنافس الأسرة في هذا الدور لاسيما في عصر ثورة المعلومات التي تضخ جرعات معلوماتية كبيرة ومكثفة. لكن هذه القنوات الفضائية ليست حارسا أميناً على ثقافة المجتمع، فليس كل ما تبثه يحث على الفضيلة، ولا تغرس في الأفراد السلوكيات والأخلاقيات التي تتماشى مع سلوكيات وأخلاقيات المجتمع، بل هي تجمع بين الحسن والسيئ. والكثير من القنوات الفضائية تفتقد إلى الموضوعية، وليس لها رسالة إعلامية هادفة، وأصبح جل اهتمامها تحقيق أكبر

قدر ممكن من الأرباح والمكاسب ولو كان ذلك على حساب القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية. لذلك وجب أن يخضع الأبناء إلى رقابة موجهة من الوالدين؛ لحمايتهم من مخاطرها، ويتم توجيههم لما فيه المنفعة والمصلحة. وحتى تحظى القنوات الفضائية باهتمام جماهيري واسع وتجعل الأفراد يجتمعون حولها وتحقق أعلى معدلات مشاهدة فإنها تتفق أموالاً طائلة تفوق الخيال. على سبيل المثال: صناعة فيلم أمريكي واحد ينفق عليه في المتوسط (٥٩) مليون دولاراً! وتعتبر السينما الأمريكية هي المهيمنة على الأسواق العالمية. وقد بينت الدراسات أن (٥٤%) مما يعرض في التلفزيونات الأوروبية هي أعمال أمريكية^١.

إذا كان هذا هو حال التلفزيونات الأوروبية التي تعتبر المنافس الرئيسي لأمريكا في مجالات التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، فما بالنا بحال الدول العربية ودول العالم الثالث التي هي في ذيل الأمم على صعيد التطور العلمي والتكنولوجي!! وهذه التبعية العربية للغرب ولأمريكا في البرامج التلفزيونية بينتها إحصاءات منظمة اليونسكو كآتي:

- التلفزيون السوري يستورد ما يقارب من ثلث إجمالي البث التلفزيوني.
- التلفزيون التونسي والجزائري يستوردان نصف إجمالي البث التلفزيوني.
- نسبة البرامج الأجنبية في التلفزيون اللبناني (٥٨.٥%)، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل أغلب هذه البرامج تعرض دون ترجمة.

^١ بتصرف عن: المنجي الزبيدي، الثقافة والمال: دراسة في مستقبل التنمية الثقافية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٣، بيروت، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣/٧، ص ٦٩.

والمتابع لما ينشر في أغلب الفضائيات العربية يجد أن برامجها السياسية والاجتماعية والاقتصادية سطحية لا تعالج قضايا المجتمع ومشكلاته الجوهرية (التموية، والاقتصادية، والسياسية، وحقوق الإنسان، والتعددية الحزبية، وحرية الرأي والصحافة، والفساد الإداري، والرشوة والمحسوبية، والأمية... إلخ) بشكل جاد. إنما تتطرق لمناقشة موضوعات هامشية ليست ذات أهمية كبيرة، وتمارس عمليات تزييف العقل والوعي الاجتماعي لدى الجماهير، فضلا عن تجميل وتقديس الرؤساء والقادة باعتبارهم أهلا للإلهام، وتوحي للجماهير بدون هؤلاء القادة ستكون مجتمعاتهم عدما ولا يستطيعوا تدبير أمورهم وسيجهون إلى الهاوية والهلاك.

أما على صعيد البرامج الترفيهية، والمسلسلات، والأفلام، والمسرحيات فإنها كلها تدور حول: (الحب والغرام، والشذوذ الجنسي، والطلاق، وعمليات التجميل، والأزياء، وتسريحات الشعر، والحميات الغذائية، وتخفيف الوزن، وإعداد الطعام). كأن كل قضايا المجتمع ومشكلاته التتموية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية قد حلت، ولم يبق أمام الفضائيات العربية إلا مناقشة ومعالجة مشكلات الحب والغرام لتبحث لها عن حل!!

وقد بينت دراسة أن نسبة البرامج الفنية والترفيهية في القنوات العربية (٢٩%)، وبرامج الأزياء والتجميل (٢٣%)^١. أي أكثر من نصف البرامج التلفزيونية العربية تتفق على أمور غير ذات جدوى، وهي مضيعة للوقت بالمقام الأول.

^١ نهى القرطاجي، عولمة قضايا المرأة في وسائل الإعلام المرئية، بحث مقدم لمؤتمر "قضايا المرأة المسلمة بين التشريع الإسلامي وبريق الثقافة الوافدة"، ١٤-١٦/٣/٢٠٠٦م، جامعة الأزهر، القاهرة، ص ٢٦-٢٧.

وأظهرت نتائج دراسة أجريت على خمسة آلاف طالبة جامعية: أن (٨٥%) من الأفلام التي يشاهدها هي أفلام جنس، و(٧٥%) من الأفلام فيها مشاهد جنسية، و(٨٥%) أفلام عنف، و(٦٨%) أفلام عاطفية، و(٢١%) أخرى، و(٦%) فقط يشاهدن نشرات الأخبار والبرامج الثقافية^١.

إن تلك المشاهد الساخنة والتبرج والسفور والعري والمجون التي تبث عبر المسلسلات والأفلام والمسرحيات والأغاني (الفيديو كليب) جعلت المشاهد العربي لا يجد فيها أي غضاضة أو إنكار. فحينما يختلي ممثل بممثلة، أو يتم تبادل القبلات والأحضان بين الممثلين، أو يجد امرأة كاسية عارية فإن الفرد لا ينكر ذلك، بل يبرره لك قائلا: زوجته.. أمه.. أخته.. حبيبته!! وبالتالي فإن مثل هذه المظاهر والسلوكيات أصبحت معتادة، وربما لا ينكرونها في أمورهم الحياتية انطلاقا من باب الحريات الشخصية وعدم التدخل في شؤون الآخرين! أيضا موضة جديدة غزت الفضائيات العربية وهي (المسلسلات المدبلجة) والتي تركت أثرا سلبيا كبيرا على الأسرة العربية. إلى جانب نشر ثقافة الرذيلة، والتفكك الأسري، والتحلل الأخلاقي. كما يوجد الأفلام والمسلسلات التي تعمل على نشر ثقافة العنف والجريمة في المجتمع، بل توجد فضائيات خصصت لهذه الأفلام وهو ما يطلق عليها أفلام (الأكشن)، أضف لها ألعاب الشبكات الكمبيوترية التي تعمل على تقوية غريزة القتل والعنف والانتقام عند ممارستها. لاسيما الأطفال..

إن تلك الأفلام والألعاب تؤثر في سلوك النشء بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث يقوم الأطفال والمراهقين بتقليد ما يبث على الفضائيات وألعاب

^١ بسام أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، مرجع سابق، ص ١٢١-١٢٢.

الكمبيوتر. وتوجد الكثير من الحوادث التي تم تسجيلها، منها ما تم احتواءه في اللحظات الأخيرة، ومنها ما لم يتم ملاحظته وترتكب الجريمة. وهذه الممارسات هي في الأصل تقليدا لأحد المشاهد التي تبث عبر المسلسلات والأفلام أو الألعاب.

ما زالت مشاهد العنف التلفزيوني تلقى قبولا كبيرا بين الأطفال، نشير إلى أن الأفلام الكرتونية تحمل في طياتها العنف، أو تشويه المفاهيم الدينية. فقد بينت دراسة أن (١٠%) من الذكور المنحرفين، و(٥%) من الإناث المنحرفات تأثروا بما يعرض في الصور المتحركة من أفعال إجرامية^١. وفي دراسة أجريت على المدارس الثانوية في قطاع غزة بينت العوامل المتعلقة بوسائل الإعلام ودورها في تنمية سلوك العنف في المدارس^٢:

- ١) مشاهدة أفلام العنف (٩٠.١%).
- ٢) متابعة برامج المصارعة والكاراتيه (٨٢.٢%).
- ٣) سماع أشرطة التسجيل الماجنة (٧٩.٤%).
- ٤) الإطلاع على مجلات الإثارة (٧٩%).
- ٥) تقمص شخصيات الأبطال في مسلسلات العنف (٧٨.٤%).
- ٦) إبراز الصحف لأخبار الجريمة والعنف (٧٣.٢%).

أما بالنسبة لألعاب شبكات الكمبيوتر فإنها مليئة بالمخاطر التي تعمل على تقوية غريزة القتل في نفوس الأطفال، فاللعبة التي تريح الطفل وتدخل السرور

^١ المرجع نفسه، ص ١٢٥.

^٢ فؤاد علي العاجز، العوامل المؤدية إلى تفشي العنف لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدارس محافظات غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٠، العدد ٢، تصدر عن الجامعة الإسلامية، غزة، حزيران ٢٠٠٢م.

على نفسه هي التي يكون فيها قتل وإراقة للدماء. فالطفل يستمتع بإلحاق الأذى بخصمه وتقطيع أوصاله والدماء تقطر من جسده، ويكون في قمة الفخر والزهو والعجب وهو يقوم بهذا التصرف. ثم يحاول تطبيق ذلك على الواقع، وهناك الكثير من الشواهد التي تدعم ذلك، ومن يتصفح المواقع الإخبارية فإنه لا يكاد يمر يوم إلا وتطالعنا بأحداث ومواقف عن الجريمة في أماكن مختلفة من العالم.

ثالثاً/ إدمان الإنترنت:

تعتبر شبكة الإنترنت صورة متقدمة من صور ثورة المعلومات، وشبكة الإنترنت لها صفة العالمية فهي تقوم على تبادل المعلومات وتخزينها. وتبين الدراسات بأن هناك إقبالاً شديداً على شبكة الإنترنت من مختلف الشرائح الاجتماعية في العالم، وكل يوم يتعاظم عدد مستخدمي الإنترنت. فقد وصل عدد مستخدميه سنة ١٩٩٦م أربعين مليون نسمة، وسنة ١٩٩٧م تجاوزوا المائة مليون، وفي النصف الثاني من سنة ١٩٩٩م بلغوا أكثر من مائتي وثلاثين مليون، وفي سنة ٢٠١١م بلغوا قرابة (٢.١) مليار مستخدم. فما بالك بأعدادهم في سنة ٢٠١٣م!!

أما على صعيد المجتمعات العربية فقد تجاوز عدد مستخدمي الإنترنت خلال الفترة الممتدة بين ١/١٢/١٩٩٨م . ١/٤/١٩٩٩م، أي خلال أربعة أشهر فقط. فقد ازداد عدد مشتركى السعودية بنسبة (١٤٠.٦%)، وفي سورية ولبنان بنسبة (٧٢.٣%)، وفي مصر بنسبة (٤٢%)، وفي الإمارات بنسبة (٣٣.٥%).

أما في فلسطين فقد بينت الإحصائيات سنة ٢٠٠٩م أن (٣٣%) من الأسر لديها إنترنت منزلي، و(٣٢.٣%) من مستخدمي الإنترنت دون سن العاشرة^١. وبحسب إحصائية حديثة صدرت سنة ٢٠١٢م عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ووزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بينت أن (٥٥%) الشباب الفلسطيني الواقعة أعمارهم بين (١٥-٢٩) سنة يستخدمون الإنترنت^٢.

وقد أظهرت دراسة أجرتها مجلة "إنترنت العالم العربي" في منتصف سنة ١٩٩٩م أن متوسط أعمار مستخدمي الإنترنت في البلدان العربية (٢٩.٩) سنة. وبلغت نسبة استخدام الإنترنت من المنزل (٧٢%)، أما نسبة استخدامه من العمل فهي (٢٢%)^٣.

وعند حديثنا عن إدمان الإنترنت ومخاطره على الفرد نبدأ بنتائج الدراسة التي قامت بها "جمعية الأطباء النفسيين الأمريكية" على خمسمائة شخص من مستخدمي الإنترنت بإفراط، حيث كانت تصرفاتهم تقارن بالأعراض المعروفة في تشخيص حالات الإدمان على المقامرة، واعتمادا على تلك الأعراض فإن (٨٠%) من الذين شاركوا في الدراسة والذين تم تصنيفهم على أنهم مدمني إنترنت، أظهروا إدمانا واضحا في سلوكهم النمطي، وكانت النتيجة النهائية التي توصلت للدراسة: "أن استعمال الانترنت بإفراط يؤدي بصورة مؤكدة إلى تدمير

^١ <http://www.developnets.net/١٣١/%D٨%B٩%D٨%AF%D٨%AF-%D٩%٨٥%D٨%B٣%D٨%AA%D٨%AE%D٨%AF%D٩%٨٥%D٩%٨٨-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٩%٨٦%D٨%AA%D٨%B١%D٩%٨٦%D٨%AA-%D٩%٨١%D٩%٨٨-%D٩%٨١%D٩%٨٤%D٨%B٣%D٨%B٧%D٩%٨٨%D٩%٨٦>

^٢ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني،

^٣ <http://www.pcbs.gov.ps/site/٥١٢/default.aspx?tabID=٥١٢&lang=ar&ItemID=٧٩١&id=٣٩١٥&wversion=Staging>

بتصرف عن: بشار عباس، العرب والإنترنت.. الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، نقلا عن موقع:

<http://www.arabcin.net/arabiaall/studies/arabandinternet.htm>

الحياة الأكاديمية والاجتماعية والمالية والمهنية بالطريقة نفسها التي تقوم بها أشكال الإدمان الأخرى مثل: المقامرة والكحول والمخدرات^١.

من النتائج السلبية المترتبة على إدمان الإنترنت: تفتيت وإضعاف شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة، حيث يصيبها الوهن والفتور، إذ يقضي أفراد الأسرة . لاسيما الشباب والأطفال . أغلب أوقاتهم في تصفح المواقع الإلكترونية، وفي الغالب يفضلون العزلة الاجتماعية وقضاء الوقت مع الألعاب على شبكة الإنترنت، أو التنقل بين المواقع الإلكترونية، أو تفضيل التخاطب مع الآخرين من خلال المحادثات على الشات، والمانجر، ومواقع التواصل الاجتماعية، والمنتديات، والمجتمعات الافتراضية كالفيس بوك والتويتر، وكل هذا يتم تفضيله على حساب العلاقات الاجتماعية المباشرة.

وهناك العديد من الأفراد الذين يسيئون استخدام الإنترنت وذلك من خلال متابعة المواقع الإباحية والداعرة التي تنتشر ثقافة الفحش والرذيلة والتحليل الأخلاقي والقيمي بين أفراد المجتمع، لاسيما وأن المجتمعات العربية التي تقوم على الكبت الجنسي، وتعتبر مناقشة موضوعات الثقافة الجنسية من المحرمات الاجتماعية التي لا يجوز الحديث فيها أو الاقتراب منها، الأمر الذي يدفع الأفراد للبحث عن إجابة على تساؤلاتهم وإشباع غرائزهم بطرق غير مشروعة ومن بين هذه الصور: زيارة المواقع الإباحية، أو مشاهدة الأفلام الإباحية على الأقراص المدمجة.

^١ مجهول المؤلف، الإدمان على الإنترنت.. ملاحظات، نقلا عن موقع:
<http://www.s.o.com/vb/showthread.php?t=٢٤٤٣٩>

تفيد الإحصاءات أن (٦٣%) من المراهقين الذين يرتادون المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت دون أن يدري بهم أولياء أمورهم. وأكثر مستخدمي المواقع الإباحية تتراوح أعمارهم بين (١٢-١٧) سنة. ولا يخفى على أحد هذه المرحلة العمرية (المراهقة) تعتبر بمثابة منعطف تاريخي هام وخطير في حياة الفرد، وإن لم تكن هناك مراقبة ومتابعة أسرية يمكن للفرد أن ينحرف إلى غير رجعة^١.

رابعاً/الاستخدام السلبي للجوال:

يعتبر الجوال من وسائل الاتصال المهمة التي اختزلت مسافات المكان والوقت. وللجوال العديد من الإيجابيات على صعيد العمل، والعلاقات الاجتماعية، لما يتمتع به من مزايا تكنولوجية متقدمة. إلا أن الجوال مثل بقية الاكتشافات التكنولوجية مثلما له إيجابيات له سلبيات. في هذا المقام لن أتحدث عن سلبيات الجوال على صعيد الصحة فهناك الكثير من التحذيرات الطبية التي تحدثت عن ذلك، وسيقتصر حديثي عن سلبيات الجوال على صعيد الأسرة والعلاقات الاجتماعية.

من اللافت للنظر أن الجوال أصبح في متناول أغلب الأفراد . من كافة الشرائح الاجتماعية والمراحل العمرية .، لسهولة اقتنائه ورخص ثمنه. وأكد أجزم أن لكل فرد في الأسرة جوالاً خاصاً به، سواء كان بحاجة له أو ليس له به حاجة. ويعتبر الجوال بالنسبة للبعض من الكماليات ومدعاة للتفاخر بين الزملاء والأقران. كون أن عالم الجوال في تطور مستمر، ففي كل فترة قصيرة يخرج تصميم وجيل جديد من الجوالات أحدث من سابقه، مما يدفع هوة الجوالات إلى

^١ بسام أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، مرجع سابق، ص ١٢٥.

متابعة كل ما هو جديد واقتناه، وهو يعني (سلوك ثقافي استهلاكي)، وغالبا ما يكون هذا السلوك على حساب الحاجات الأساسية.

الملاحظة الأخرى أن الكثير من الأطفال الذين في سن الطفولة والمراهقة يفتنون أجهزة الجوال ولا يستخدمونها بشكل السليم، فيلجئون إلى تعبئة جوالاتهم بالأغاني الهابطة، ومقاطع من الأفلام والمسلسلات الخليعة التي يتم تبادلها عبر البلوتوث، ناهيك عن معاكسة الفتيات، والأسر، ومكاتب الإسعافات، وأجهزة الدفاع المدني، ومراكز الشرطة - عن طريق الأرقام المجانية - في فترات متأخرة من الليل. أو استخدام الجوالات نوات الكاميرا لتصوير الآخرين وترويج هذه اللقطات، وتستخدم تلك الصور والتسجيلات وسيلة للابتزاز من أجل تحقيق مكاسب خاصة، أو القيام بمواقف كيدية ومؤامرات للإضرار بالآخرين. وفي ذلك هتك لستر وأسرار الناس.

ومن سلبيات الجوال أيضا أنه يؤثر سلبا على العلاقات الاجتماعية، فنجد في العديد من المناسبات الاجتماعية والدينية كشهر رمضان، أو عيد الفطر، أو عيد الأضحى، أو الدعوة للأفراح، أو التهئة بمولود، أو التعزية يكتفي البعض بإرسال رسالة جوال قصيرة (SMS) بدلا من الزيارات الاجتماعية، لتكفيه عنت الزيارة وتكاليفها المادية. وكأنه بهذه الرسالة أدى الواجب الاجتماعي المطلوب منه تجاه الأقارب والأصدقاء.

كذلك تم توظيف الجوال ورسائله القصيرة بشكل سلبي في زعزعة الاستقرار الأسري، وقد وصل التهاون بالحياة الأسرية إلى الحضيض حيث يقوم بعض الأزواج بإرسال رسالة جوال قصيرة تحتوي على يمين طلاق لزوجته، أو العكس أن تقوم الزوجة بطلب الطلاق عبر رسالة جوال!

خامسا/ التكنولوجيا تسهل تجارة البغاء :

في تقرير صادر عن وكالة المخابرات الأمريكية بيّن أن أكثر من خمسين ألف امرأة وطفل تدفع بهم عصابات المافيا إلى السوق الأمريكية سنويا، وهم فقراء من قارات (آسيا، وأفريقيا، وشرق أوروبا). المحطة الأخيرة التي يرسون فيها هي دور الدعارة، أو العمل في المصانع بأجور متدنية، أو المساهمة في تهريب المخدرات. وفي تقرير آخر صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية يؤكد ما ذكر آنفا. وفي الهند توجد حوالي ثمانمائة ألف امرأة ترغم على ممارسة الدعارة، ومثل هذا الرقم في تايلاند، والفلبين، وكمبوديا، وبعض الدول الأفريقية^١.

طرق للوقاية من سلبيات التكنولوجيا:

١. ترشيد ساعات استخدام الإنترنت: بتحديد أوقات خاصة للكبار، أما الصغار يجب أن يخضعوا لرقابة الكبار؛ لحمياتهم من زيارة المواقع المخلة بالآداب أو التي تدعو للتطرف الفكري.
٢. ترشيد ساعات استخدام الصغار للقنوات الفضائية: يجب أن يكون هذا الاستخدام خاضعا لرقابة الوالدين والكبار في الأسرة؛ لحمياتهم من مشاهدة ومتابعة الأفلام الخليعة والأغاني الهابطة والمشاهد الساخنة.
٣. التوعية والتوجيه والتنقيف الأسري والمجتمعي عن مخاطر الإنترنت والجوالات والتقنيات الحديثة عموما على صعيد الصحة، والحياة الاجتماعية والنفسية. وأن يبيّن طرق الاستخدام السليمة لها من خلال وسائل الإعلام، والحملات التوعوية.

^١ بتصرف عن المرجع نفسه، ص ١٣١-١٣٢.

٤. أن تحرص الأسرة على عدم منح الأبناء جوالاً قبل إتمام المرحلة الثانوية، أي قبل سن الثامنة عشر، لأن الطفل دون هذا السن ليس بحاجة للجوال، ولأنه في هذا السن قد يسيء استخدام الجوال مما يترتب عليه مشكلات للفرد نفسه ولأسرته.
٥. السماح للأبناء بممارسة ألعاب شبكات كمبيوترية خالية من العنف: حيث توجد الكثير من الألعاب التي تنمي الذكاء والمهارات وإبداعات الطفل.
٦. ترشيد الإنفاق والاستهلاك الأسري بما يتماشى مع الحالة الاقتصادية لرب البيت، وعدم الاهتمام بالكماليات على حساب الحاجات الأساسية.
٧. العمل على الاستفادة من الجوانب الإيجابية للتقنيات الحديثة، والابتعاد عن الجوانب السلبية، فالتقنيات الحديثة ليست كلها إيجابية وليست كلها سلبية، إنما يتوقف درجة إيجابيتها وسلبيتها على كيفية استخدام الفرد لها.

الفصل السادس

مهارات زوجية

العوامل المؤثرة في السعادة الزوجية:

القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الحياة الزوجية هي (المودة والرحمة). إلا أنه من الصعب تصور الحياة الزوجية في حياتنا المعاصرة . التي تكثر فيها الضغوط، والأزمات، والمشكلات، والالتزامات . في شكل مثالي خالية من المشكلات، والخلافات، والمنغصات التي تتعدد أسبابها. التي قد تكون اقتصادية، أو اجتماعية، أو نفسية . مزاجية، أو بيولوجية، أو تدخلات الأقارب... إلخ. هذه الخلافات بدورها تنعكس سلبا على العلاقات الزوجية فتعكر صفوها، وتهز استقرارها، وتصدّع بنيانها. ويقع على الزوجين الدور الأكبر في حماية المؤسسة الزوجية من أية شوائب أو مؤثرات سلبية خارجية. من خلال الصفحات التالية سنعرض بعض المهارات الزوجية التي تساهم في تحقيق السعادة الأسرية، وتحافظ على الاستقرار الأسري.

١. تحديد هدف الزواج:

كل شاب وشابة مقبل على الزواج أن يسأل نفسه: لماذا أريد أن أتزوج؟

- هل سأتزوج من أجل أن أشبع رغبتي الجنسية؟
- هل سأتزوج لأحمي نفسي من الوقوع في الفاحشة والزيلة؟
- هل سأتزوج بهدف الإنجاب وأشبع عاطفة الأبوة والأمومة؟
- هل سأتزوج لأن الزواج عادة اجتماعية؟
- هل سأتزوج لأكمل نصف ديني، ولأن ديننا يحث عليه؟

بناء على إجابته على تلك الأسئلة يحدد مستقبل حياتك الأسرية.

٢. الفتاة والشاب اللذان يصلحان أن يكونا زوجان:

- ليست كل فتاة تصلح أن تكون زوجة، وليس كل شاب يصلح أن يكون زوجا. حتى نتأكد من صلاحيتهما للزواج لابد من توفر مجموعة الشروط:
- إجراء الفحوصات المخبرية للتأكد من السلامة الجسدية، والخلو من الأمراض المزمنة والوراثية.
 - التقارب والتكافؤ في المستوى التعليمي، والحالة الاقتصادية، والمركز الاجتماعي، والعمر.
 - معرفة الحقوق والواجبات الزوجية.
 - حرية اختيار شريك الحياة، بناء على رغبة دون إكراه أو إجبار.

٣. الاتفاق على الخطوط العريضة للحياة الأسرية قبل الزواج:

لم توضع فترة الخطبة عبثا، إنما ليفهم كل من الزوجين بعضهما جيدا. لذلك فإنه من المفترض ألا تقضى كل فترة الخطبة في النزعات، والمجاملات. بل يجب ترك مساحة للنقاش الهادف والحوار الجاد حول مستقبل الأسرة، ورسم صورة مستقبلية لها بعيدا عن الخيال والأحلام. لأن هذا من شأنه أن يمنع الصدام والخلاف بعد الزواج، ويمكن كل منهما فهم الآخر في طريقة تفكيره، ونظراته وتقييمه للأمور.

من الأشياء التي يجب الاتفاق عليها قبل الزواج:

- مكان الإقامة: هل سيقومان في بيت العائلة، أم في بيت مستقل؟، هل سيكون البيت ملك أم إيجار؟.
- اقتصاد الأسرة: كيفية الإنفاق، والتخطيط لموارد دخل الأسرة، والإدخار.

- عمل الزوجة: إن كانت الزوجة عاملة، هل سيسمح لها بالعمل بعد الزواج؟، وإن سمح لها بالعمل ما هو مصير الراتب الذي تتقاضاه؟.
 - طبيعة العلاقات مع الأقارب، والزيارات وصلة الرحم.
- كل ذلك من شأنه أن يساهم في تقريب وجهات النظر ويقلل من فرص الخلافات الزوجية.

ومن أفضل ما قرأت حول اتفاق الزوجين على الخطوط العريضة للحياة الأسرية ما روي عن حوار دار بين (شريح القاضي)^١ و(الشعبي)^٢ ذات يوم. سأل الشعبي شريحا عن حاله في بيته فقال: منذ عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي!

قال الشعبي: وكيف ذلك؟!

قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً، قلت في نفسي: سوف أتطهر وأصلي ركعتين شكراً لله، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي. فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدي نحوها. فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، أما بعد: إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فأتيه، وما تكره فأتركه. وقالت: إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائك، وفي قومي من الرجال من هو كفاء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك

^١ تولى القضاء في الكوفة على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال عنه علي بن أبي طالب: "هو أفضى العرب".

^٢ هو عامر بن شراحيل، ولد في الكوفة على عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

به الله، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي
وذلك.

قال شريح: فأحوجتني . والله . يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت:
الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على النبي وآله وسلم، وبعد: فإنك قلت كلاماً
إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدّعيه يكن حجة عليك. أحب كذا وكذا،
وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فأنشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها.

فقال: كيف محبتك لزيارة أهلي؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

فقال: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فأذن له، ومن تكره فأكره؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء .

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، فمكثت معي عشرين عاماً لم أعقب عليها

في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالماً^١.

لا يعني الكلام السابق أن حياة شريح وزوجته كانت خالية تماماً من
الخلافات والمشكلات الأسرية الجانبية والصغيرة. هذه مسألة لا بد منها، وأمر
مفروغ منه. لكن ما قصده شريحا أنه لا يوجد في حياتهما ما يهدد الاستقرار
الأسري بما أنهما اتفقا من البداية على الخطوط العامة لحياتهما الأسرية.

^١ مجهول المؤلف، أسهل الطرق إلى السعادة الزوجية، مكتبة صيد الفوائد،

<http://www.saaid.net/mkatarat/alzawaj/٤٦.htm>

٤. البحث عن اهتمامات مشتركة:

أغلب المشكلات الزوجية تكون بسبب الاختلاف في الأهداف، والطباع. وعدم إشباع الحاجات المشتركة للزوجين، ويقوم كل منهما بإشباع حاجاته ويتجاهل حاجات الطرف الآخر، أو يمدح إنجازاته ويتجاهل إنجازات شريكه. من أيسر الطرق للتخلص من تلك المشكلات، هو أن يبحث الزوجان عن نقاط التقاء مشتركة بينهما مثل: التخطيط لمستقبل الأسرة، والإنجاب، وأسلوب تنشئة الأبناء، وكيفية إدارة نفقات البيت، وتنظيم الرحلات والنزهات... إلخ.

٥. المرونة والرفق واللين في التعامل:

إذا كان الزوجان يتناقشان في قضية ما، ولم يتفقا في الطرح والرؤى والأفكار والاتجاهات. لا يجوز لهما أن يتصلبا عند رأييهما حتى لا تبيس المناقشة، ويحتد الكلام فيخرج من دائرة الحوار ويدخل في دائرة الجدل وكيل الاتهامات. لذلك لابد من ترك مساحة للمرونة واللين والرفق في النقاش، والإصغاء عند تبادل الآراء والمعلومات ووجهات النظر. فالمسألة ليست حربا يخوضها الزوج ضد زوجته أو العكس. والمرونة لا تقاس بمقياس غالب ومغلوب. وفي كل الأحوال يجب تغليب مصلحة الأسرة على أية مصالح فردية. وقد حث الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن يعامل الناس بالرحمة واللين، وبين له مغبة سلوك الغلظة والشدّة في التعامل مع الناس وهي الابتعاد عنه ونمو كرهه في قلوب الناس. فقال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}.

وقد بشر رسول الله ﷺ المتسمين بالمرونة في التعامل بتحريم أجسادهم على النار. فقال: "ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ على كلِّ هينٍ لينٍ قريبٍ سهلٍ"^١.

وجاءت التوجيهات النبوية إلى عائشة رضي الله عنها بأن تعامل الناس بالرفق وتبتعد عن العنف، وبيّن لها سبب دعوته للرفق؛ لأنه سلوك محبب إلى الله تعالى، ويجب على المؤمنين أن يأتوا بالسلوكيات المحببة إلى الله تعالى. فقال: "إنَّ اللهَ رقيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ، ويُعطي على الرِّفْقِ ما لا يُعطي على العنفِ، وما لا يُعطي على ما سواه"^٢.

وفي موضع آخر قدّم رسول الله ﷺ لعائشة درسا نبويا في الرفق واللين عند التعامل مع الآخرين . حتى لو كان هذا الآخر من أشد الأعداء .: "أن اليهود أتوا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: السامُ عليك، قال: (وعليكم). فقالت عائشةُ: السامُ عليكم، ولعنكمُ اللهُ وغضبَ عليكم. فقال رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مهلاً يا عائشةُ، عليكِ بالرفقِ، وإياكِ والعنفَ، أو الفُحشَ). قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: (أو لم تسمعي ما قلتُ، ردّدتُ عليهم، فيستجابُ لي فيهم، ولا يُستجابُ لهم فيّ)^٣.

وبيّن رسول الله أن معاملة الرفق واللين بين أفراد الأسرة هو من علامات الخيرية التي أرادها الله تعالى لأهل هذا البيت. فقد قال لعائشة رضي الله عنها: "ارزُقِي؛ فإنَّ اللهَ إذا أرادَ بأهلِ بيتٍ خيراً أدخلَ عليهمُ الرِّفْقَ"^٤.

^١ السيوطي، مرجع سابق، ٢٨٦٣.

^٢ صحيح مسلم، ٢٥٩٣.

^٣ صحيح البخاري، ٦٤٠١.

^٤ الألباني، صحيح الترغيب، ٢٦٦٩.

في المقابل من لم يكن في قلبه حضا وافرا من الرفق واللين والرحمة في التعامل مع الآخرين فقد حرم خيرا كثيرا بنص حديث رسول الله ﷺ: "من حُرِمَ الرَّفْقُ حُرِمَ الْخَيْرُ"^١.

٦. الطاعة والعفة والطهارة:

لقد قدم رسول الله ﷺ بشرى سارة ومكافئة عظيمة للزوجات إن توفرت فيهن الصفات الأربعة الآتية:

- أ. الحفاظ على أداء الصلوات الخمس المكتوبة على وقتهن.
- ب. الحفاظ على صيام شهر رمضان.
- ج. أن تحصن الزوجة نفسها، ولم تقم بأية علاقة خارج مؤسسة الزواج.
- د. بر الزوج وطاعته.

ونص الحديث: "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها. قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت"^٢.

فإذا كانت الزوجة سالحة، وأتت من بيت صالح سيكون لها دورا بارزا في هداية زوجها وتنشئة أولادها تنشئة صحيحة. فالزوجة هي الدرع الأمن والحصن المتين الذي يحافظ على البيت من التصدعات، والتشققات، والخلافات، والانحرافات. كما أنها تساهم في بقاء سحابة السعادة والمودة مخيمة فوق سماء الأسرة. أما إذا تربت الزوجة على حب الذات، والأنانية والتتكّر للآخرين، وإهمال الجانب الأخلاقي، وضعف الوازع الديني، وتنمية السلوك الاستهلاكي الإسرافى والتبذيري فإن ذلك يسارع في انهيار وتفتت الاستقرار الأسري.

^١ صحيح مسلم، ٢٥٩٢.

^٢ الألباني، صحيح الجامع، ٦٦٠.

إن الواقع الفلسطيني يشهد على حالات كثيرة ساهمت فيها الزوجة في هداية زوجها وحمايته من الضلال والانحراف، وكيف كانت مؤتمنة على بيتها في غياب زوجها . لاسيما إن كان الغياب قسرا بالإبعاد، أو السجن لسنوات طويلة . وكيف أحسنت تربية أبنائها على موائد الإصلاح والورع والتقوى والإيمان . ويشهد الواقع الاجتماعي الفلسطيني كذلك على حالات على عكس ذلك تماما، كيف كانت الزوجة معول هدم وساهمت في تدمير الأسر الآمنة بسبب جهلها، وضعف الوازع الديني، وعدم حفظ الأمانة التي أوكلت لها.

٧. لا تغضب .. لا تغضب:

الناس ليسوا سواء في انفعالاتهم وردود أفعالهم على المواقف الاجتماعية التي يمرون فيها. فنصف سريع الغضب . لدرجة أنه لا يدري بما يهذي في حالة الانفعال والغضب .. ونصف يتصف بالحكمة والعقلانية. ونصف ثالث يتأرجح بين الصنفين السابقين، أي يفعل حيناً ويتأنى حيناً آخر. تلك هي الجبلية التي جبل الله الناس عليها. لذلك فإن الله تعالى حث رسوله محمد ﷺ على بممارسة سلوكيات حسنة والتحلي بأخلاقيات العفو والإفصاح والإعراض عن الجاهلين الذين يمكن أن يكونوا سببا في انفعاله وغضبه. فقال: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}¹.

قال عَرَفَ رسول الله ﷺ الرجل القوي ذو البأس الشديد بأنه ليس الذي يتمتع بالبنية الجسدية القوية والعضلات المقتولة والذي لا يستطيع أن يغلبه أحداً، إنما هو الذي يتمالك نفسه لحظة الغضب والانفعال وإن كان صاحب بنية جسدية

¹ الأعراف، ١٩٩.

هزيلة. فقال: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وعليه"^١. ويقولون في الحكيم: "إن كنت تغضب لأتفه الأمور، فهو يعكس انطبعا عن حجم عقلك".

بناء على ما سبق: فإن الزوجين مطالبين أكثر من غيرهما للحفاظ على الاتزان والضبط الانفعالي، والهدوء في حواراتهما وفي حياتهما بشكل عام، وعدم الانجرار وراء الغضب لأتفه الأمور.

إن الحفاظ على الاتزان الانفعالي بشكل دائم هو ضرب من ضروب الخيال؛ لأن حياتنا مليئة بالضغوطات اليومية والوظيفية والأسرية، ولا تخلو من خلافات، ومنغصات، ومسببات للغضب. لكن يجب أن يتفق الزوجان من البداية على كيفية التعامل مع بعضهما في حالة الغضب والانفعال الشديد. كأن تتسحب الزوجة من الموقف المسبب للغضب، وأن تزيل مسبباته، وألا تستمر في الجدل والعناد حتى لا تزيد الأمر تعقيدا والطين بلة. أو يخرج الزوج من البيت ويعود بعد أن تهدأ ثورته الانفعالية وتخدم نيران براكينه الغاضبة.

إن أفضل وصفة علاجية للغضب هي: "أن يقابل غضب الغاضب بالصمت". وليس أشد عقابا للغاضب من مقابلة غضبه ببرود وهدوء.

ليكن الزوجان كالأطفال في انفعالهم: يغضبان سريعا، ويصطلحان سريعا، ولا يبنيان خلافاتهما حتى لا تكبر وتتعمق الفجوة وتزيد الكدر. والله تعالى أثنى على كاشمي الغيظ فقال: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}^٢. وقال رسول الله ﷺ: "ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة

^١ صحيح البخاري، ٦١١٤.

^٢ آل عمران، ١٣٤.

غِيظَ كَظْمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى^١. وفي حديث آخر قال: "ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضياً يوم القيامة"^٢.

وقد قدم رسول الله ﷺ علاجاً نبوياً للغضب فقال: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع"^٣.

وقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد وصفاً نبويةً تهديه إلى طرق الصواب وتدنيه من جنة الرحمن. فتفاجئ بجواب رسول الله ﷺ حينما قال له: (لا تَغْضَبْ). فردّد مراراً، قال: (لا تَغْضَبْ)^٤.

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يضع قاعدة من قواعد الحياة الزوجية السعيدة، ومهارة يحتاج إليها كل الأزواج والزوجات في علاقاتهم. حيث بيّن لها كيفية التعامل مع بعضهما إذا غضب أحدهما من الآخر. فقال: "إذا رأيتني غضباناً فرضني، وإذا رأيتك غضباناً رضيتك، وإلا لا نعيش بعد اليوم أبداً". ويقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في ثورتني حين أغضب

ويقول آخر^٥:

وعين البغض تبرز كل عيب وعين الحب لا تجد العيوباً

^١ السيوطي، مرجع سابق، ٨٠١٨.

^٢ الألباني، صحيح الجامع، ١٧٦.

^٣ السيوطي، مرجع سابق، ٧٦٩.

^٤ صحيح البخاري، ٦١١٦.

^٥ ناييف بن أحمد الحمّاد، الغضب: آداب وأحكام، صبيد الفوائد،

٨. التقارب والتكافؤ بين الزوجين:

ينصح الرجل والمرأة ألا يتعجلا في مسألة طلب الزواج، وأن يتزوج كلا منهما من شخص آخر يختلف عنه في: الاهتمامات، أو الطباع، أو طريقة التفكير، أو المستوى التعليمي، أو الحالة الاقتصادية، أو المركز الاجتماعي، أو البيئة الاجتماعية. فكلما تقارب الزوجان في المحاور السابقة، كلما ساعد ذلك في توفير أجواء حياة زوجية سعيدة قوامها التفاهم، والتقارب، والتناغم. وإن كان الفارق كبيرا والفجوة واسعة انقلبت الحياة الزوجية إلى حلبة صراع زوجي، وجحيم لا يطاق، وعلى شفا بركان سينفجر في أي لحظة فقدان ثقة، وستعرض الأسرة إلى هزات عنيفة، وقد تنتهي بما لا يحمد عقباه (الطلاق).

٩. الصراحة والوضوح:

الصراحة والوضوح صفتان مطلوبتان في كل وقت وفي كل حين، وأن تكون بين الأزواج بشكل دائم ومستمر. ومطلوبتان بشكل أشد في فترة الخطبة، وأيام الزواج الأولى.

ينصح الزوجين من البداية أن يوضح كلا منهما للآخر ما يحب، وما يكره، وما يسعده، وما يغضبه. فهذه الأمور ترسم الخطوط العامة للحياة الزوجية، بحيث يفهم كل من الزوجين الآخر. ويجعل الزوج يتعامل بمرونة، ويتقهم طبيعة زوجته، ويأخذ في الاعتبار حالتها المزاجية والانفعالية. أما إن كان الزوج جاهلا بعيوب زوجته، ربما تصرف بردود أفعال تزيد الطين بله، وتعمق من الفجوة، وتوسع من دائرة الخلاف بدلا من العلاج. كذلك الحال بالنسبة إلى الزوجة يجب أن تكون متفهمة لطباع زوجها.

هذا الحديث يبين لنا كيف كان رسول الله ﷺ عارفا ومشخصا بشكل جيد لنفسية وشخصية زوجته عائشة رضي الله عنها. إذ قال لها: "إني أعرف غضبك إذا غضبت، ورضاك إذا رضيت. قالت: وكيف تعرف؟ قال: إذا غضبت قلت: يا محمد، وإذا رضيت قلت: يا رسول الله".^١ وفي رواية أخرى: "إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت عليّ غضبي. قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضيةً، فإنك تقولين: لا، وربّ محمد! وإذا كنت غضبي، قلت: لا، وربّ إبراهيم! قالت: قلت: أجل. والله يا رسول الله ما أهرج إلا اسمك".^٢

أي أن عائشة رضي الله عنها في حالة غضبها كانت تنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه فقط (محمد) أو تحلف برب إبراهيم عليه السلام، وإن كانت راضية عنه كانت تناديه بأحب الأسماء إليه (يا رسول الله). فعائشة رضي الله عنها لم تكن تهجر من زوجها إلا مناداته باسمه فقط.

١٠. لتبقي شمعة الحب مضيئة:

الحب هو سر ديمومة السعادة الزوجية، ولا يمكن أن تستمر سعادة الزوجين إلا بتجديد حبهما بين الفترة والأخرى بطرق وأساليب مختلفة ومتنوعة. لكن الملاحظ أن الكثير من الأزواج والزوجات مع مرور سنوات معدودة على الزواج، أو قل بضعة أشهر يبدأ ضوء شمعة حبهما في الخفوت، وتذبل وردة حبهما، وتكاد تتجمد مشاعرهما الرقيقة وعواطفهما الدافئة، بإدعاء (باطل) أنهما كبرا

^١ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦٩/٢.

^٢ صحيح مسلم، ٢٤٣٩.

على الحب، ومن العيب أن يتحدثا في موضوعات الحب والغزل وتبادل المشاعر خشية أن يسمعهما الأبناء والأولاد الصغار .

إن تلك الاعتقادات الخاطئة تعشش في أذهان الأزواج . لاسيما ذوي التعليم المتدني، والثقافة السطحية، والفهم الديني المغلوط ..

إن مشاعر الحب لا تعترف بمرحلة عمرية محددة، فهي موجودة في كل المراحل العمرية (الطفولة، والمراهقة، والشباب، والكهولة، وأرذل العمر). فهي تنمو وتكبر وتترعرع في أجواء الدفء العاطفي والمودة والرحمة. والتعبير عن الحب له صور متنوعة، ولا يقتصر على صورة واحدة. يمكن التعبير عنه بلغة الجسد كنظرة عين حانية، أو بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة، أو الهدايا الرمزية المعبرة، أو بكلمة مفعمة بالمشاعر، أو لمسة يد ناعمة، أو بيت شعر، أو سهرة خارج البيت بدون الأطفال، أو تذكر أيام زواجهما الأولى أو أي من الذكريات الجميلة المحفورة في الذاكرة... إلخ.

ولم يكن رسول الله ﷺ يتحرج من التعبير عن حبه لزوجاته أمام صحابته رضي الله عنهم. فقال في فضل عائشة رضي الله عنها: "فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام"^١. وكان يعبر عن حبه لخديجة رضي الله عنها، فيقول: "إني قد رزقتُ حُبَّها"^٢.

أما في زماننا فإن أحدنا يخجل من مجرد ذكر اسم زوجته أمام أصدقائه، بل يستخدم بعض التلميحات التي فيها انتقاصا وتقليلًا لقيمة وكرامة الزوجة في بعض الأحيان، كقولهم: (أم العيال، والحرمة، والولية)، بل أن بعضهم يسجل

^١ صحيح البخاري، ٥٤١٩.

^٢ صحيح مسلم، ٢٤٣٥.

اسم زوجته بمسميات ساخرة في الجوال كقولهم: (الحكومة، الشرطة، الداخلية، غلطة عمري... إلخ).

١١. الفروق الفردية بين الزوجين:

(شخصية الزوجة ليست هي شخصية الزوج، وشخصية الزوج ليس هي شخصية الزوجة). فلكل من الزوجين طباعه وشخصيته المختلفة، فقد جاء من أسر مختلفة في طريقة التنشئة الاجتماعية، والخبرة الحياتية، ونوعية الأصدقاء، وكيفية إدارة الحياة... إلخ. لذلك يجب على الزوجين أن يقدر الفروق الفردية بينهما. فلا تتوقع الزوجة أن يكون زوجها نسخة كربونية منها، أو تراه كأبيها أو شقيقها في نظرتهم إلى الحياة، أو تقديره للمواقف الاجتماعية. وكذلك الحال بالنسبة إلى الزوج لا يتوقع من زوجته أن تكون كأمه أو أخته. فلكل من الزوجين رؤيته الخاصة للأمور، وثقافته، ومستواه الفكري، وحالته المزاجية، وتركيب شخصيته. وعلى الزوجين أن يقدر ذلك ويضعاه في الاعتبار عند التعامل.

إن الكثير من المشكلات الأسرية المعاصرة هي بسبب محاولات كل من الزوجين أن يبسط نفوذه وسيطرته على الآخر، على اعتبار أنه الصواب، وأنه الأفهم للأمور الحياة ومشكلاتها.

١٢. الخلافات الأسرية لا يعني انهيار الأسرة:

ضرب من ضروب الخيال أن يسود الاعتقاد بأنه توجد أسرة على وجه الأرض مذ خلق الله الخلق إلى قيام الساعة بدون خلافات زوجية. فالخلافات متوقعة حدوثها بين الأزواج في أي لحظة، ولأي سبب. لكن حكمة الأزواج تأتي

عند وقوع الخلاف في تضيق مساحة الخلاف، وتطويق المشكلة ومحاصرتها لثلاثا تمتد أكثر.

إن الخلافات بين الزوجين لا تعني انهيار كيان الأسرة، وصعوبة استمرارية الحياة الزوجية. يمكن للزوجين تعلم الدروس والعبر من أسباب الخلاف، والنتائج المترتبة عليه، لتلافيها في المرات اللاحقة. فهذه الخلافات تجدد الحب وتقرب المسافة أكثر بين الزوجين خاصة في سنوات الزواج الأولى. إن تعلم الزوجان من خلافاتهما .. أما إن مرا عنها بشكل عابر فإن كثرتها ستعمق الفجوة وتجعل حياتهما لا تطاق.

١٣ . تجنب الجدل والنقاش العقيم، واستبدلها بالحوار الهادف والجاد:

الناس ليسوا صنفا واحدا، بل يتعددون ويتنوعون بتعدد وتنوع أهوائهم، وأمزجتهم، وطباعهم، وأخلاقهم، وفكرهم، وثقافتهم، وبيئتهم الاجتماعية، ومستواهم التعليمي، ومستواهم المعيشي. الأمر الذي يجعل من الحوار أمرا لا بد منه في كل شأن من شؤون الحياة حتى يتمكنوا من الوقوف على أرضية مشتركة، ونقاط اتفاق حول الموضوع المثار للنقاش. والزوجان هما أولى من غيرهما بإتباع أسلوب الحوار عند مناقشة مختلف القضايا الأسرية.

من يلاحظ ما يدور بين أغلب الأزواج والزوجات من حديث هو جدال وليس حوار. ولا يخفى على أحد أنه يوجد فرق كبير بين (الجدل والحوار). فالجدل هو: حالة من الصراع والافتتال الكلامي. إن جاز التعبير، فكل طرف من أطراف الحوار يريد أن يثبت صحة وصوابية رأيه، ويسعى جاهدا كي يدحض فكرة الطرف الآخر. دون أن يكون نقاشا هادئا ومعبرا. أما الحوار فهو: يركز

على حاسة السمع، ويقلب الأمور بمنطق العقل الحكيم، ويبيّن ما إن كانت هناك إمكانية للاتفاق أو الإقناع. لكن هذا الحوار تعترضه بعض العقبات والعراقيل.

معوقات تطبيق الحوار في الحياة الأسرية:

أ. الإيمان بالرأي الواحد: ويكون في أغلب الأحيان هذا الرأي للزوج، أو الابن الأكبر أثناء غياب الأب، أو الأم أثناء غياب السابقين. مما يعني عدم الالتفات لأي رأي لا يتماشى مع رأي أولئك نفر.

ب. الحوار الشكلي والسطحي: إن حدث حوار يبدأ هادئاً، ثم سرعان ما ينتقل إلى الجدل والصراخ، وفي النهاية يكون ما يريده الطرف الأقوى.

ج. الانشغال الدائم وعدم التفريغ وعدم الاهتمام بمسألة الحوار الأسري.

د. الفهم الخاطئ عند بعض الأزواج بأن الحياة الأسرية تعني إيفاء كل طرف بواجباته المادية. أي يقوم الزوج بتوفير الدخل، والإيفاء المتطلبات الأسرية من طعام، وكساء، وشراب، وسكن. وقيام الزوجة بالأعمال المنزلية من كنس، وطهي، وغسل، وتربية.

إن ما ذكر سابقاً هو وجه من وجوه الواجبات الزوجية، لكن هناك واجبات أخرى من بينها جلسات الحوار الأسري. ومن أفضل الطرق للخروج من مأزق فقدان جلسات الحوار الأسري: الاتفاق على تحديد يوم في الأسبوع، وليكن يوم الجمعة مثلاً، باعتباره يوم الإجازة الأسبوعية وكل أفراد الأسرة يكونون في إجازة وليس لديهم أية التزامات وظيفية. أو تحديد يوم في الشهر لقضائه في رحلة ترفيهية، ويكون مخصص لمناقشة القضايا الأسرية. إن جلسات الحوار الأسري

ليست عبثاً، ولا مضيعة للوقت، بل لها ثمار طيبة تعود بالنفع على كل أفراد الأسرة، منها:

- ❖ احترام شخصية وعقلية أطراف الحوار.
- ❖ منح أطراف الحوار حرية التعبير وعدم الحجر على آرائهم، أو التمسك بالرأي الواحد، أو الرأي المسبق.
- ❖ تنمية الثقة في نفوس أطراف الحوار.
- ❖ توظيف مهارة العصف الذهني، التي تمكن أطراف الحوار بالنظر إلى الموضوع من أكثر من جانب، بدلاً من التركيز على جانب واحد، أو تقييمه برؤية أحادية الجانب.
- ❖ تنمية مهارة حل المشكلات عند أطراف الحوار من خلال جلسات الحوار الأسري المتكررة.
- ❖ كسر حاجز الخوف عند مواجهة المواقف الاجتماعية في البيئة المحيطة، أو عند طلب المساعدة من الآخرين في حل مشكلة أسرية ما كاختيار التخصص العلمي، أو اختيار شريك الحياة... إلخ.

باختصار، على الزوجين أن يبحثا على نقاط الالتقاء التي تجمعهما ولا تفرقهما، والابتعاد قدر الإمكان عن مواضع الخلاف والتنافر.

إن حدث نقاش بين الزوجين حول موضوع ما ولم يتفقها، وتعارضت وجهات النظر. يفضل الابتعاد عن الجدل العقيم والنقاش غير المجد وإنهاء الجلسة، ومعاودة النقاش في وقت آخر يكون قد توفرت فيه مقومات الحوار الهادف والمثمر، والبحث عن النقاط المشتركة والانطلاق منها في الحوار. ويجب على

الزوجة ألا تقف على الطرف النقيض للزوج، أو العكس، أو تتحدث الزوجة بشكل سلبي عن والدي الزوج، أو تشتكي مستواه المعيشي، أو تدني درجته التعليمية، أو تتباهى بأهلها وذويها وتقلل من شأن زوجها وذويه. فكل هذه الأمور تعكر صفاء الحياة الزوجية، وتعمق الفجوة بين الزوجين.

١٤ . حسن استقبال الزوج عند العودة إلى المنزل:

يفضل للزوجة أن تكون في أبهى صورة عند اقتراب موعد رجوع زوجها إلى البيت، وأن تستقبله بابتسامة مشرقة، وكلمة طيبة تخفف عنه إجهاد العمل. فلهذه الابتسامة ولتلك الكلمة وقع فعال على نفس الزوج، فهي تنسيه أو قل تسمح عنه كل علامات التعب والإرهاق الذي لاقاه في العمل.

تقول إحدى الزوجات: "قبل أن يرجع زوجي من عمله، أعد له الطرائف. فإذا اجتمعنا على المائدة أسرد له النكت. فإذا به يضحك حتى يحمر وجهه".

١٥ . اختيار الوقت والأسلوب المناسب لتقديم قائمة الطلبات:

الزوجة الحكيمة تتحين الفرص والأوقات المناسبة لتقديم قائمة طلباتها إلى الزوج. فليس من الحكمة بمجرد عودة الزوج إلى البيت تستقبله الزوجة من عند الباب بطلباتها أو شكواها وتذمرها. بل عليها أن تنتظر قليلا حتى يهدأ زوجها، ويغير هندامه، ويتناول طعامه، ويستريح قليلا. بعدها إن رأته مزاجه وذهنه صافيا تطلب ما تشاء.

كما لا يجوز للزوجة أن تكثر من طلباتها . لاسيما الطلبات الكمالية . في نهاية الشهر، أي في وقت تكون فيه ميزانية الأسرة تعاني من الضيق وقد شارفت على الانتهاء، كذلك لا تطلب منه طلبا وهو غضبان، ولا تكثر الطلبات

وهو بالكاد يستطيع توفير قوت اليوم إن كان من معدمي الدخل أو من ذوي المهن الهامشية.

إذا رغبت الزوجة في طلب شيء من الزوج، لا تطلبه بصيغة الأمر، يفضل طلبه بصيغة الاقتراح. فهذا محبب إلى قلبه. نفترض أن الزوجة تريد من زوجها أن يحضر لها حلويات. لا تقول له: (هات معك حلويات وأنت راجع). الأفضل أن تقول: (نشتهي تناول الحلويات بعد الغداء)، أو تقول: (منذ فترة لم نتناول الحلويات، ما رأيك أن تأتي بها معك وأنت عائد إلى البيت).

أعتقد لو قالت العبارة الأولى: سيرفض طلبها، وربما أجابها: أنه لا يعمل خادما ولا أجيرا عندها. لكن إن قالت له الزوجة إحدى العبارتين الأخيرتين سيلبي بطلبها حتى لو لم يكن معه ما يكفي من النقود. فالكلمة الطيبة كالسحر الذي يخترق القلب ويحتل منه موقع الصدارة، وكذلك فيها الأجر والثواب. ألم يقل رسول الله ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة"^١.

١٦. التقبل:

مهما طالت أو قصرت فترة الخطبة، ومهما سعى الزوجان لتقهم شخصية الآخر خلال فترة الخطبة، إلا أنه تبقى جوانب من الشخصية غامضة، ولا تكتشف إلا بعد الزواج والمعاشرة ويظللها سقف بيت واحد، وأحيانا تكتشف صفات غير مقبولة في الشخصية كمستوى النظافة، والترتيب، وعادات الطعام، وعادات النوم، والعلاقات الاجتماعية... إلخ.

^١ صحيح البخاري، ٢٩٨٩.

إن الاختلاف في الطباع يجب ألا يشكل صدمة أو عقبة على طريق الحياة الزوجية. والسعي لتعديل السلوكيات غير المرغوب فيها بالتدريج، بدون تجريح أو صدام. كما يجب على الزوجين أن يقبل كل منهما بالآخر، وألا يبدي التذمر والتأفف والنفور. فإذا كانت الزوجة مقتنعة بزوجها على صعيد تعليمه، وثقافته، ومستواه الاقتصادي، وأخلاقه، وكرمه. فلا يجوز لها أن تقارنه برجل آخر. فربما يوجد عند زوجها ما لا يوجد عند غيره من المزايا والصفات. وكذلك الزوج لا يقارن زوجته بغيرها من النساء. بل أن الرسول ﷺ نهى الزوجة أن تصف امرأة لزوجها حتى لا يرسم لها صورة في مخيلته وتنعكس سلباً على الحياة الزوجية. فقال: "لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنما ينظر إليها".^١

فليرض كل زوج أو زوجة بما قسم الله له.

في أحد المدن افتتح متجر لبيع الأزواج بحيث يمكن للمرأة اختيار زوجها بنفسها، من التعليمات التي وضعت في المدخل حول أسلوب عمل المتجر: "إن للمرأة فرصة للدخول مرة واحدة للمتجر، ويمكن الاختيار من أحد الطوابق أو الذهاب إلى الطابق الآخر الأعلى منه، ولكن لا يمكن النزول إلى الأسفل".

دخلت إحدى النساء متجر الأزواج لاختيار زوج لها. في مدخل الطابق الأول وجدت علامة: الرجال هنا لديهم عمل، ومؤمنون بالله. وفي مدخل الطابق الثاني علامة: الرجال هنا لديهم عمل، ومؤمنون بالله، ويحبون أطفالهم. وفي مدخل الطابق الثالث علامة: الرجال هنا لديهم عمل، ومؤمنون بالله، ويحبون أطفالهم، وشكلهم جذاب. وكانت المرأة تفكر وتستمر في الصعود، وقد وصلت إلى الطابق الرابع لتجد علام: الرجال هنا لديهم عمل، ومؤمنون بالله، ويحبون أطفالهم،

^١ الألباني، صحيح الترمذي، ٢٧٩٢.

وشكلهم جذاب، ويساعدون زوجاتهم في أعمال المنزل. فتعجبت المرأة في خلجات نفسها: يا إلهي! إنني لا أستطيع التحمل، سأوافق، لكنها استمرت في الصعود، وفي مدخل الطابق الخامس علامة: الرجال هنا لديهم عمل، ومؤمنون بالله، ويحبون أطفالهم، وشكلهم جذاب، ويساعدون زوجاتهم في أعمال المنزل، ولهم قابلية رومانسية عالية لمغازلة زوجاتهم دائما. وكادت تطأ قدمها ذلك الطابق، إلا أنها استمرت في الصعود. وفي الطابق السادس وجدت علامة: أنت الزائرة (٤.٣٦٣.٠١٢) ليس هناك أي رجل في هذا الطابق، لأن هذا الطابق وجد خصيصا برهانا على: أن النساء لا يمكن إرضائهن. شكرا للتسوق في متجر الأزواج، وانتبهي لخطواتك وأنت تخرجين^١.

١٧. الرقة في التعامل:

يوجد صنف من الأزواج والزوجات يتسمون بالخشونة والغلظة في المعاملة. فلا تلمس في أسلوبهم رقة، ولا حنانا، ولا رافة. مثل هؤلاء يغيبون مقصود ومضمون (المودة والرحمة) في الزواج. وقد أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بأن يعامل الآخرين بالبرقة والرحمة وهو يدعوهم إلى الدخول في الإسلام. قال تعالى: {قَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}^٢. وقد أرشد الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام إلى الطريقة المناسبة في كيفية التعامل مع فرعون . الذي تكبر وتجبر وادعى الألوهية . حينما ذهب لدعوته

^١ محمد بن عبد الله بن محمد الفريخ، فن إدارة المواقف، ج ١، ط ١، الرياض، العبيكان، ٢٠١٠م، ص ٨٣-٨٤.

^٢ آل عمران، ١٥٩.

للدخول في دين الله. {قُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.^١ وقال ﷺ: "ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانته، ولا نزع من شيءٍ إلا شانه".^٢

١٨. لا تكثري من التذمر والتأفف:

هناك أعداد كبيرة من الأزواج والزوجات الذين يعبرون عن تذمرهم وتأففهم من بعضهم، ويكررون الكثير من العبارات التي تدل على ذلك:

م	الزوج	الزوجة
١	لم أعد أشعر بالراحة معها.	لا يهتم بي كثيرا، ولا يعبر لي عن حبه ومشاعره.
٢	لم أعد أطيعها، وأحتمل تصرفاتها.	دائم العبوس ومقطب الجبين.
٣	لم أعد أحتمل رائحتها الكريهة (العرق، البصل، الثوم، الزيت، الزفر).	دائم الخروج من البيت، ولا يجلس معنا إلا نادرا.
٤	لا ترتب ولا تنظف البيت.	لا يتابع همونا ومشكلاتنا.
٥	لا تهتم بنفسها داخل البيت، في حين تكون بأبهى زينتها خارج البيت.	لا يوفر متطلبات البيت الأساسية.
٦	دائمة العبوس ومقطبة الجبين، والتذمر، والندب.	لا يشعرني بالشراكة في القرارات البيتية.
٧	لا تهتم بي. وكل اهتمامها منصب على الأولاد.	لا يساعدني في الأعمال البيتية.
٨	ثرثرة.	يمنعني من زيارة أهلي وصديقاتي.
٩	مسرفة وكثيرة الطلبات.	كثير الضجر والتذمر والانفعال.
١٠	دائمة الخروج من البيت.	يمارس العنف معي ومع أولادي.

^١ طه، ٤٤.

^٢ السيوطي، مرجع سابق، ٧٩٦٤.

١٩ . الحفاظ على الأسرار الأسرية:

بمعنى ألا تفتش الزوجة في غياب زوجها أو أثناء نومه في ملابسه وأوراقه الخاصة. لأنه مهما بلغت درجة الصراحة بين الزوجين إلا أنه يوجد أشياء خاصة لا يجب أن يطلع عليها أحدا سواه. وهذا من حق كل منهما .. وبالتالي فإن التدخل والعبث في الأمور الخاصة يكون له انعكاسات سلبية على العلاقة الزوجية، التي قد تؤدي إلى الخلافات وربما ما هو أسوأ من ذلك. كذلك لا يجوز للزوجين أن يفشيا أسرار البيت لذويهما أو لأصدقائهما.

٢٠ . التحلي بالصمت:

قد ينشأ خلاف بين الزوجين، فمن الحكمة ألا تشتد الزوجة في الخلاف مع زوجها، ويعلو صوتها، وتبادلته الاتهامات، وتتعبته بأسوأ والأوصاف. خير علاج للخروج من ثورة الغضب أن تتزين الزوجة بالصمت. لأنه من المؤكد بعد أن يهدأ الزوج ويعود إلى رشده. سيعتذر لزوجته عن كل سلوك سيء بدر منه. وهذا بفضل صمتها، لكنها إن سعدت من حدة الخلافات ربما عمقت من الأزمة وأتت بنتائج لا تتمناها. فالصمت علاج فعال يهيئ الإنسان للتفكير السليم والحكم الصحيح على الأحداث، وقد يكون سببا في اعتراف المخطئ بخطئه وإنهاء المشكلة قبل تطورها.

وقد وردت أقول كثيرة في فضل الصمت، منها:

❖ قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"^١.

^١ صحيح البخاري، ٦١٣٨.

- ❖ من وصايا لقمان الحكيم لابنه: "إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك".
- ❖ قال علي بن أبي طالب: "بكثر الصمت تكون الهيبة".
- ❖ قال وهب بن الورد: "بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها بالصمت، والعاشر في عزلة الناس".
- ❖ قال الإمام الشافعي: "إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر".^١
- ❖ "الصمت حكمة وقليل فاعله".

٢١. استخدام مهارات الاتصال غير اللفظي:

في دراسة قام بها (ألبرت مهاريبان) من جامعة هارفارد توصل إلى أن تعبيرات الجسم تحتل (٥٥%) من عملية الاتصال. أي أن أكثر من نصف عملية الاتصال تركز على تعبيرات الجسم. وحتى ينجح الاتصال بين الزوجين لابد لهما من فهم لغة الجسد من جهة، وإعطائها الأهمية أثناء الاتصال من جهة أخرى. ومما تشتمل عليه عملية الاتصال:

أ. العين:

على الزوج أن ينظر في عين زوجته وهو يتحدث إليها. وألا يعبث ويلهو بأشياء محيطية كالجوال، أو الساعة في معصمه. لأن تركيز النظر في عين زوجته يعني الانتباه، والتركيز، والاحترام، والتقدير لما تقوله، والإنصات باهتمام. أما عدم تركيز النظر يعني لا أهتم لرأيك، أو لا أوافقك الرأي.

^١ التجمع العربي، ٢٠٨٨٠: <http://www.4rb.com/vb/showthread.php?t=20880>

في أحيان كثيرة تكون لغة العيون أبلغ من فصاحة اللسان وبلاغة الكلمات. فربما تفصح العين بما يعجز اللسان أو القلم التعبير عنه. وقد كانت العيون محط إعجاب وتغني الشعراء، ومن هذه الأشعار:

العين تبدي الذي في قلب صاحبها من الشنأة أو حب إذا كانا
إن البغيض له عين يصدقها لا يستطيع لما في القلب كتماننا
فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من صميم القلب تبياننا

ب. تقاسيم الوجه:

الوجه كتاب مفتوح يكشف ما يضم الإنسان من مشاعر الفرح والسرور، أو الحزن، أو الغضب. ويتضح ذلك من خلال الابتسامة، أو الضحكة، أو التكبيرة، أو تقطيب الجبين، أو حركات الحواجب، أو سعة وضيق الأنف، أو سرعة وبطء الكلام، أو انبساط أو تعرج الجبهة... إلخ.

ج. طريقة الوقوف:

إذا كانت هيئة الوقوف متشابهة بين طرفي الحديث، فهذا يدل على التقارب في وجهات النظر بينهما. ويحذر الفرد من استخدام الحركات التي تدل على التحدي والعناد، أو الاستخفاف والاستهزاء.

د. نبرة الصوت:

نبرة الصوت تعكس الحالة المزاجية والعاطفية للفرد. فنبرة الصوت في حالة الفرح تختلف عن نبرة الصوت في حالة الحزن. فهناك نبرة خاصة بالصوت عند البكاء، أو الخوف، أو التمرد، أو الانفعال الشديد، أو الشعور بالظلم... إلخ.

ولكل نبرة من النبرات السابقة تأثير على العلاقة الزوجية. لذلك يجب الابتعاد عن الصراخ والصوت المرتفع، ونبرة العناد والتحدي، أو نبرة الاستخفاف والاستهزاء. والاقتراب من نبرة الصوت المسموعة المنبعث منها الدفء العاطفي والحب والمودة.

هـ. الإكسسوارات ومستحضرات التجميل:

الزوجات أصناف في هذا الجانب:

❖ الصنف الأول: يبالغ في التزين بالإكسسوارات، والتلون بمستحضرات التجميل إلى الحد الذي يذهب به نضارة الوجه، أو تصبح المرأة شبيهة بدمية. ونسب أن تلك المستحضرات للتجميل وليس للتقبيح.

❖ الصنف الثاني: يهمل الموضوع كلية.

❖ الصنف الثالث: هو الأفضل لأنه يوازن ويعتدل في الإكسسوارات ومستحضرات التجميل. فزينة البيت اليومية تختلف عن الزينة في مناسبة اجتماعية كاحتفال بيوم الزواج، أو الاحتفال بيوم الميلاد، والزينة في صالة الأفراح تختلف عن الزينة لزيارة اجتماعية، أو الزينة للجامعة، أو الزينة لمكان العمل... إلخ.

٢٢. الابتسامه (السحر الحلال):

يجب أن تكون الابتسامه ملازمة لثغري الزوج والزوجة فهي تعبير عن حالة السعادة والسرور والقبول. لأنها السحر الحلال الذي يأسر القلوب، ويحرك المشاعر، ويذيب الجمود، ويزيل العقبات من طريق العلاقات الاجتماعية. بل تعد الابتسامه مظهرا من مظاهر العبادة، قال رسول الله ﷺ: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِهِ

أخيك لك صدقة^١. وفي المثل الصيني يقولون: "إن من لا يحرص على الابتسام يجب ألا يفتح متجرًا". ومما قيل في حق الابتسامة: قول ستيفان جزال: "الابتسامة واجب اجتماعي". وقول سيرْيوس: "الابتسامة إهانة للمصيبة".

لذلك ما أجمل أن تستقبل الزوجة زوجها وهو عائد من العمل بابتسامة مشرقة مرسومة على الثغر الوضاء!.. وما أجمل أن تستقبل الزوجة ثورة الغضب وانفعال الزوج بابتسامة تمتص غضبه وتضحكه رغما عنه!.

٢٣. الفطنة:

يقولون: "اللييب بالإشارة يفهم". في بعض الأحيان لا يريد الزوج أو الزوجة أن يلجأ إلى الصراحة والوضوح في إيصال المعلومة حتى لا يمس مشاعر الآخر بسوء، أو لا يريد أن يخدش كبريائه فيلجأ إلى مَثَل، أو قصة، أو بيت شعر، أو عبرة ليعبر عما يريد، فأحياناً كلمة تغني عن ألف كلمة.

لذلك وجب على الزوجين أن يكونا فطينين، ويفهم كل منهما ما يدور في خلد الآخر قبل أن يصرح به. وإن حدثت فهي من علامات تمام الوفاق والتفاهم والتناغم بين الزوجين.

٢٤. الثقافة والمطالعة:

إن أشد ما ييغضه الزوج في زوجته ألا تهتم بالمسائل التي يهتم بها، أو تكون جاهلة بأمور الحياة العامة، أو يقتصر اهتمامها على أمور المطبخ وحديث النساء .. فعلت فلانة كذا، وطلقت فلانة من فلان، وتزوجت فلانة من فلان، وأنجبت زوجة فلان .. وعندما يتحاور معها في قضية ما لا رأي لها، فيغتم لذلك

^١ الألباني، صحيح الجامع، ٢٩٠٨.

الزوج كثيرا، وستكون ردة فعله أن يخلد إلى النوم مبكرا، أو الخروج من البيت للحديث مع أصدقائه عله يجد عندهم ما يفقده في زوجته. لكن إن شاركته الحديث فيسعد لذلك.

لذلك تنصح الزوجة أن تختار من المجالات والبرامج التلفزيونية ما يفيد عقلها، ويزيد من ثقافتها، وتعينها على حل مشكلاتها، ولا تضيع وقتها فيما لا يجدي نفعا. وما قيل في حق الزوجة يقال في حق الرجل أيضا.

٢٥ . الثقة المتبادلة:

ينبغي للزوجة أن تمنح زوجها قدرا كبيرا من الثقة، وألا تشكك في سلوكياته وعلاقاته. لأن الشك سلاح فتاك يزعزع وقد يهدم ويقوض الاستقرار الأسري. فكم من بيت دمر وتفكك بسبب الشك؟! وأغلبها ظنون ووساوس إبليسية وشكوك شيطانية ليس لها أساس من الصحة. فإن وقعت الزوجة أسيرة الشك والوسوسة تجاه زوجها ستكون هي الخاسرة على كل الوجوه. وكذلك الحال بالنسبة إلى الرجل إن شك في زوجته.

٢٦ . انظري إلى من هو أسفل منك:

قَالَ ﷺ: "انظروا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ".^١ بمعنى ألا تقارن الزوجة حالها بمن هي أعلى منها في المستوى الاقتصادي، أو المكانة الاجتماعية، أو المستوى التعليمي... إلخ. بل يجب أن تنظر لمن هي أدنى منها، حتى تحمد الله وتشكره

^١ الترمذي، سنن الترمذي، ٢٥١٣.

على النعمة التي هي فيها، وتعمل جهدها لتحافظ عليها بدلا من أن تفرط بها. وما قيل بحق الزوجة مطلوب من الزوج أيضا.

٢٧. احذري أن تكوني من أصناف النساء الآتية:

قال العرب قديما: "لا تنكحوا من النساء ستة: لا أنانة، ولا منانة، ولا حنانة، ولا حداقة، ولا براقا، ولا شداقة".

- ❖ الأنانة: التي تكثر الشكوى والأنين، وتعصب رأسها كل ساعة.
- ❖ المنانة: التي تمن على زوجها فنقول: "من أجلك فعلت كذا وكذا".
- ❖ الحنانة: التي تحن إلى زوج أو حبيب سابق، أو لولدها من زواج سابق.
- ❖ الحداقة: التي تشتري كل شيء تشتيه، وتكلف الزوج بشرائه.
- ❖ البراقا: تحتمل معنيين: أحدهما: أن تمضي معظم وقتها في تزيين وجهها ليكون براقا ولامعا. والثاني: أن تغضب على الطعام، فلا تأكل إلا وحدها، وتستقل نصيبها من كل شيء.
- ❖ الشداقة: هي كثيرة الكلام.

٢٨. الاتفاق بين الزوجين على طريقة تنشئة الأبناء:

- من الأخطاء الشائعة بين الأسر "عدم اتفاق الآباء والأمهات على طريقة محددة في تنشئة الأبناء". فالآباء والأمهات أصناف متعددة، وهي:
- ❖ الصنف الأول: يلقي بالمسؤولية كاملة على عاتق الزوجة، وجل همه العمل خارج المنزل لتوفير متطلبات الأسرة المادية.
 - ❖ الصنف الثاني: تلقي الزوجة بالمسؤولية كاملة على عاتق الزوج، وجل همها الاهتمام بشؤون المنزل.

- ❖ **الصف الثالث:** يشترك الزوجان معا في تنشئة الأبناء إلا أن رؤاهما مختلفة، كأن يكون الأب حازما شديدا وتكون الأم متساهلة، أو العكس أي تكون الأم حازمة صارمة والأب مهمل وغير مبالي. وهذا خطأ كبير له انعكاسات سلبية على نفسية الأبناء وعلى البناء الأسري عموما.
- ❖ **الصف الرابع:** يقسم الأدوار حسب الجنس، أي أن يتكفل الأب بتربية الأبناء الذكور، والأم تعتني بالبنات. وهذا تصرف خاطئ حيث أكدت الدراسات أن التنشئة السليمة تقوم على التوازن بين أدوار الأب والأم معا.
- ❖ **الصف الخامس:** هو أفضلها يكون بالاتفاق منذ البداية بين الزوجين على طريقة التنشئة بحيث لا تعارض بينهما سواء كانا معا أو غاب أحدهما.

مهارات الزوج في التعامل مع زوجته:

- يمكن للزوج أن يقوم ببعض السلوكيات التي يأسر بها قلب زوجته، وينال حبها وعطفها أبد الدهر، منها:
 - مناداته الزوجة بأحب الأسماء إليها، أو تصغير اسمها: وهذه مهارة نبوية كان يتبعها رسول الله ﷺ في مداعبة زوجته عائشة رضي الله عنها وكان يناديها بـ(عائش)، أي تصغير اسمها. "يا عائشُ هذا جبريلُ يُقرئُك السلام".^١ وأحيانا يناديها يا (حميراء).^٢ فقال: "خذوا شطر دينكم عن الحميراء".^٣ وكان

^١ صحيح البخاري، ٦٢٠١.

^٢ المرأة شديدة البياض.

^٣ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٧/٣.

أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "إن كان النبي ﷺ ليُخالِطُنَا، حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عُمَيْرٍ، ما فعل النُّعَيْرُ؟"^١.

■ غض الطرف عن بعض أخطاء الزوجة: لا يوجد إنسان على وجه الأرض معصوماً من الخطأ. عدا الأنبياء، وقد انتهى عهد النبوة بوفاة رسول الله ﷺ. وبالتالي لا وجود للمعصومين من الخطأ في أيامنا هذه. مما يعني أنه من المتوقع من الزوجة بعض التصرفات الخاطئة. فالمطلوب غض الطرف عنها وتجاهل أخطائها الصغيرة وهفواتها الهامشية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوابونَ"^٢. أي كل إنسان رجلاً كان أو امرأة سيقع في الخطأ شاء أم أبى. لكن أفضل الناس الذي يعترف بخطئه، ويتوب ويستغفر منه، ولا يصر على إتيانه وتكراره. كذلك أهدى رسول الله ﷺ للأزواج مهارة في العلاقات الزوجية: "لا يفرِّك مؤمناً مؤمنةً، إن كرهَ منها خُلُقاً رضيَ منها آخرَ"^٣.

إننا "نحتاج في أحيان كثيرة أن نغمض أعيننا عن نحب في هفواته وزلاته... من أجل سعادتنا وسعادة من نحب، ونكون ممن أغمض عينيه قليلاً عن عيوب الآخرين وأخطائهم؛ كي لا نجرح مشاعرهم"^٤.
ويقول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

■ العدل مع الزوجة في حالات الرضا والغضب.

^١ النغير: طائر يشبه العصفور له منقار.

^٢ صحيح البخاري، ٦١٢٩.

^٣ السيوطي، مرجع سابق، ٦٢٩٢.

^٤ صحيح مسلم، ١٤٦٩.

^٥ محمد بن عبد الله بن محمد الفريخ، مرجع سابق، ص ١٤.

- أن يكون الزوج سريعا في الصفح والعتو عن زوجته إذا غضب.
- شكر الزوجة والثناء عليها عندما تعد طعاما طيبا، أو تغير ترتيب البيت بشكل مختلف عن وضعه السابق. قال رسول الله ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"^١.
- مدح الزوجة وإبداء الإعجاب بها إن لبست جديدا، أو غيرت تسريحة شعرها، أو تزينت، أو تعطرت. فالمرأة تحب أن تكون دائما في نظر زوجها مدللة صغيرة جميلة.
- إشعار الزوجة بالحب، والحنان، والموودة، والرحمة: قال رسول الله ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"^٢.
- الحب لا يعبر عنه بالكلمات فقط، بل يعبر عنه بصور أخرى. فقبلة حانية على جبهة الزوجة أو كفها فيها التعبير الصادق عن الحب، وبإمكانها أن تزيل كل الهموم وتمسح كل الخلافات.
- أن يردد الزوج على مسامع زوجته كلمات وعبارات تعكس تحبه لها. مثل: (حبيبتي، غاليتي، عزيزتي، قمري، روعي، عمري، بلسم جروحي، نبع الحنان، فانتتي، جميلتي).
- مثلما يحب الرجل أن يرى زوجته دائما جميلة المظهر الخارجي وبرائحة طيبة، فالزوجة تحب أن ترَ زوجها في مظهر حسن، ورائحة طيبة. لذلك يجب أن يحافظ الزوج على التزين والتجمل والتطيب للزوجة. قال رسول الله

^١ الترمذي، سنن الترمذي، ١٩٥٤.

^٢ المرجع نفسه، ١٩٢٤.

ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"^١. وقال: "من كان له شعر فليكرمه"^٢. وقال: "عشرةٌ منَ الفطرة: قصُّ الشاربِ، وقصُّ الأظفارِ، وغسلُ البراجمِ، وإعفاءُ اللحيةِ، والسواكُ، والاستنشاقُ، وبتفُّ الإبطِ، وحلقُ العانةِ، وانتقاصُ الماءِ"^٣. وكان يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي".

- الخروج في سهرة أو نزهة مع الزوجة بدون الأبناء.
 - الهدية: هناك أمر نبوي لأمته بتبادل الهدايا لأن لها ثمارا مجتمعية طيبة، وهي انتشار المحبة بين المتهادين. فقال: "تهادوا تحابوا"^٤. والهدية تقاس بقيمتها المعنوية وليس بقيمتها المادية. فربما يهدي الزوج زوجته هدية رمزية. كرسالة تسطر كلمات المديح والثناء على الزوجة وذكر مناقبها، أو إهداء سلسلة، أو إهداء خاتم. تحتفظ بها الزوجة لأمد طويل تستذكر فيه الموقف والمكان الجميلين اللذين أهديت بهما تلك الهدية.
- إن الهدية تؤلف بين القلوب وتثقيها من الضغائن والأحقاد. وفي حديث آخر - وإن كان فيه ضعف إلا أنه يسترشد بمعانيه القيمة :: "ما أهدى المرء المسلم لأخيه هديةً أفضلَ من كلمةٍ حكمةٍ يزيدُ الله بها هدىً، أو يرُدُّه بها عن ردى"^٥. أي الهدية لا تقتصر على الجانب المادي، بل قد تشمل الكلمة الطيبة ببيت شعر، أو خاطرة، أو همسة.

^١ صحيح مسلم، ٩١.

^٢ السيوطي، مرجع سابق، ٨٩٧٤.

^٣ الألباني، صحيح النسائي، ٥٠٥٥.

^٤ السيوطي، مرجع سابق، ٣٣٧٤.

^٥ المرجع نفسه، ٧٨٧٤.

أفضل الهدايا التي كان يقبلها رسول الله ﷺ ولم يكن يردها أو يرفضها (الطيب). فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: "أنه كان لا يردُّ الطيب"^١.

- التخفيف عن الزوجة وقت الضيق، والألم، والحزن بكلمات طيبة تطيب خاطرها، وتهدئ من روعها، وتزيد من اطمئنانها. قال رسول الله ﷺ: "من نَفَسَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرْبِ الدنيا، نَفَسَ اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرْبِ يومِ القيامةِ. ومن يَسَّرَ على معسرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة"^٢.
- المزاح والمداعبة: إن جمود الحياة الزوجية واستمرار الروتين اليومي قد يذبل وردة الحب في القلوب. ومن صور كسر الجمود أن يداعب الزوج زوجته ويمزحها حتى يخفف عنها غيابه عن البيت، وانشغاله عنها، ويهون عليها ضغوطات والتزامات البيت وتربية الأبناء. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "يا رسول الله إنك تداعبنا!". قال: "إني لا أقول إلا حقا"^٣. الشاهد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يداعب الصحابة (الذكور) رضي الله عنهم، فمن باب أولى أن يداعب ويمزح زوجاته هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن يكون المزاح والمديح بشكل وسطي معتدل وليس بشكل مبالغ فيه يصل إلى حد الكذب، ويجب أن يمدح به هو حقيقة. على سبيل المثال: لا يجوز أن تمدح شخصا بأنه قمة في الجمال والوسامة وهو في الحقيقة غير ذلك (دميم)، بل يمكن مدحه بأن ملابسه ألوانها متناسقة ومن القماش الجيد،

^١ صحيح البخاري، ٥٩٢٩.

^٢ صحيح مسلم، ٢٦٩٩.

^٣ الترمذي، سنن الترمذي، ١٩٩٠.

وأنه يحسن تنسيق الألوان. في هذه الحالة تكون مدحته وأثنت عليه حقا ولم تكذب عليه.

نسوق مثلا على المزاح الصادق والمعتدل ما ذكره أنس بن مالك: "أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، احملني، قال النبي ﷺ: إنا حاملوك على ولد ناقة. قال: وما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق؟".^١

ومن صور مدح الزوجة: أن يثني الزوج على طهيها، وذوقها في ترتيب البيت، وآرائها التي يسترشد بها في إدارة البيت، وحسن ضيافة ضيوفه، وسهرها على راحته... إلخ.

■ الحذر من الإساءة إلى الزوجة في حضرة الآخرين، لأن ذلك يمس كرامتها ومكانتها.

■ الغيرة على الزوجة بشكل معتدل وليست غيرة مَرَضِيَّة تخرب البيوت وتفكك الأسر. يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه دخل يوما على زوجته فاطمة وهي تستاك^٢ فنظم أبياتا من الشعر، قال فيها:

حظيت يا عود الأراك^٣ بثغرها ما خفت يا عود الأراك أراكا؟!!

لو كنت من أهل القتال قتلتك ما فاز مني يا سواك.. سواكا

■ أن يتفهم الزوج نفسية زوجته وأن يتعامل معها على أساسه سواء في فرحها وسرورها، أو في كدرها وحزنها، أو في انفعالها وغضبها. لأن أغلب المشكلات الزوجية ناجمة عن عدم تفهم الزوجين لنفسية بعضهما.

■ التعرف على الحقوق والواجبات الزوجية.

^١ أبو داود، سنن أبو داود، ٤٩٩٨.

^٢ أي تنظف أسنانها بالسواك.

^٣ الأراك: السواك.

- عدم مناقشة كل الأخطاء والمشكلات والسلبيات الزوجية في جلسة واحدة، حتى لا توحى إلى الزوجة بأنها كلها سلبيات ولا يوجد لديها حسنات وإيجابيات. بل يفضل أن تكون مناقشة الأخطاء بالتدرج وعلى جلسات متفاوتة. وليكن الشعار "الخلاف لا يفسد للود قضية".
- المرونة في التعامل. قالت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا"^١.
- حث الزوجة على القيام بالعبادات الجماعية كصلاة النافلة، وصيام التطوع، وتلاوة القرآن، وصلة الأرحام، والصدقة، وتربية الأبناء على التربية الإسلامية الصحيحة المعتدلة.

مهارات الزوجة في التعامل مع زوجها:

- أن تحافظ الزوجة على نظافة وترتيب بيتها وأناقته. قال ﷺ: "ألا أخبرك بخير ما يكثر المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته"^٢.
- أن ترعى الزوجة أبنائها، وتعمل على تربيتهم تربية صالحة. قال رسول الله ﷺ: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته،... والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته"^٣.

^١ صحيح البخاري، ٣٥٦٠.

^٢ السيوطي، مرجع سابق، ١٧٧٤.

^٣ صحيح البخاري، ٢٥٥٨.

- أن تحفظ الزوجة مال زوجها من الضياع، أو الإسراف فيه وصرفه في غير حقه. قال رسول الله ﷺ: "خيرُ فائدةٍ استفادها المسلمُ بعد الإسلام، امرأةٌ تسرُّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في ماله ونفسها إذا غاب"^١.
- أن تخفف الزوجة عن زوجها همومه وأحزانه، وتساعده في حل مشكلاته - ولو بكلمة طيبة، لا أن تزيد كدرا وحزنا وهما وغما.
- أن تهيئ الزوجة لزوجها جوا من الراحة والهدوء عند عودته من العمل، أو وقت نومه.
- أن تحافظ الزوجة على أسرار الزوجية، وألا تقشيتها لأقاربها، أو جاراتها، أو صديقاتها.
- لا تُغضب الزوجة زوجها بالقول أو الفعل.
- إذا أخطئت الزوجة بحق زوجها أو أساءت إليه، أن تسارع إلى الاعتذار إليه وتطلب العفو منه. حتى لا تتراكم المشكلات الزوجية أكثر، وتتعمق الفجوة وتزيد الخلافات.
- أن تغض الزوجة الطرف عن أخطاء زوجها الخفيفة.
- أن تنزيه الزوجة وتتجمل وتنطيب لزوجها، وتحرص أن تكون في أبهى صورة. وألا تهمل نفسها لمجرد الإنجاب حيث تجعل جل اهتمامها لأبنائها وليبيتها وتهمل حقوق زوجها. أو أن تتجمل وتنزيه عند خروجها من المنزل ولا تهتم لتلك المسألة داخل المنزل.

^١ البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة، ٢٤/٤.

إن أغلب أسباب إقبال الأزواج على تعدد الزوجات؛ لإهمالهن لمسألة التزين والتجمل والتطيب. قال رسول الله ﷺ: "خيرُ فائدةٍ استفادها المسلمُ بعد الإسلام، امرأةٌ تسره إذا نظر إليها"^١.

- أن تمدح الزوجة زوجها أمام الآخرين وتذكر حسناته، مثل: حسن معاملته ومعاشرته لها، أنه يلبي كافة طلبات البيت، أنه يحنو عليها وعلى أولادها، يحثها على صلة الرحم، وأنه على علاقة طيبة بأهلها... إلخ.
- أن تثني الزوجة على زوجها على مساهمته في الأعمال البيتية.
- ألا تتقل الزوجة على زوجها بكثرة الطلبات، وأن تتحين الوقت المناسب لتقديم قائمة الطلبات.
- أن تخفض الزوجة صوتها عندما تتحاور مع زوجها.
- أن تكون الزوجة على علاقة جيدة مع أسرة زوجها، ويكون ذلك بالتزاور إن كانوا يقيمون في بيت مستقل، ومشاركتهم في مختلف المناسبات الاجتماعية، حث الزوج على بر والديه.
- ألا تكون الزوجة مصابة بداء (الغيرة) المبالغ فيها على زوجها.
- ألا تنبش الزوجة في أحداث الماضي، كأن تسأله إن كان يحب فتاة قبلها. إن مثل هذا السؤال لا داعي له بعد الزواج.
- لو أحصت الزوجة جميع ما تملك من الأشياء المادية كالذهب، والملابس الفاخرة، والأثاث الحديث، وآخر صيحات العطور والإكسسوارات فإنها لا

^١ سبق تخريجه.

تعدل لحظة حب صادقة، أو قبلة دافئة من زوجها. فلتحرص الزوجة على أن تنل الأخريات وتهيئ الجو لذلك^١.

■ أن تقدم الزوجة لزوجها الحب قبل أن تقدم له الرأي. وفي المثل يقولون: "حبيبك ييلع لك الزلط، وعدوك يتمنى لك الغلط"^٢. مثلاً أن تقول الزوجة لزوجها: (حبيبي أنت أنيق وتحسن اختيار الملابس، لكن لو غيرت هذا القميص لكن أجمل وأبهى).

منغصات الحياة الزوجية:

١. الأفكار الخاطئة والسلبية والمسبقة عن الزواج. فكل ما تسمعه من آراء عن الزواج . سواء إيجابية أو سلبية . هي مجرد انعكاس عن تجارب خاصة بصاحب الرأي. فالتجربة المريرة التي خاضها الأول تختلف عن تجربة الثاني المأساوية، وتختلف عن تجربة الثالث السعيدة، وهكذا. وبالتالي فالتجارب الزوجية تختلف باختلاف مهارات الفرد في إدارة الحياة الزوجية. فلا تسقط حالة فاشلة على كل حالات الزواج.
٢. صعوبة التحول من دور الأعزب والآنسة إلى دور الزوج والزوجة. أي أن الزوج بعد الزواج لا يزال يعيش حياة الفردية، وعدم الشراكة ولم يقتنع بعد بوجود شريك آخر له في البيت، وكذلك صعوبة التحول من دور الزوج والزوجة إلى دور الأب والأم.
٣. غياب أجواء الحب والتفاهم والاحترام والتقدير بين الأزواج.

^١ صلاح سلطان، الألفة بين الزوجين خطوات عملية، البحرين، دن، ربيع ثاني ١٤٢٩هـ، ص ١٧.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٩.

٤. الاختلاف بين الزوجين على كيفية إدارة الجانب المالي، ومسائل الإنفاق والإدخار داخل البيت.
٥. المزاج المتقلب ينعكس سلباً على صفو العلاقات الأسرية.
٦. الشك والغيرة المبالغ فيهما من قبل الزوج أو الزوجة.
٧. الغياب المتكرر من جانب الزوج عن البيت لساعات طويلة، وبعضها لأيام لغير مبرر.
٨. الإهمال في أداء الأدوار الأسرية المتوقع أن يقوم بها الزوج أو الزوجة.
٩. الخيانة الزوجية سواء من جانب الزوج أو الزوجة. والخيانة لا تقتصر على المعاشرة غير الشرعية، بل تشمل المكالمات الهاتفية والحديث على شبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية لأغراض غرامية وإشباع الهوى.
١٠. عدم إشباع أحد الزوجين الحاجات الجنسية للطرف الآخر.
١١. التدخلات الخارجية في شؤون الأسرة، سواء من جانب أسرة الزوج أو أسرة الزوجة.
١٢. عدم تمتع الزوج والزوجة بمهارات الاتصال والتواصل.
١٣. الروتين الزوجي، وعدم التجديد والابتكار.
١٤. الزواج بالإكراه تحت الضغط الأسري.
١٥. العادات السيئة، مثل: التدخين، وشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، وعدم الاهتمام بالنظافة الشخصية أو البيئية، وعدم الاهتمام بالمظهر الخارجي، ورائحة العرق النتنة، وطول الأظافر، وعدم الترتيب... إلخ.
١٦. عدم التمتع بمهارات إدارة البيت وحل المشكلات واتخاذ القرارات.
١٧. فضح وكشف الأسرار البيئية.

- ١٨ . كثرة الكذب وتبرير السلوكيات الزوجية الخاطئة والجارحة.
- ١٩ . التكبر وعدم الاعتراف بالخطأ أو التقصير.
- ٢٠ . الإلقاء باللائمة على الآخر وعدم الشعور بالمسؤولية.
- ٢١ . ممارسة العنف الأسري بكافة أشكاله.

مفاتيح السعادة الزوجية:

مفاتيح السعادة متنوعة وكثيرة، نذكر منها:

- (١) تنمية الوازع الديني القائم على الورع والتقوى والرقابة الذاتية.
- (٢) رعاية بذرة الحب الزوجي لتنمو وتكبر يوماً بعد يوم.
- (٣) تبادل الاحترام والتقدير بين الزوجين، ولأهل الزوجين.
- (٤) الثقة المتبادلة بين الزوجين.
- (٥) المشاركة في إدارة الحياة الأسرية.
- (٦) من المعروف عن الرجل الاهتمام بالأمور العامة، في حين تهتم المرأة بالتفاصيل. فليكن كل من الزوج والزوجة مكملًا للآخر عند مناقشة القضايا الأسرية.
- (٧) التضحية والبذل والعطاء لاسيما وقت الشدائد والأزمات.
- (٨) هجر المشكلات والخلافات على توافه الأمور.
- (٩) تبادل الهدايا.
- (١٠) عدم النباش في أحداث الماضي.
- (١١) الإحساس بالأمن النفسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والأسري.
- (١٢) الزينة والجمال والتطيب.

- (١٣) الشكر والثناء على الأعمال الجيدة إن كبرت أو صغرت.
- (١٤) الصراحة والوضوح.
- (١٥) الابتسامة (السحر الحلال).
- (١٦) النقد البناء^١.

^١ لمزيد من المعلومات انظر: أبو مالك وأبو معاذ أبناء بن حازن، رومانسيات زوجية، المدينة المنورة، دن، دت، ص٤٧-٥٤.

المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم رجب قرفال وفوزية خليل، قراءات في علم النفس والتربية، طرابلس، مكتبة طرابلس، ١٩٩٦م.
٣. أبو مالك وأبو معاذ أبناء بن حازن، رومانسيات زوجية، المدينة المنورة، د.ن، د.ت.
٤. باولو فرايري، تعليم المقهورين، ترجمة: يوسف نور عوض، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٥. بدران أبو العينين بدران، أحكام الزواج والطلاق في الإسلام.. بحث تحليلي ودراسة مقارنة، ط٢، مصر، مطبعة دار التأليف، ١٩٦١م.
٦. بسام أبو عليان، دور غلاء المهور في ارتفاع العنوسة عند الفتيات وعزوف الشباب عن الزواج، بحث مقدم إلى اليوم العلمي بعنوان: "غلاء المهور.. الواقع والمأمول"، الجامعة الإسلامية وجمعية التيسير للزواج والتنمية، غزة، الاثنين ١٦/٥/٢٠١١م.
٧. بسام أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، ط٢، غزة، مكتبة بيتا، ٢٠١١م.
٨. بسام أبو عليان، المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الحصار، بحث مقدم إلى اليوم الدراسي بعنوان: "الحصار وانعكاساته على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة"، جامعة القدس المفتوحة، خان يونس، السبت ١٩/١٢/٢٠٠٩م.

٩. بسام محمد أبو عليان، أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة اليمنية وأثرها على التحصيل الدراسي عند الأبناء، رسالة ماجستير، اليمن، جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م.
١٠. بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، ط١، دمشق، دار الأهالي، ٢٠٠٤م.
١١. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني،
<http://www.pcbs.gov.ps/site/٥١٢/default.aspx?tabID=٥١٢&lang=ar&ItemID=٧٩١&mid=٣٩١٥&wversion=Staging>
١٢. حسن بن محمد الحفناوي، الأسرة المسلمة وتحديات العصر، ط١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠١م.
١٣. حسن الريماوي وهناء النجاري، خصائص السكان في مخيمات الأراضي الفلسطينية، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، سلسلة التقارير التحليلية الوصفية (٣)، رام الله، ٢٠٠٢م.
١٤. حمد الله ربيع، الأسرة وقضايا المجتمع العربي في إسرائيل، ط٢، جث المثلث، مركز الطباعة والإعلان، ٢٠٠٨م.
١٥. حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع، ط١، عمان، دار الصفاء، ٢٠٠٠م.
١٦. رشاد صالح دمنهوري، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.
١٧. سميح أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة، علم النفس الاجتماعي، عمان، دار اليازوري العملية، ٢٠٠٢م.

١٨. سمير خالد صافي و خليل عبد الكريم مقداد، دراسة مقارنة حول الخصائص الاجتماعية والأسرية والزواجية والتعليمية والاقتصادية للأسر في الأراضي الفلسطينية (١٩٩٧-٢٠٠٧)، رام الله، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ديسمبر ٢٠٠٩م.
١٩. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.
٢٠. سيد أحمد عثمان، علم النفس الاجتماعي التربوي، ج٢، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.
٢١. السيد سابق، فقه السنة، ج٢، ط١، القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، ١٩٩٦م.
٢٢. شبكة فلسطين للحوار، <http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=٨٢٨٣٥٥>
٢٣. شعاع اليوسف، التقنيات الحديثة.. فوائد وأضرار، سلسلة كتاب الأمة، العدد ١١٢، السنة ٢٦، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، قطر، ربيع الأول ١٤٢٧هـ.
٢٤. صلاح سلطان، الألفة بين الزوجين خطوات عملية، البحرين، دن، ربيع ثاني ١٤٢٩هـ.
٢٥. عباس أبو شامة عبد المحمود ومحمد الأمين البشرى، العنف الأسري في ظل العولمة، ط١، العدد ٣٦٨، الرياض، مركز البحوث والدراسات بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٥م.

٢٦. عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٨٠، الكويت، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م.
٢٧. عبد العزيز جادو، علم نفس الطفل وتربيته، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م.
٢٨. عبد الكريم بكار، التواصل الأسري، ط٢، القاهرة، دار السلام، ٢٠٠٩م.
٢٩. علي أسعد وطفة، بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م.
٣٠. فاخر عاقل، معالم التربية، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤م.
٣١. فاطمة المنتصر الكتاني، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، ط١، رام الله، دار الشروق، ٢٠٠٠م.
٣٢. فوزية دياب، الطفل بين الأسرة ودور الحضانة، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٨١م.
٣٣. كامل المنسي، العنف العائلي ضد النساء في قطاع غزة، غزة، مركز شؤون المرأة، ٢٠٠٥م.
٣٤. كرم حلمي فرحات، تعدد الزوجات في الأديان، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٢م.
٣٥. محمد بن عبد الله بن محمد الفريح، فن إدارة المواقف، ج١، ط١، الرياض، العبيكان، ٢٠١٠م.

٣٦. محمد سعيد مرسي، تربية الأولاد في الإسلام، ج١، ط١، القاهرة، دار النشر والتوزيع الإسلامية، ١٩٩٨م.
٣٧. محمد السيد محمد الزعبلأوي، المراهق المسلم، ج٤، ط١، سلسلة دراسات نفسية تربوية إسلامية، الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٨م.
٣٨. محمد عبد الرحيم عدس، الآباء وتربية الأبناء، عمان، دار الفكر، ١٩٩٥م.
٣٩. محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ج٢، ط١، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٣م.
٤٠. مروان كجك، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٩٩٨م.
٤١. مريم سليم وآخرون، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، سلسلة كتب المستقبل العربي ١٥، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م.
٤٢. معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، بيروت، دار الشروق، ١٩٩٤م.
٤٣. نادر طالب عيسى شوامره، أنماط التنشئة الوالدية وعلاقتها بالخلل لدى طلبة الصف الأول الثانوي في محافظة رام الله والبيرة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، القدس، ٢٠٠٨م.
٤٤. ناصر ثابت، المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة، ط١، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٣م.
٤٥. ناهد عبد الرزاق، طفلك عالم من الأسرار كيف تكتشفيه، دب، مركز الرابطة للنشر والإعلام، ١٩٩٩م.

٤٦. نايفة قطامي وعالية الرفاعي، نمو الطفل ورعايته، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧م.

٤٧. نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة (١٨٤)، تصدر عن: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل ١٩٩٤م.

٤٨. نهى القرطاجي، عولمة قضايا المرأة في وسائل الإعلام المرئية، بحث مقدم لمؤتمر "قضايا المرأة المسلمة بين التشريع الإسلامي وبريق الثقافة الوافدة"، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤-١٦/٣/٢٠٠٦م.

٤٩. هدى محمد قناوي، الطفل: تنشئته وحاجاته، ط٣، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

٥٠. يوسف عبد الفتاح محمد، الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج العربي، د.ب، دار الفكر، ١٩٨٨م.

٥١. يوسف ماضي، ظاهرة العنف المجتمعي ضمن الأسرة والمدرسة والمجتمع . دراسة ميدانية، منظمة الأمم المتحدة للطفولة بالتعاون مع المكتب المركزي للإحصاء والمصادر الطبيعية الفلسطيني، بيروت، نيسان ٢٠١٠م.

٥٢. يوسف أبو ليلي، وآخرون، علم الاجتماع الأسري، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، برنامج التنمية الاجتماعية والأسرية، ٢٠٠٨م.

الدوريات:

٥٣. إسماعيل ميهوبي، التنشئة الاجتماعية للتلميذ المراهق والنظام الأيديولوجي بالوسط الريفي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد الأول، دن، مارس ٢٠١٢م.

٥٤. إيلين دمعة، التفكك العائلي بين القيم الثابتة والقيم المتبدلة، مجلة إضافات، العدد ٢، ربيع ٢٠٠٨م.
٥٥. أسامة حمدونة، وآخرون، التنشئة الأسرية وموضع الضبط وتأثيرهما على تقدير الذات لدى طلبة الصف الحادي عشر بمحافظة غزة، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٠، العدد ٢، ٢٠٠٨م.
٥٦. ثريا التركي وهدي زريق، تغير القيم في العائلة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠، بيروت، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية، أكتوبر ١٩٩٥م.
٥٧. حسين أحمد، التركيب الأسري في الضفة الغربية وقطاع غزة، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٤، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٠م.
٥٨. زكريا أحمد الشربيني، عنف الآباء على الأمهات وانعكاساته على أطفالهم كما تراه عينة من المتزوجات الإماراتيات، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مجلد ١٦، العدد ١، ٢٠٠٨م.
٥٩. زهير عابد، تأثير الإعلانات التلفزيونية على السلوك الاجتماعي للفتاة الجامعية الفلسطينية.. دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مجلد ٢٤، العدد ٥، ٢٠١٠م.
٦٠. سعاد بلحريزي، العنف داخل المدينة وعلاقته بالتحويلات الأسرية، مجلة علوم إنسانية، العدد ٣٨، السنة ٦، صيف ٢٠٠٦م، WWW.ULUM.NL

٦١. سعد الدين إبراهيم، الأسرة والمجتمع والإبداع في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٧٧، بيروت، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية، يوليو ١٩٨٥م.
٦٢. سمية السوسي، مراجعة لتقرير تكوين الأسر في الأراضي الفلسطينية الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، العدد ١١-١٢، يوليو/ديسمبر ٢٠٠٣م.
<http://www.oppc.pna.net/mag/mag13-14/new14-13-14.htm>
٦٣. عابد عبد الله أحمد النقيعي، أثر أساليب المعاملة الوالدية على بعض الأساليب المعرفية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم القرى، مجلة جامعة أم القرى، العدد ١٧، السنة ١١، ١٩٩٨م.
٦٤. فتحي عبد الله ضيف الله، أثر الإعلانات التلفزيونية الفضائية الخارجية على أنماط السلوك الشرائي للمستهلكين الأردنيين، مجلة علوم إنسانية، العدد ٤٦، السنة ٨، ٢٠١٠م.
٦٥. فؤاد علي العاجز، العوامل المؤدية إلى تفشي العنف لدى طلبة المرحلة الثانوية في مدارس محافظات غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٠، العدد ٢، غزة، تصدر عن الجامعة الإسلامية، حزيران ٢٠٠٢م.
٦٦. مجهول المؤلف، مجلة التخطيط المركزي الفلسطيني، العدد ١١-١٢، يوليو-سبتمبر ٢٠٠٣م،
<http://www.oppc.pna.net/mag/mag13-14/new14-13-14.htm>

٦٧. محمد بن مسفر القرني، مدى تأثير العنف الأسري على السلوك الانحرافي لطالبات المرحلة المتوسطة بمكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، ٢٠٠٥م.

٦٨. محمد القاضي، مظاهر العنف في المجتمع المعاصر، مجلة التسامح، العدد ١٠، عمان، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ربيع ٢٠٠٥م، <http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=٢٢٢>

٦٩. المنجي الزيدي، الثقافة والمال: دراسة في مستقبل التنمية الثقافية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٣، بيروت، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣/٧م.

٧٠. نصر الدين جابر وسليمة حمودة، السلطة الوالدية وأثرها في بناء شخصية الأبناء، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد الأول، د.ب، مارس ٢٠١٢م.

٧١. نوبيات قدور، العلاقة الزوجية المتكدره وأثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، د.ب، جوان ٢٠١٢م.

مواقع الإنترنت:

٧٢. آسيا، ١٠٧٧، http://www.asyeh.com/asyeh_world.php?action=showpost&id=١٠٧٧

٧٣. بشار عباس، العرب والإنترنت.. الجوانب الاجتماعية والاقتصادية،

<http://www.arabcin.net/arabiaall/studies/arabandinternet.htm>

٧٤. التجمع العربي، ٢٠٨٨٠، <http://www.٤r٤b.com/vb/showthread.php?t=٢٠٨٨٠>

٧٥. جريدة الصباح، ١٤٩٢/٣/٩هـ،

<http://www.alsbah.net/mynews/modules.php?name=News&file=article&sid=11016>

٧٦. جريدة اليوم،

<http://www.alamalyawm.com/ArticleDetail.aspx?artid=78375>

٧٧. حلمي الأسمر، العنف الأسري ظاهرة دولية.. ولكنه عربية وأردنية

أيضاً، جريدة الدستور، ٢٠٠٧/٩/١٣م. نقلاً عن: مركز عفت الهندي

للإرشاد الإلكتروني،

http://www.ehconline.org/information_center/wmview.php?ArtID=1944

٧٨. الدرر السننية، <http://www.dorar.net/enc/hadith> (استندت

عليه في تخريج الأحاديث).

٧٩. سليمان بن صالح الخراشي، الفرق بين: زواج المسيار.. وزواج المتعة..

والزواج العرفي، مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية،

<http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/74.htm>

٨٠. فضيلة عرفات، ظاهرة تأخير سن الزواج (العنوسة) في المجتمع

العراقي، مركز النور،

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=41149>

٨١. فواز الدرويش، العنف الأسري: أنواعه.. دوافعه.. الحلول المقترحة،

موقع الفرات:

<http://furat.alwehda.gov.sy/archive.asp?FileName=34123331620080214010019>

٨٢. كمال إبراهيم علاونة، الزواج في فلسطين المباركة.. وتخفيض المهور وتبعات الخطبة والزواج المالية، نقلًا عن: شبكة الإسراء والمعراج،

[/http://www.israj.net/vb/t1014](http://www.israj.net/vb/t1014)

٨٣. مجلة العلوم الاجتماعية،

<http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=1606>

٨٤. مجهول المؤلف، الإدمان على الإنترنت.. ملاحظات، نقلًا عن موقع:

<http://www.sos.com/vb/showthread.php?t=24439>

٨٥. مجهول المؤلف، أسهل الطرق إلى السعادة الزوجية، مكتبة صيد الفوائد،

<http://www.saaaid.net/mktarat/alzawaj/46.htm>

٨٦. مجهول المؤلف، العنف الأسري. نقلًا عن: منتدى بن خلدون الفلسطيني

للدراستات والأبحاث،

<http://dr-nabil.com/vb/showthread.php?t=214>

٨٧. مجهول المؤلف، العنف في فلسطين، موقع ناشري،

<http://www.nashiri.net/articles/social/2673-o--.html>

٨٨. محمد صالح المنجد، زواج المسيار: تعريفه وحكمه، فتوى رقم: ٨٢٣٩٠،

موقع الإسلام سؤال وجواب،

<http://islamqa.info/ar/ref/82390>

٨٩. محمد المهدي، آداب الطلاق في الإسلام، موقع مجانيين،

<http://www.maganin.com/content.asp?contentid=12429>

٩٠. المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات،

http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=١٠٩٣٣&table=pa_documents&CatId=٢١٤

٩١. مي نايف، العنف العائلي في المجتمع الفلسطيني، موقع: دنيا الرأي،

<http://pulpit.alwatanvoice.com/content-١١٤.html>

٩٢. نايف بن أحمد الحمد، الغضب: آداب وأحكام، صيد الفوائد،

<http://www.saaid.net/rasael/٣٥٣.h>

٩٣. نهى عدنان قرطاجي، العنوسة معاناة إنسانية تهدد البناء الاجتماعي.

نقلا عن: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية،

<http://saaid.net/book/open.php?cat=٦&book=٣٦١٠>

٩٤. وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)،

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=٣٧٩٤>

٩٥. <http://www.developnets.net/١٣١/%D٨%B٩%D٨%AF%D٨%AF->

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الآية القرآنية
٥	الإهداء
٧	المقدمة
١١	الفصل الأول الزواج
٥١	الفصل الثاني الأسرة
١٠١	الفصل الثالث التنشئة الاجتماعية
١٥١	الفصل الرابع المشكلات الأسرية
٢٠٥	الفصل الخامس انعكاسات التكنولوجيا على الأسرة
٢٢٧	الفصل السادس مهارات زوجية
٢٧١	المراجع
٢٨٣	الفهرس